وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــــة الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

صراع العصبيات في الأندلس
ونتائجه على مسيرة الفتح
منذ بداية الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط
92-238هـ/711-852م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
خثير قويدري

إشراف:
الدكتور محمد بن عميرة

لجنة المناقشة:

د/العيفا الحاج.....رئيسا

د/بن عميرة محمد.....مشرفا

د/غرداوي نور الدين .....عضوا

السنة الجامعية: **1432-1433هـ/2011–2012م**

إهـــــــــــداء

الى كل ةمن لايتعصب إلا للحق وللقضايا العادلة.....أهدي باكورة هذا العمل

المختصرات

القسم العربي:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
ع	عدد المجلة
ه	هجري
م	ميلادي
د ت	دون تاريخ

القسم الأجنبي:

Page	**P**
Pages continues	**Pp**
Tome	**T**
Numéro	**N°**
Revue Africaine	**RA**
Les sources Inédites de l histoire du Maroc, dynasties saadiennes	**S.I.H.M.D.S**
Les sources Inédites de l histoire du Maroc, dynasties Filaliennes	**S.I.H.M.D.F**
	R.O.M.M

مقدمـــــــــــــــــة

ما تزال الأندلس رغم كثرة ما كتب عنها في نواحي شتى ، تحتاج إلى المزيد من البحوث والدراسات التي تعالج مختلف مظاهر الحياة فيها ، وربما كان من أكثر ما تفتقر إليه المكتبة العربية والمغاربية خاصة ، تلك الدراسات التاريخية العميقة والدقيقة التي تتناول جزئيات التاريخ والحضارة الأندلسية ، ولا تكتفي بمجرد السرد الوصفي على نحو ما تفعل كثير من كتب التاريخ لمًا تتناول الحياة السياسية والإجتماعية.

والتاريخ الأندلسي له طبيعة خاصة، فمعظمه حروب ونزاعات قامت بين العناصر البشرية التي شكلت المجتمع الأندلسي ، وهي عناصر متعددة ، ومتباينة أشد التباين في أصولها البشرية ، ويتمثل هذا التباين في وجود العنصر العربي والعنصر البربري ، والإسبان والسقالبة واليهـــــود و المولدين إلى غير ذلك من الأجناس .

وإذا كان ذلك التباين يمثل مظهرا من مظاهر قوتها وثرائها ، غير أنه في نفس الوقت كان يحمل بذور الضعف وأسباب التدهور والإنقسام ، خاصة حينما يتحول إلى صراع بين تلك العصبيات ويؤدي في النهاية إلى ضياع الأندلس .

وإذا كان الفاتحون المسلمون قد تحملوا عبء المعاناة في نشر الإسلام بالأندلس ، فإن تلك المهمة لم تكن سهلة ، و لم تكن عند العرب أنفسهم خالية من المطامح الشخصية ، والميولات العصبية التي كانت متجذرة في طباعهم وسلوكاتهم في مواطنهم الأصلية في العصر الجاهلي ، ورغم أن الإسلام حارب تلك الظاهرة ودعا إلى نبذها ، غير أنها سرعان ما أطلت بقرنها من جديد بفعل التنافس على السلطة والريوع التي استفادوها من وراء عملية الفتح ، والتوسع في المناطق والبقاع المفتوحة.

إن الصراع الذي كان محتدما في بداية فتح الأندلس بين القبائل اليمنية والقيسية ، وبين العرب و البربر من جهة أخرى ، كان نقمة فيما بعد على المصير الذي آلت إليه الأندلس .

وموضوع العصبية لم يكن حبيس فترة وجود العرب في الأندلس فحسب بل استمرّ حتى وقتنا الحاضر . فما نراه من تحكم هذه النعرة في نفوس الحكام والمسؤولين حتى صارت جزءاً من هويتهم وما نتج عنها من استبداد بالسلطة ، وإثارة الفرقة و التمزق والتخلف لايخفى على أحد .

وكان هذا الإشكال دافعا لنا لإختيار موضوع هذا البحث ، ذلك أن العصبية القبلية كانت من خصائص الشخصية العربية التي إنتقلت معهم أثناء عملية الفتح ، كما أن البربر هم أيضا كان في تركبتهم القبلية ما يدعو إلى إظهارها .

وهذا الموضوع – صراع العصبيات في الأندلس _الذي نتناوله بالدراسته موضوع متشعب الجوانب ، متصل الحلقات ، لذا فإن الدراسة اقتصرت على الصراع بين العصبيات العربية قيسية ويمنية ، وبين العرب و البربر ونتائج ، ذلك منذ بداية الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط ، ذلك أنه خلال هذه الفترة كان صراع العصبيات بارزا أكثر بين هذه العصبيات، غير أنه في الفترة التي تلت ذلك ، توسع الصراع وأخذ طبيعة عنصرية شعوبية ، فقد قام المولدون الإسبان بمؤازرة النصارى من أهل الذمة ، وتأييد نصارى الشمال و الفرنجة بالثورة ضد العرب ، وضد حكم بني أمية وهو ما يتطلب بحثا مستقلا .

ومن بين أهم الأسباب التي دفعتني لأختيار هذا الموضوع :

_ ما لاحظته حول ظاهرة العصبية القبلية التي ظلت تلازم الإنسان العربي قديما وحديثا ، وما كان لها من إنعكاسات سلبية على على الحياة السياسية خاصة في الأندلس.

_ ثعثر مسيرة الفتح في أوربا بسبب تلك الصراعات.

_ استغلال الفرنجة و الإسبان فرصة تلك الخلافات لتحقيق انتصارات واستعادة مناطق ظلت لفترة طويلة بأيدي المسلمين ، بل وفقدان الأندلس في النهاية.

_ أكثر المراجع التي تناولت صراع العصبيات بالأندلس ، لم تخصُّه بكتاب مستقل ، إنما تناولته في سياق الحديث عن التاريخ الأندلسي عموما رغـــم أنه من السمات البارزة فيه ، ومن أهم المراجع التي تناولته : كتاب" دولة الإسلام في المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر" لمحمد عبد الله عنان ، وكتاب "الفتح والإستقرارالعربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس" لعبد الواحد ذنون طه ، وكتاب " تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس " للسيد عبد العزيز سالم ، وكتاب "تاريخ مسلمي إسبانيا " لرينهارت دوزي ، وكتاب "فجر الأندلس " و " معالم في تاريخ المغرب والأندلس" لحسين مؤنس ، وكما نلاحظ من خلال هذه العناوين ، فإنها تتناول التاريخ العام للأندلس وتقرنه بتاريخ المغرب أيضا ، و إذا كان الدراجي بوزياني قد تناول في بحثه موضوعا شبيها حول العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات ، فإن حيز هذه الدراسة اقتصر على بلاد المغرب فقط دون أن يتعداه إلى بلاد الأندلس ، كما أن محمد فراد

أرزقي بحث في موضوع "القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري" ، وهي فترة بعيدة عن الفترة التي يتناولها هذا البحث.

وقد قُسِّم الموضوع الى أربعة فصول : الفصل الأول الذي هو مدخل للموضوع تناول جذور العصبية القبلية ، والتعريف بالقبيلة على اعتبار أنها الجماعة البشرية التي كانت تمثل الكتلة الأساس ذات التقاليد الراسخة في مجتمع العصر الجاهلي ، والمناطق التي كانت تتوزع فيها هذه القبائل قبل مجيء الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، والصراعات التي عرفتها ، من أجل التوسع وإيجاد المجال الحيوي بحثا عن الكلأ والماء ، أو بدافع الأخذ بالثأر ، والحروب التي قامت بينها في جاهليتها ،كما يحدثنا التاريخ بين عبس وذبيان مثلا ، أو بين بني تغلب وبني بكـــــر في حرب البسوس ، كما تمت الإشارة إلى مظاهر العصبية القبلية أنذاك من التفاخر بالأنساب ، والسعي للحفاظ على تماسك القبيلة والأخذ بالثأر وانتقال هذه النزعة مع العرب الفاتحين إلى الأندلس وتأثر البربر بها ، كما تمّ التطرق بعد ذلك إلى تحديد مناطق توزيع القبائل العـــــربية من قيسية ويمنية في البلاد المفتوحة ، وكذا مناطق القبائل البربرية التي دخلت الأندلس مع طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وما تولد عن هذا التوزيع من صراع فيما بعد.

وخُصص الفصل الثاني للصراع العربي-العربي في الأندلس منذ بداية الفتح حتى نهاية عهد عبد الرحمن الأوسط ، وماكان من حادثة إغتيال عبد العزيز بن موسى ، كأول مظهر من مظاهر ذلك الصراع القبلي على السلطة ، وخضوع أمر تعيين الولاة وعزلهم هناك ، لتغيير أحوال السلطة المركزية في دمشق ، وما يفرضه صراع العصبيات بين القيسية واليمنية ، وما كان لأهل الأندلس من جهود في تعيين من يرونه ملائما لميولهم دون العودة إلى والي القيروان ، أو إلى السلطة المركزية في دمشق رغبة منهم في الإستقلال بأنفسهم ، ثم عودة ظاهرة النعرات العصبية مع تولي عبد الملك بن قطن الفهري ، وما حدث بين العرب البلديين و الشاميـــــين في عهده ، والهدوء الذي عرفته البلاد في ولاية أبي الخطار بن ضرار الكلبي ، ثم إحتدام الصراع من جديد بين القيسية واليمنية في ولاية يويوسف الفهري ووزيره الصميل بن حاتم .

ثم حاولنا إبراز حلقات ذلك الصراع في عهد عبد الرحمن الداخل وما كان من تأييد اليمنية له في بداية حكمه وانقلابهم عليه ومناوئته السلطة ، تعصبا ضد بني أمية ، واستمرار الداخل في مقارعة العصبيات العربية والقضاء على ثوراتها الواحدة بعد الأخرى .

ثمّ الحديث عن إستمرار الصراع العربي- العربي في عهد ابنه هشام ثم حفيده الحكم بن هشام وما عناه كل منهما من أثر ذلك الصراع . وجعلنا نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط (206 - 238هـ / 822 -852م) رابع الأمراء الأمويين نهاية لهذا البحث.

وخُصص الفصل الثالث للصراع العربي البربري ، فقد كان للبربر منذ الفتح مواطن كثيرة استقروا بها مثل العرب الذين كانوا يحالفونهم أحيانا ويصطدمون بهم أحيانا أخرى ، خاصة بعدما ظهر من خلاف بين القائدين طارق بن زياد و موسى بن نصير ، ثمّ التطرق إلى المحاولة الإنفصالية التي قام بها منوسة البربري شمال الأندلس و تقربه من ملك القوط أودو ضد العرب ، و مناقشة بعض الأراء حول أسباب ذلك التعصب ضد العرب وثورتهم على عبد الملك ابن قطن ، وما قد يكونوا تأثروا به مما كان يلاقيه إخوانهم بربر شمال إفريقية على يد ولاة بني أمية , ودورهم في تمكين عبد الرحمن الداخل من الإمارة ،و ثورتهم عليه بعد ذلك في حروبه مع القيسية ،واستمرار النزاعات العصبية البربرية في مواجهة أمراء بني أمية ، في مناطق مختلفة من الأندلس طوال الفترة التي تناولها البحث.

وتناول الفصل الرابع نتائج الثورات الداخلية والفتن بين العرب أنفسهم، قيسهم ويمنيتهم وبينهم وبين البربر ، وما نتج عنه من إخفاقات أمام الفرنجة ، والنصارى في الشمال .

وتمّ الربط بين ذلك الخلاف الذي حدث بين موسى بن نصير ومولاه طارق، والخلافات التي تلت ذلك في عهد الولاة المسلمين في أوربا ، وماحدث لهم من هزيمة في معركة بواتيه .

وأثر العلاقات التي كان يُقيمها بعض المتمردين عن السلطة الأموية مع الفرنجة ، وانشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية عن استرجاع ما أُخذ منهم ، وما سببه ذلك من ضياع مناطق ومدن ظلت لفترة من الزمن تحت سلطة المسلمين مثل إقليم أربونة ، ومدينة برشلونة وغيرها .

ولقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي بإعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية ، وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا وموضوعيا ، بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية ، إعتمادا على قراءة جادة وثاقبة للمصادر التاريخية المتنوعة والمراجع المتوفرة.

واعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت جزئيات البحث أهمها :

المصـــــادر:

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها:

لمؤلف مجهول وهو يتناول الأحداث التي عرفتها الأندلس من بداية الفتح على يد موسى بن نصير الى آخر فترة حكم الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث 350هـ/961م ،ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا ، خاصة فيما يتعلق بالأحداث السياسية في المراحل الأولى لحكم المسلمين فيها ، لما تضمنه من وقائع وأحداث دقيقة ومفصلة ، وقد وُظف كثيرا في أبرز فصول البحث سيما ما تعلق بفترة عهد الولاة ، والخصومات التي قامت بين الشاميين والبلديين ، والعصبيات التي واجهها عبد الرحمن الداخل . ورغم إختلاف الباحثين في تاريخ تأليفه فمعظمهم يرى أنه أُلف في القرن الرابع الهجري وبعضهم يرجعه إلى القرن الخامس الهجري، ويذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى أن مؤلف الكتاب هوعربي وذلك من خلال توجيه اهتمامه وعنايته لأخبار العرب في الأندلس ,وهو بذلك يتعصب للسيادة العربية مع إغفال أخبار غيره من المسلمين عكس بن القوطية الذي يولي إهتماما للعناصر غير العربية من المسلمين .

ابن القوطية (أبي بكر محمد القرطبي): كتاب إفتتاح الأندلس ، وقد تناول الأحداث التي عرفتها الأندلس من بداية الفتح حتى نهاية فترة حكم الأمير عبد الله سنة 300هـ/910 ، ويعتبر من المصادر الهامة في تاريخ الأندلس ، فأغلب المؤرخين أمثال ابن الفرضي ، وابن حيان وابن عذاري و ابن خلدون قد إعتمدوا عليه ضمن مصادرهم و اقتبسوا منه و استشهدوا بأقـــــواله و حتى الكتاب الأوربيون استفادوا منه في أبحاثهم مثل دوزي ، وما يلاحظ على هذا المؤَلف أن كاتبه ذو نزعة متعصبة ضد الجنس العربي عكس صاحب أخبار مجموعة ، ولعلى ذلك يعود إلى أصل ابن القوطية الذي كان ينحدر من أصل الأميرة القوطية سارة حفيدة ملك إسبانيا غيطشة التي تزوجها عيسى بن مزاحم مولى هشام بن عبد الملك عندما ذهبت إلى دمشق للمطالبة بميراث أبيها .

وقد قام الأستاذ إسماعيل العربي بتحقيق ونشر الكتاب معتمدا على مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، كما حقق أيضا كتاب أخبار مجموعة و جمع بين هذين المؤلفين في مجلد واحد على اعتبار أن المؤلِفين كانا متعاصرين ورواية أحدهما تكمل رواية الآخر .

ابن عذاري المراكشي(أبو العباس أحمد بن عذارى) : كان حيا حتى سنة712هـ/1310م في كتابه البيان المغرب في أخبا الأندلس والمغرب وهو يتناول أخبار الأندلس من الفتح حتى آواخر

العهد الموحدي، ويعتبر من أهم المصادر ذات القيمة التاريخية الكبيرة عن تاريخ الغرب الإسلامي، يقع الكتاب في عدة أجزاء، اعتمدت على الجزء الثاني في رصد الوقائع والأحداث التي تتعلق بموضوع البحث لما حفل به من معلومات تاريخية وجغرافية دقيقة وذات قيمة ينفرد بها عن غيره من المؤرخين.

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله): ت 776هـ/1374م .

الى جانب نشاطه السياسي كان ابن الخطيب عقلية موسوعية إستوعبت جميع أنواع المعارف والفنون فقد تقلب بين المناصب السياسية والعلمية ، فإلى جانب نشاطه السياسي كان مولعا بالقراءة والتأليف واستفاد من المناصب التي تولاها في الإطلاع على كثير من الوثائق والمراسلات الرسمية واستغلها في مؤلفاته التاريخية ، وقد اعتمدنا على كتابه " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام" ، ورغم أن الكتاب هو مخصص للحديث عن فئة من الملوك الذين تولوا العرش وهم صغار السن ، إلا أن المؤلف تطرق فيه الى جوانب كثيرة من تاريخ الإسلام ، وقد اعتمدنا على الجزء الثاني الذي يتناول تاريخ الأندلس من الفتح حتى عصر ملوك الطوائف ,وقد أفادنا كثيرا في تأكيد الروايات والأحداث التي استقيناها من المصادر الأخرى.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد) : ت 808هـ/1405م .

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، إعتمدت على الجزء السابع منه الخاص بأخبار دولة بني أمية في الأندلس، كما اعتمدت أيضا على الجزء المسمى بالمقدمة فيما يتعلق بموضوع العصبية ، ذلك أنه أول من تكلم فيها بشكل من التحليل والتعليل الوافي ، فبَيّن الأساس الذي تقوم عليه والدور الذي تلعبه في الحياة الإجتماعية عموما وحركة التاريخ خصوصا وأسس بذلك لنظرية علم العمران البشري التي تقوم على أساس الإختلافات والفروق بين البدو والحضر وعلاقة العصبية بقيام الدولة.

المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري):ت1041هـ/1632م

كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الحطيب" الذي ألّفه ليَتناول فيه حياة الوزير الأندلسي الغرناطي لسان الدين بن الخطيب ،وإنتاجه العلمي والأدبي من نظم ونثر وتاريخ ، غير أنه لم يقتصر على ذلك وتوسع فيه للحديث عن الأندلس

و بذلك صار موسوعة هامة ، اعتمدتُ على الجزئين الأول و الثالث منه ، و استفدتُ منه كثيراً سواء في التأكد من صحة الروايات السابقة أو في ما انفرد به من معلومات لم ترد عند غيره .

ومما يعاب على هذا المؤَلِف أنه غير منظَم في ترتيب المعلومات فكثيرا ما يقطع حديثه في سرد رواية معينة ثم يعود إليها في مواضع أخرى . و يظل هذا الكتاب مصدراً أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس و المغرب لا يمكن الاستغناء عنه و وهو كثير النقل عن المصادر الأندلسية المتعددة .

ابن حزم (أبو محمد بن حزم القرطبي) : ت 456هـ/1063م

لقد عاش ابن حزم في قصور الخلفاء في بداية حياته ذلك لأن أباه كان وزيرا للمنصور بن أبي عامر ، و تولى هو الوزارة في عهد آخر خليفة أموي عبد الرحمان الخامس الملقب المستظهر، غير أن الأحداث التي عرفتا الأندلس بسقوط الخلافة ، و قيام ملوك الطوائف أثرت في نفسيته فاعتزل السياسة و تفرغ للتأليف ، ومن أهم مؤلفاته التي اعتمدت عليها "كتاب جمهرة أنساب العرب " الذي يتناول فيه الأسر العربية و البربرية التي سكنت الأندلس ، خاصة فيما يتعلق بمناطق توزيع القبائل و أسماء زعمائها .

كما اعتمدنا على مصادر أخرى بدرجات متفاوتة مثل الكامل في التاريخ لابن الأثير ت 630هـ/1232م ، فرغم أن مؤلفه مشرقي النشأة إلا أنه تناول تاريخ العالم الإسلامي مشرقا و مغربا و هو كتاب مرتب حسب السنين يمتاز ببساطة الأسلوب و الدقة و الوضوح وكتاب الحلّة السيراء لابن الأبار لما تضمنه من أدب و شعر و تاريخ عن المغرب و الأندلس في شكل مجموعة من التراجم للأمراء و القادة و كبار الدولة ، وكتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي الذي ، كما إعتمدنا على بعض الموسوعات في التعريف بالأماكن الجغرافية مثل كتاب نزهة المشتاق للإدريسي ، وكتاب الروض المعطار للحميري وغيرها.

المـــــراجـــــع :

- كتاب محمد الله عنان " دولة الإسلام في الأندلس " ورغم أنه يتناول تاريخ الأندلس بصفة عامة فقد اعتمدنا عليه في بعض الجوانب التي تخص الموضوع ، وحاولنا مناقشة بعض الأراء التي يوردها في حديثه عن الصراع بين العرب والبربر.

- السيد عبد العزيز سالم في كتاب " تاريخ المسلمين و أثارهم في الأندلس " وهو يشبه في أسلوبه وتناوله للأحداث إلى حد كبير محمد عنان ، حيث يتميز حديثه بشكل عام عن مجمل تاريخ الأندلس .
- عبد الواحد ذنون طه " الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس " و كتاب " دراسات أندلسية " ، ورغم محاولاته تحليل الأحداث غير أنه في بعض الأحيان لا يلتزم بالدقة المطلوبة ، حينما ينقل عن المصادر لذلك كان الإعتماد عليه بشكل يتطلب العودة إلى مصادر المعلومات للتأكد من صحة ما يذهب إليه .
- عبد العزيز فيلالي"العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الأندلس و دول المغرب "
- أحمد مختار العبادي في كتابه " في تاريخ المغرب و الأندلس "
- حسين مؤنس " فجر الأندلس "
- لقبال موسى " دور كتامة في قيام الخلافة الفاطمية "
- أحد أمين كتاب "ظهر الإسلام"
- محمد زيتون كتاب" المسلمون في المغرب والأندلس"
- محمد عابد الجابري " فكر ابن خلدون العصبية والدولة"
- ابراهيم حركات " المجتمع الإسلامي والسلطة في العصور الوسطى"

كما اعتمدنا على بعض المراجع الأجنبية مثل:

Pierre Guichard: Structures sociales « orientales et occidentales » dans L Espagne Musulmane, Paris ,LaHaye , 1977 .

ليفي بروفنسال : Histoire DeL'Espagne Musulmane ,La Conquet et L'Emirate HispanoUmaiyade ,Paris, Leiden, 195 .

F .j.simonet :Historia de los mozarabe de Espana.

إن أي عمل أو بحث جاد لا يمكن أن يخلو من صعوبات ومتاعب لأن الباحث يجب أن يُلم بكل جوانب الموضوع ، ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني :

_ تشعب الموضوع وحساسيته ، وهو ما جعلني أتوخى الحذر في نقل بعض المعلومات من مصادرها ، وأجهد نفسي في محاولة تحليلها التحليل الصحيح قبل إصدار الأحكام .

_ صعوبة التوفيق بين الآراء والأفكار التي تناولت الموضوع ، وهو ما جعلني أتيه بين آرائها خاصة وأن أغلب المراجع التي تناولت الموضوع كانت على ما يبدو متأثرة بالدراسات الإستشراقية والتي تحاول تصوير ذلك الصراع بنية مبيتة للطعن في التاريخ العربي الإسلامي.

_ صعوبة الحصول على المراجع الأجنبية ، والإسبانية منها خاصة ، ومشكل الترجمة .

_ التردد والتأخير والتقديم في صياغة بعض الأفكار نظرا لطبيعه الموضوع ، وحسبي في ذلك ما قاله العماد الإصفهاني:«إني رأيت أنه لايكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

ولا يسعني في ختام هذا البحث إلا أن أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور محمد بن عميرة الذي أشرف على رسالتي وأرشدني بتوجيهاته القيمة ، وعلى ما بذله من جهده ووقته في مراجعة وتدقيق وتصحيح مسودات البحث خصوصا الملاحظات المنهجية واللغوية القَّيمة والتي كان لها جليل الأثر في الوصول لهذه النتيجة.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة ، الذين تواضعوا لقراءة رسالتي ومناقشة محتواها وتصويب أخطائها وتقييم منهجها.

كما لايسعني في ختام هذا البحث إلا أن أتقدم بعظيم امتناني لكل من أسهم بمساعدتي وتشجيعني ، أو صرف جهدا في النسخ والطباعة ، ولئن كنت عاجزا عن شكر الجميع فعند الله خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

جذور العصبية القبلية

مفهوم العصبية عند العرب:

العصبية لغة مشتقة من العَصَبْ . و عَصَبَ الشيءَ : طواه ولواه . والعِـــــــصَابة : ما يُعصب به الرأس . والتعصُّبُ : المحامات والمدافعة . وعَصَبَةُ الرجل : بنوه وقرابته لأبيه ، وسُمُّوا عُصْبَة لأنهم عصبوا بنسبه ، أي أحاطوا به ، والجمع : العصبات . والعرب تسمي قربات الرجل : أطرافه ، وكل شيء إستدار بشيءٍ فقد عصب به[1].

والعُصبَة والعِصابة : الجماعة من الناس ، ومنه قوله تعالى :« ونحن عُصبة »[2] ، وفي الحديث: « اللهم إن تهلك هذه العِصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض »[3].

والعصبية إصطلاحا : « أن يدعو الرجل الى نصرة عَصَبَتِه و التألب معهم على من يُناوؤهم ظالمين كانوا أو مظلومين »[4] .

وقد شغل موضوع العصبية حيزا هاما في فكر ابن خلدون الذي توسع في دراستها وتحليل أسبابها ونتائجها ، وعرّفها بأنها :« النعرة على ذوي القربى ، وأهل الأرحام»[5] ، والأصل في رأيه أنها تُبنى على وحدة الدم وعلى لحمة النسب :« ذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر ، إلا في الأقل »[6] .

وقد اختلف الكُتّاب في تعريفها، حيث يرى الجابري أنها رابطة إجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معا ، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا

---

[1] - الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، ط. دار الكتب العلمية 1995 ، ج1 ، ص 140 ؛ الرازي : كتاب مجمل اللغة ، حققه الشيخ شهاب الدين أبو عمرو ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1994 ، ص 523 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري ، ط . مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان 1996 ، ج9 ، ص 232 ؛ الفارابي : تاج اللغة وصحاح العربية المســـــــــمى الصحاح ، حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو ، ط . دار الفكر 1998، ج1 ، ص 192.

[2] - سورة يوسف ، الآية 8.

[3] - الإمام مسلم أبو مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ، طبع وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب البناني بيروت، ج3 ، ص 1384.

[4] - ابن منظور : المصدر السابق ،ج9 ، ص 192.

[5] - ويتسع معناها عنده إلى« الولاء والحلف ، إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه» (ابن خلدون : مقدمة العلامة بن خلدون ، طبعة جديدة منقحة ومصححة 2004 ، ص143).

[6] - نفس المصدر .

يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد والجماعة[1] ، وفي نظر إبراهيم حركات:هي إطار جماعي ضد إطار جماعي ، و نظام حزبي بدائي استمر قائما مع توالي القرون على هامش سيادة الدولة والنظام الإجتماعي العام[2] ، بينما يصفها أحمد صالح العلي بأنها تشبه الشعور القومي في عصرنا الحاضر ، ولكن رابطة الدم فيها أقوى وأوضح مما في القوميّة[3].

ومفهوم العصبية لايتضح معناه في بحثنا هذا إلا وهو مقرونا بالرابطة القبلية ، ذلك أن العصبية في المجتمع القبلي لاتكون لقرابة الرجل وذوي رحمه ، بل تكون للقبيلة عامة ، وتتفاوت شدتها حسب درجات القرابة في القبيلة الواحدة[4] ، لذلك إقترن مفهوم العصبية بالقبلية . فما مفهوم القبلية ؟

كلمة القبليَّة مشتقة من قبيلة و تعني أبناء جدّ واحد[5] ، على أن لفظ القبيلة بهذا المفهوم الدقيق المحدّد يقتضي أن تعيش القبيلة في عزلة تامة عن الجماعات البشرية المجاورة لها ، وهو أمر لم يكن ثمة سبيل إلى تَحقُقِه في البيئة العربية التي فيها اتصال القبائل بعضها ببعض ، ومن ثم لم تعد القبيلة مقصورة على صرحاء النسب ، وإنما تضم اليها الموالي والأرقاء والمحالفين[6].

كما وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع «وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا »[7] وتعرّض إليها النويري في ترتيبه النوعي للمجموعات على أنها تدرج من الجذم الى الجمهور الى الشعب ، الى القبيلة ثم العمائر و البطون فالأفخاذ فالعشائر والفصائل ، مؤكدا على أن كلمة قبيلة سمَّيت لتقابل بعضها ببعض وتَقَابُلها في العدد[8] ، ويعتبرها صالح أحمد العلي أنها

---

[1] - الجابري (محمد عابد) : فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية جديدة في الفكر الإسلامي) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1992،ص 168.

[2] - المجتمع الإسلامي والسلطة في العصور الوسطى ، إفريقيا الشرق ، المغرب 1998،ص 19.

[3] - محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968 ، ص173.

[4] - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 142 .

[5] - ابن منظور : المصدر السابق ، ج 11 ،ص 22 .

[6] - إحسان النص : القبليَّة و أثرها في الشعر الأموي ، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر ، د ط ، ص 57.

[7] - سورة الحجرات ، الآية 13.

[8] - نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة القاهرة 1965 ، ج2 ، ص254.

إحدى أبرز التنظيمات السياسية عند المجتمعات البدوية إذ تُمثل وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مستقلة، فهي تشبه الدولة ، حيث يوجد فيها شعب يَنتسب إلى أصل واحد ، ولها سيادة تامة وتقاليد وعادات معينة ولا ينقصها إلا الأرض والحدود[1] ، بينما يرى البشير العربي أن القبليَّة تقوم على أساس التقابل مع القبائل الأخرى وهي بذلك تعتمد على التأسيس للحرب في تنشئة أبنائها ، فتعدهم للحرب دفاعا عن وجودها ، فهي لاتكون إلاّ بقوة جنودها وكثرتهم[2] ، «و توسع النظام القبلي في العهد الجاهلي لِيضمَّ أشخاصا آخرين عن طريق الحلف و الولاء والإلحاق والإسترقاق »[3] .

وقد إهتمت قبائل العرب بأنسابها ، وعُرف لديهم علم النسب[4] الذي يتناول أصول العرب ويُفصل في أنسابهم ، ويرتبها على النحو التالي:

- الشعب : وهو النسب الأبعد ، سمي شعبا لأن القبائل تشعّبت منه .

- القبيلة : وهي فرع من الشعب ، سميت قبيلة لِتقابل الأنساب فيها ،ثم تأتي العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة ، ثم البطن وهو فرع من العمارة ، ثم الفخذ فريق من البطن كبني هاشم وبني أمية ، ثم الفصيلة فرقة من الفخذ . وإذا كان إنتماء القبيلة الى أبٍ واحد فإن اسمها يكون مأخوذا من اسم الأب الذي تنتمي إليه[5] .

غير أن النسب عند بن خلدون ليس الإنتماء إلى جدٍ مشترك ، بل المقصود بالنسب هو الإنتماء الفعلي الى جماعة معينة ، ليس القرابة الدموية وحدها بل كل ما يكون باعثا « للأنفة التي تَلحق النفس من إهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب»[6].

---

[1] - المرجع السابق ، ج1 ، ص 173 .

[2] - سوسيولوجيا الحرب والسلم في الحياة القبلية بالمجتمع التونسي ، الكراسات التونسية ، عدد 169-170 ، سنة 1995 ، ص94 .

[3] - إحسان النص : المرجع السابق ، ص 57.

[4] - ابن حزم الأندلسي (علي بن سعيد): جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة 1949 ، ص 2.

[5] - الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 255 ؛ القلقشندي (أحمد بن علي) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، بيروت 1984 ، ص 20.

[6] - المصدر السابق ، ص 143 .

والقبائل العربية ترجع إلى جذمين كبيرين : جذم قحطان أو عرب الجنوب ، وجذم عدنان أو عرب الشمال[1] ، فمن أبناء عدنان مَعْد و عَكْ ومن أبناء معد نزار وقنص ، ومن نزار تتفرع شجرة الأنساب العدنانية[2] ، ويعود نسب عرب الجنوب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[3].

مناطق توزيع القبائل العربية قبل الإسلام:

كانت أغلب القبائل العربية تقيم بشبه الجزيرة العربية ، لكن بعضها إستقر بالشام والعراق : فالعدنانية استقرت غالبيتها في الحجاز ومكة والطائف و تِهامة[4] ، وقسما منها في نجد وآخر في اليمامة[5] ، ومنها من استقر في البحرين[6] ، ومنهم من اتجه شمالا ونزلوا أرض الجزيرة حول الفرات[7] ، أما قبيلة إياد العدنانية فكانت ديارهم بالعراق ثمّ نزحوا عنها بعد حربهم مع الفرس ، واستقروا ببلاد الشام ودانوا لغسان[8] .

---

[1] - النويري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 324 .

[2] - ومن أبناء نزار مضر وربيعة ، ومن مُضر قيس عيلان ، لذلك تُطلق تسمية القيسية أو المضرية أو التزارية عليهم (ابن حزم : المصدر السابق ، ص8 ؛ النويري : المصدر السابق ، ص 325).

[3] - ومن سبأ حمير وكهلان ومنهما تفرعت جميع القبائل القحطانية وتُطلق عليهم جميعا الحميرية أو السبئية أو القحطانية . (المبرد : نسب عدنان وقحطان ، تحقيق الميمني ، القاهرة 1936 ، ص 18 ؛ بن حزم : المصدر السابق ، ص310).

[4] - فمن القبائل العدنانية التي نزلت الحجاز قريش ، وكانت منازلها بمكة وما والاها ، وكنانة ودارها في تهامة ، وثقيف بالطائف وبنو هلال وبنو سليم وهوازن وفهم وعدوان وهذيل في مناطق متفرقة من الحجاز.(ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري ، القاهرة 1955، ج1 ، ص124 ؛ البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة 1945 ، ج1 ، ص 87).

[5] - في نجد نزل بنو كعب بن ربيعة وغطفان وأسد وضبة وعُكْل وتميم وبنو عامر بن صعصعة ، وفي اليمامة إستقر من القبائل العدنانية بنو باهلة وبنو نمير ، وبنو تميم و بكر وعنزة وضُبيعة .(البكري : المصدر السابق ، ص 85فما بعدها) ؛ وعن مناطق استقرار ها ، أنظر الخريطة ص 132 .

[6] - نزلتها ربيعة وبطونها ومنها توسعوا إلى عُمان وشاركوا الأزد في بلادهم .(الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1948 ، ج1 ، ص 121 ؛ البكري : المصدر السابق ، ص 86).

[7] - ابن حزم : المصدر السابق ، ص 121.

[8] - ابن هشام : المصدر السابق ، ج1 ، ص31 .

وكان موطن القبائل القحطانية الأول بلاد اليمن ، ثم هاجر العديد منها إلى شمال بلاد العرب وتوزعوا في بلاد الشَّام وقد أسسوا إمارات لهم في تلك المناطق وأقاموا بها دولتهم ، مثل إمارة الغساسنة [1] ، و هاجرت تنوخ إحدى بطون قبائل الأزد وغلبت على العراق ونزل فريق منهم بعمان [2]، واستقرت قبائل أخرى منهم بالحجاز ووادي القِرى وبادية السماوة[3] ، أما باقي القبائل القحطانية فظلت مُقيمة باليمن[4].

كان المجتمع القبلي هو السائد في العصر الجاهلي ، وهو ما وفر المناخ المناسب لتجذر العصبية القبلية[5] .

والقبيلة تُؤلِّف وحدة متظامنة في حالتي السلم والحرب ، وتفرض على أفرادها الخضوع لنظمها وأعرافها ، والتقيد بعهودها تجاه القبائل الأخرى ، ومقابل ذلك تكون القبيلة مُلزمة بنصرة أي رجل ينتمي إليها حتى لو كان ظالما وذلك ما يشير إليه المثل السائد عندهم « في الجريرة تشترك العشيرة »[6] .

وتمثل المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه تلك العصبية، ذلك أن هذا الصراع لايبرز ويشتدُّ إلا عندما يكون هناك خطر يهدد تلك القبيلة في مصلحتها المشتركة المرتبطة دوما بأمور العيش[7] ، « وهكذا يبدو أن الصراع العصبي ذو صبغة إقتصادية واضحة ، على الرغم ممّا يتقّنع به من اعتبارات معنوية ومظاهر سيكولوجية وإجتماعية»[8]، وهو ما يشير إليه ابن خلدون بقوله : « إن أخلاق البشر فيهم الظلم

---

[1] - بن هشام : المصدر السابق ، ج1 ، ص13.

[2] - الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، تحقيق جوتولد ، ليبسيك 1844، ص64.

[3] - إستقرت قبائل الأوس والخزرج بيثرب ، وخزاعة بمكة ومن القبائل التي هاجرت إلى الشمال طيء ولخم وجذام وإلى لخم ينتميي أمراء المناذرة بالحيرة ، وتفرعت بطون قضاعة بين الشام والحجاز ، واستقرت قبائل سعد هُذيم وحوتكة وجهينة بوادي القِرى ، ونزل بنو كلب بادية السماوة .(البكري : المصدر السابق ، ج1، ص38وص50 .

[4] - مثل بنو خولان ، وهمذان ومذحج و حمير وكندة . (نفسه المصدر ، ص 27).

[5] - أنظر أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، ص 41.

[6] - الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد : مجمع الأمثال ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت 1987، ج2 ، ص 443.

[7] - الجابري : المرجع السابق ، ص 172 .

[8] - الجابري : المرجع السابق ، ص 177 .

والعدوان بعض على بعض فمن إمتدت عيـــنه إلى متاع أخيه إمتـــدت يده إلى أخذه إلاّ أن يصدَّه وازع »[1]. واستمرّ الصراع قويا بين القبائل القحطانية والعدنانية منذ الجاهـــــــلية ، وظلت كل قبيلة تنظر إلى القبائل المحيطة بها نظرة العداوة و الكراهية والحسد و الطمع ، فعند النظر إلى التناحر الذي ينشب عادة بين قبيلة وأخرى ، بغية السلب والنهب والسبي، فهو من باب الصراع الإجتماعي الذي يفرضه واقعها الأيكولوجي والإقتصادي[2].

مظاهر العصبية القبلية في العصر الجاهلي :

كانت العصبية القبلية أساسا للنظام الإجتماعي في العصر الجاهلي ، ذلك أنها كانت متأصلة في نفوس العرب عامة ، وخاصة منهم أهل البادية ، وتجلت في كثير من نواحي حياتهم منها :

-الفخر بالأحساب والإعتزاز بالأنساب ، حيث كانت القبيلة ترى لِنفسها من رفعة الحسب وعراقة النسب ما ليس لغيرها ، ممَّا كان يتسبب أحيانا في وقائع دامية مثلما حدث في حرب الفجار فقد أورد الأصفهاني أن بدر بن معشر – من بني مدركة – وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفخر بنفسه، ثمّ مدَّ رجله وقال : أنا أعزُّ العرب ، فمن زعم أنه أعزُّ مني فليضربها ، فلم يُطق الأحمر بن مازن عنجهيته فاستلّ سيفه وضرب رجله فقطعها من الركبة ، فكان ذلك سببا في قيام حربٍ بين القبيلتين[3] .

-السعي للحفاظ على تماسك القبيلة ووحدتها وذلك بتعلق الرجل بجماعته والأخذ برأيها حتى لو خالف رأيه ، ومن يحيد عن ذلك المبدأ يكون عرضة للذمِّ والهجر ، وقد عبّروا عن ذلك التماسك من خلال ما تردّد على لسان شعرائهم[4].

-الحلف : وهو ماكان يتم بين قبائل العرب من معاهدات سياسية ، ويكون بين أهل النسب الواحد وبين غيرها من القبائل الأخرى ، كتحالف بني ذبيان وبني أسد على بني عبس يوم

---

[1] - المقدمة ، ص 142.

[2] - يري البشير العربي أن الثروات تساعد على نشأة العصبية وبدون ثروة مبنية على الغنيمة لا يمكن الحصول على الجاه ، والحرب هي العنصر الأساسي في تقوية كل من الثروة والعصبية .(المرجع السابق ، ص 95 ؛ إحسان النص المرجع السابق ، ص 80).

[3] - المصدر السابق ، ج22 ، ص 61.

[4] - من ذلك قول دريد بن الصمّة : وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشدِ.
(التبريزي: شرح حماسة أبي تمام ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1938، ج3 ، ص171).

الهباءة[1] ، وتحالف الخزرج مع قبيلتي جهينة وأشجع ضد قبيلتي الأوس ومُزينة يوم بِعاث[2]، وحلف الفضول[3] وغيرها .

ويقوم مقام الحلف والنسب ، الجوار والولاء . فلِلمولى والمستجير من الحقوق ما للنسيب والحليف[4]، وتتولى القبيلة التي يلجأ إليها حمايته والدفاع عنه مهما كلفها ذلك[5] .

-الأخذ بالثأر :كان العرب في الجاهلية يحرصون على الأخذ بالثأر ، فيطالبون بدم قتيلهم والإقتصاص له من الجاني ، مما يتسبب في قيام حروب دامية بين مختلف القبائل كما حدث في حرب البسوس[6] وغيرها.

وقد إستمرت الأمور على هذا النحو من تأثير النزعة العصبية في حياة المجتمعات العربية وما ارتبط بها من صراعات قبلية ، الى ظهور الإسلام .

موقف الإسلام من العصبية القبلية:

حاول الإسلام إضعاف شوكة العصبية التي تُفضل جنسا على جنس أو جماعة على جماعة ، والنزاعات الجاهلية المتصلة بها ، ودعا الناس إلى العيش في مجتمع واحد ، فألحت الآيات القرآنية والآحاديث النبوية على الروابط الأخوية التي تقوم بين المسلم وأخيه ،

---

1 - ابن الأثير الجزري :الكامل في التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ،ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1980، ج1، ص 323.

2 - التبريزي : المصدر السابق ، ج3 ، ص24.

3 - هو أشرف حلف كان في العرب ،عقده نفر من أهل مكة ، تحالفوا فيما بينهم على مساعدة المظلوم والأخذ على يد الظالم ،وأقسموا على التآسي في المعاش والتساهم بالمال، فسميت قريش ذلك الحلف " حلف الفضول "، وشهده رسول الله (ص).(ابن الأثير:المصدر السابق ،ج2 ، ص41 ؛ ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ،دار الثقافة بيروت 1975،ص214) .

4 - ومن ذلك أن مرتكبي الجنايات في قبائلهم إذا ضاقت بهم السبل وخافوا على أنفسهم من نقمة القبيلة يستجيرون بقبائل أخرى ويطلبون العيش في حماها على أساس الجوار والولاء. (أنظر أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص40).

5 - محمد مبروك نافع : عصر ما قبل الإسلام ،ط2 ، دار النهضة المصرية القاهرة 1996، ج2، ص49.

6 - هي حرب وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب ، بسبب ناقة لِضيف نزل على البسوس بنت منقذ خالة جساس ، فرماها كليب بسهم في ضرعها لأنها كانت ترعى مع إبله ، فلمّا رأت البسوس ما حلّ بناقة جارها وأن جوارها قد أهين صاحت " وا ذُلاّه" وتمكن جساس من قتل كليب واندلعت الحرب بين الحيين لمدة أربعين سنة.(أبو الفدا إسماعيل بن علي : المختصر في أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم وتقديم حسين مؤنس ،دار المعارف القاهرة ،1998 ، ص123 ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ،ط2 ، دار النهضة المصرية، لقاهرة، 1996،ج2 ، ص 49).

وتؤلف بين قلوب العرب جميعا ، ودعت إلى نبذ حميّة الجاهلية ونزعاتها وإلى التخلي عن الروح القبلية ، فقد ورد في حديث الرسول (ص):«ليس منّا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية»[1]، كما ورد في حديث آخر « من قاتل تحت راية عميَّة يغضب لِعصبة،أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة ،فقتل فقتـــــلة جاهلية »[2] ، ونهى عن التفاخر والطعن في الأنساب والتعاظم بالأباء والأجداد ، والمآثر والأمجاد ، ومن ذلك قوله (ص) :«إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد»[3] .

فالإسلام «كبح جماح العصبية القبلية وحصرها في جوانبها الإيجابية فقط تماشيا مع تعاليم الإسلام ، وتمّ ذلك بشكل هاديء قصد التدرج بالمجتمع لكي يهضم الصيغة الإجتماعية الجديدة »[4] ، وحرر الأفراد من التبعية العمياء لها ، وأصبح التقوى هو مقياس التفاضل بين مسلم وآخر وليس العرق أو النسب[5]، واعتبرأن التعارف و التعايش هو الأساس بين الشعوب والقبائل ، وليس الصراعات العصبية ، ومن ذلك أنه ألغى حق الثأر الفردي

---

[1] - أبو داوود سليمان بن الأشعث:سنن أبي داوود ، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج4، ص331 .

[2] - الإمام مسلم:صحيح مسلم ،ج3 ،ص1478. والظاهر من الحديث أنه في سبيل إلغاء دواعي الخصومة والعداوة بين قبائل العرب وإبطال الأحقاد القبلية حرص الرسول(ص) منذ قيام الدولة الإسلامية على إبطال دماء الجاهلية وإهدارها، والتحذير من الدعوة القبلية ،وألحّ على تغليب دواعي الدين على العصبية وحثّهم على تركها ، فحين سأله أحدهم: ما العصبية ؟ كان جوابه :«أن تعين أخاك على الظلم» (صحيح البخاري : ج4،ص174). ومن المباديء الأصيلة في الإسلام عدم المفاضلة بين الناس على أساس الأنساب أو الأجناس ، إنما تكون المفاضلة بالتقوى وهو ما دلت عليه الآية الكريمة«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(سورة الحجرات ،الآية 13).

[3] - صحيح مسلم ، المصدر السابق، ج3 ، ص1234.

[4] - الدراجي بوزياني : العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي من ق6الى ق7 الهجري، بحث لنيل شهادة الماجستير ، إشراف موسى لقبال ، 1987- 1988 ، جامعة الجزائر ، ص 7. وهو بذلك يشير الى أنه لم يكن من اليسير أن يقتلع الدين الجديد من نفوس العرب بين عشية وضحاها ، جذور العصبية التي رسخت فيها على مرِّ القرون وجرت في نفوسهم مجرى الدماء في العروق ، إنما حاول التخفيف منها والقضاء عليها تدريجيا مراعاة لظروف العرب أنذاك وحداثة عهدهم بالإسلام.

[5] - عواطف العربي شقاور : فتنة السلطة . الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية من ق1 حتى ق4=

وجعل العقاب منوطا بالدولة لا بالفرد أو القبيلة[1] ، في حين يرى ابن خلدون أن الوازع الديني يمكن أن يهذب العصبية القبلية و ينظمها في إطار واسع يشملها جميعا ، بحيث يكون كفيلا بتسهيل إجتماع مختلف القبائل وانقيادها«... فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية ...ذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم »[2]، ذلك أن العلاقات داخل المجتمعات القبلية التي تتحكم فيها النزعة العصبية لاترقى إلى المستوى الحضاري بسبب خلق التوحش الذي فيهم ، إلا في حالة وجود عامل الدين الذي يُذهب عنهم الغلظة والأنفة والتحاسد ، فتقِّل حياة الفوضى فيهم ويقل الخلاف ويذهب عنهم مذموم الأخلاق ، ويحصل التعاون والتعاضد ، وتتحقق الوحدة بينهم[3] ، وبذلك تتحول العصبية من عامل فرقة وخصام إلى عامل وحدة وقوة ، ويصبح الصراع هادفا تقوده عصبية عامة ضد الأمم والشعوب من أجل نشر الدين وتعاليمه وإقامة مجتمع أفضل[4].

والدين في رأي ابن خلدون يُخفف من مظاهر التعصّب كالأنانية ، والإعتداد بالأنساب، ويكون في حاجة الى العصبية التي تمنحه القوة والفاعلية لأن:«الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم »[5]، وبذلك تصبح العلاقة بين الدين والعصبية هي علاقة تكامل وتآزر في نظره . فالدين لايقضي على العصبية قضاءً تاما بل ينقلها من إطارها الضيق الى إطار أوسع، ومن التعصُّب للنسب الخاص الى التعصُّب للنسب العام والعقيدة الدينية[6].

غير أنه لم يكن من اليسير القضاء على العصبيية القبلية والنزاعات الجاهلية المتصلة بها في فترة قصيرة ،ذلك أن بعض رؤساء القبائل المسرفين في عصبيتهم لم يرتضوا تلك المعايير

= الهجري ، ط2 ، دار الكتب الوطنية ليبيا ، 2001 ، ص146.

[1] - ولهوزن:الدولة العربية وسقوطها ،ترجمة يوسف العش ، ط1، دمشق 1956 ، ص19؛ علي حسين الخربوطلي : عشر ثورات في الإسلام ،ط1 ، دار الآفاق بيروت ، 1968 ،ص 122.

[2] - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص164.

[3] - ابن خلدون : المقدمة ، ص 165.

[4] - الجابري : المرجع السابق ، ص188.

[5] - المصدر السابق ، ص 173.

[6] - الجابري : المرجع السابق ، ص188 ؛ ويرى إحسان النص أن الإسلام جاء يدعو الى وضع الضغائن الموروثة عن العصر الجاهلي والى إهدار دماء الجاهلية ، ورغم ذلك ظلت الأحقاد القبلية قائمة ، و لم تستطع التعاليم الإسلامية أن تمحو من نفوس الكثيرين الإحن الموروثة عن الأباء والأجداد .(المرجع السابق ، ص 124)

الجديدة التي وضعها الإسلام لتقويم منزلة القبائل ،كالتقوى والإخلاص ، فحين سمع عُيينة ابن حصن الفزاري النَّبيَ (ص) يفضل بني غِفار وأسلم ومزينة وجهينة لِصدق إيمانهم على أسد وغطفان قال :« والله لئن أكون في النار مع هؤلاء أحب إلي أن أكون في الجنة مع أولئك »[1]

العصبية القبلية في العهد الأموي:

عادت من جديد روح العصبية آوائل العصر الأموي ،كما كانت عليه في الجاهلية ، فكانت تولية معاوية بن أبي سفيان الخلافة تمثِّل إنتصارا للأمويين على الهاشميين ، وكان زواج معاوية من قبيلة كلب اليمنية وميله إليها يؤجج الحقد في قلوب القيسيين[2] ،فقد ظلّ يؤثرها بالعطاء حتى عَلاَ شأنها وصارت لها سطوة بالشام وهددت القيسية بإخراجها منه[3] ، بل إن الخليفة معاوية كان يُغزي بعد ذلك اليمن في البر ويُغزي قيسا في البحر ، فلمّا بلغه غضبهم عليه بعث إليهم معتذرا « وقال ما أغزيتكم البحر إلاّ لأني أتيمّن بكم ، وأن قيس نكدا وأخلاقا لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم ونصحكم ، فأما إذا قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع بينكم وبين قيس فتكونون جميعا فيه وأجعل الغزو فيه عقبا بينكم ، فرضوا ذلك فيما بعد»[4] .

وكانت وقعة الحرَّة[5]، التي كانت فيها الواقعة الشنيعة بأهل المدينة ، حينما أخرجوا عامل الخليفة يزيد عليهم ،عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني أمية

---

[1] - إحسان النص: المرجع السابق ، ص184.

[2] - الأصبهاني : المصدر السابق ، ج20 ، ص171 .

[3] - ويرى عواطف العربي شقاور أنه بالإضافة الى التعصب للقبيلة بدأت تظهر عصبية المدن والأقاليم ، فكان عرب كل مدينة ومواليها يتعصبون لمدينتهم ، خاصة بعد تأسيس البصرة والكوفة والفسطاط ، ثم عصبية الأقاليم ،فقد تعصب كل إقليم عربي على الآخر ، ففي عهد معاوية كانت الحجاز سنية ترفض الخضوع للدولة الأموية ، بينما كانت الجزيرة خارجية ، أما الشام فسنيَّة أموية الولاء . (المرجع السابق ، ص152).

[4] - الأصبهاني : المصدر السابق ، ج20 ،ص 171 ؛ ويظهر من هذا أن النزاع قد ازداد حدة وضراوة في العصر الأموي عما كان عليه من قبل ، فهو لم يعد يدور حول مورد ماء أو منبت كلأ ، وإنما أصبحت له دوافع أخطر شأنا وأعمق جذورا ، كالنزاع على مدى القرب أو البعد من دوائر السلطان السياسي وطبيعة الوظائف والمهام التي توكل لقبيلة دون أخرى .

[5] - الحَرّة : موقع قرب المدينة يعرف بحرة واقم . (الحميري : الروط المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي مع مسرد عام ، تحقيق إحسان عباس ، دار القلم للطباعة والنشر 1975، ص192)

لِما شملهم من ظلمه ، وما ظهر منه حين قتل الحسين ،وكان إخراجهم عن إذن ابن الزبير فسيَّر إليهم يزيد جيوش أهل الشام ، عليها مسلم بن عقبة المري الذي روّع أهل المدينة ونهبها وقتل أهلها وأرغمهم على مبايعة يزيد[1] .وقامت ثورة عبد الله بن الزبير الذي اعتمد على عصبيتة الحجازيين من قريش ضد الأمويين ، وثورة المختار الثقفي [2] .

وقد برزت العصبية بصفة واضحة عند وفاة يزيد بن معاوية سنة 64هـ/684م ، وتنازل ابنه معاوية الثاني عن الخلافة ، وتفكك التحالف القبلي الذي قام عليه مُلك بني أمـــــية ، و أعادت معركة مرج راهط سنة 64هـ/684م بين القيسية بقيادة الضحاك وبين الأمويين بقيادة مروان بن الحكم للصراعات العربية الضغائن العصبية القديمة ، فقد عزم مروان على مبايعة ابن الزبير فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد وقال له :إنك شيخ بني عبد مناف فلا تفعل ، أما الضحاك فكان حليفا لإبن الزبير وإنحازت إليه قيس وسائر مضر وأناس من قضاعة ، بينما كان حلف مروان مؤلف من القبائل العربية الجنوبية ، والتقيا بمرج راهط شرق دمشق[3] ، فقُتِل الضحاك وعدد كبير من أصحابه ، وقررَّ هذا الإنتصار الذي حققته القبائل الكلبية (الجنوبية) على القيسية (الشمالية) سيادة الأمويين ووضع حدٍ للخلافات القديمة بين قبائل شمال الجزيرة العربية وجنوبها[4] ، وكانت وقعة دامية فقد فيها القيسيون عددا كبيرا من قادتهم ومنوا بالهزيمة ، فكانت عند إحدى الجماعتين أنشودة النصر وعند الأخرى صرخة الألم والإنتقام ، وهو ما يعبر عنه قول الشاعر القيسي زفر بن الحارث:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهطٍ لِمروان صدعا بيننا متنائيـــــــــا
أربي سلاحي لا أبا لك إنـــني أرى الحرب لاتزداد إلا تماديـــــــا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا وتترك قتلى راهطٍ هي مـــــا هيا[5]

---

[1] - الإصبهاني: المصدر السابق ،ج20 ،ص 171 .

[2] - ابن الآثير : المصدر السابق ، ج3 ، ص305 .

[3] - ابن الآثير : المصدر السابق ، ج3 ، ص 315.

[4] - الحميري : المصدر السابق ، ص 536 ؛ ياقوت الحموي :معجم البلدان ،دار بيروت للطباعة والنشر ، ج3، ص21 ؛ الموسوعة العربية الميسرة : إشراف محمد شفيق غربال ،دار الجيل 1995 ،ج2 ،ص 1679.

[5] - الحميري : المصدر السابق ، ص 537 ؛ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج3 ، ص21 ؛ رينهارت دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا ، ترجمة حسن حبشي ، مراجعة جمال محرز . ومختار العبادي ، المؤسسة المصرية العامة=

وأخذت القيسية بعد ذلك تهاجم القبائل اليمنية في البوادي والحواضر طلباً للثأر والإنتقام[1].

واستمرّ خلفاء بني أمية في إذكاء روح العداء . حيث أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (101ـ105هـ/719-723م) أثار روح العصبية بين اليمنية والمضرية بإعلانه الإنضمام للمضرية وجعلها تستأثر بعطف الخلافة على حساب باقي القبائل[2].

و لم تكن الصراعات بين القبائل العربية فحسب ، بل تعصبت الدولة الأموية للعروبة والعنصر العربي ، لدرجة جعلت الجاحظ يلاحظ أن«دولة بني العباس أعجمية خرسانية ، ودولة بني مروان عربية أعرابية »[3] ، فقد وضعت الأقوام غير العرب في منزلة إجتماعية أدنى من العرب وأبعدوهم عن القيادة ، وفرضوا عليهم الضرائب أكثر ممّا فرضوه على العرب ، وكان المسلمون من غير العرب يجدون ظلما من تمييز العنصر العربي عليهم ، وأصبحت العروبة محلّ تقديس وتفوق في أذهان الناس ، وصار العرب يشعرون بالعِّزة العربية ويعتبرون أنفسهم أرقى الأجناس ، مما دفعهم الى العصبية العربية[4] ، غير أن هناك من يدحض وينفي ذلك عن بني أمية مثل عبد العزيز الدوري الذي يرى أن الأمويين لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة والموروثة ، وما يُقال عن احتقار العرب للموالي فيه نظر[5] ، وهناك من يبرر ذلك بمبررات ظرفية مثل عواطف العربي شنقاور الذي يرى أن ذلك الإنتماء للجنس العربي كان.

=للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،ج1 ،ص89 ؛ ولقد حاول الخليفة عبد الملك ابن مروان التخفيف من حدة العصبية بين اليمنية والمضرية ، فصالحَ زفر ابن الحارث زعيم القيسية وصاحب الأبيات السابقة وقربه وأبناءه ، وأصبحت القيسية جزءاً من جيشه .(البلاذري : المصدر السابق ، ج5 ، ص 314).

[1] - الأصبهاني : المصدر السابق ، ج17 ، ص112 ؛ البلاذري : المصدر السابق : ج5 ، ص 178 ؛ ويرى إحسان النص أن إندماج القبائل ببعضها في الحواضر التي انتقل إليها العرب أثناء فتوحاتهم لم يتحقق بسرعة ، خاصة أن توزيع العطاء على الجند واستنفار المقاتلين فرض على الدولة أن تخطط الأمصار على أساس قبلي ، وهو مازاد من إحتدام العصبيات ونشوب الفتن.(المرجع السابق ،ص 252).

[2] - الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، مؤسسة عز الدين للطباعة بيروت ،1985، ج2، ص14.

[3] - المصدر السابق : ج1 ، ص 223 ؛ علي حسن الخربوطلي : عشر ثورات في الإسلام ،دار الآفاق بيروت،1968 ،ص 122.

[4] - الجاحظ : المصدر السابق ، ج3 ، ص 332.

[5] - عبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ، دار اليقظة للطباعة والنشر بيروت ، 1962، ص15.

ضروريا من أجل توطيد العقيدة والثقافة الإسلامية ، خاصة بعد إتساع الدولة ودخول العديد من العناصر غير العربية الى الإسلام[1] .

وإذا سلمنا بتفضيل العرب على غيرهم من العناصر الأخرى من طرف الدولة الأموية، جاز لنا القول أن ذلك ما دفع بالأعاجم من أهل خرسان وما وراء النهر الإنضمام تحت لواء أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخرساني ، ودفع الأمويون ثمنا غاليا لهذه العصبية بعدما ثارت ضدهم كل الشرائح الإجتماعية من شيعة ، وخوارج وموالي ، فضلا عن من تخلى عنهم من العصبيات العربية التي كانت تؤازرهم[2]. لكنها بدون شك حملت معها عندما انتقلت الى الأندلس بوادر تلك الخلافات بذهنياتها ونزعاتها العصبية .

إنتقال العصبية القبلية الى الأندلس:

دخول العرب الأندلس:

دخل العرب الأندلس أثناء عملية الفتح وبعدها فرادى وجماعات متتالية عرفت بإسم الطوالع ، يضاف إليها من هاجر من عرب الشام والعراق ومصر، وكان دخولهم إليها رفقة جيش طارقٍ بن زياد في عدد قليل من بين اثنا عشرألفا أغلبهم من البربر[3]، بينما مثلت طالعة موسى بن نصير سنة 93هـ/711م أكثر تلك الطوالع عددا حيث بلغت ثمانية عشر ألفا أغلبهم من القبائل العربية اليمنية[4]، ثم قدم الحر بن عبد الرحمان الثقفي واليا على الأندلس

---

[1] - المرجع السابق ، ص 156.

[2] - المسعودي : المصدر السابق ، ج3 ، ص228 – ص232 ؛ ابن الآثير : المصدر السابق ، ج4، ص295.

[3] - مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989، ص101 ؛ ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989، ص23 ؛ المراكشي(عبد الواحد بن علي): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت لبنان ، 1998،ص11 ؛ ابن خلدون(عبد الرحمان بن محمد): العبر،ط2، منشورات دار الكتاب البناني للطباعةوالنشر1979، ج.7، ص.254 ؛ ابن كثير(أبي الفدا إسماعيل):البداية والنهاية ، اعتنى بها ووثّقها عبد الرحمان اللاذقي ومحمد غازي بيضون ، ط3، دار المعرفة بيروت 1998 ،ج.9، ص. 102 .

[4] - المقري(أحمد بن محمد التلمساني):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار صادر ، بيروت 1968،ج.1 ، ص. 269 ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1981، ص120؛ عبد الواحد ذنون طه :دراسات أندلسية ، دار المدار الإسلامي ، 2004، ص.73.

سنة 97هـ/715م ومعه أربعمائة رجل[1] من العرب .وكونت هذه المجموعات من العرب والبربر الأوائل كتلة واحدة عرفت بإسم البلديين تمييزا لهم عن مجموعة أخرى دخلوا الأندلس سنة 124هـ/741م مع بلج بن بشر القُشيري بلغ عددها ثمانية آلاف من العرب القيسية وألفين من موالى بني أمية عرفت باسم طالعة الشاميين[2] ، إضطروا الى الجوء للأندلس بسبب الأوضاع الناتجة عن حوادث ثورات الخوارج ببلاد المغرب[3]، ويُستنتج مما ذكره المقري أنه بعدما تمّ فتح الأندلس «صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم همهم الى الحلول بها ، فنزل بها من جراثيم العرب[4] وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم »[5] أن قدوم العرب لم يقتصر على هذه الدفعات ، بل أنهم كانوا خليطا من القحطانية والعدنانية غير أن القحطانية «هم الأكثر ...والملك فيهم أرسخ إلا ما كان من خلفاء بني أمية »[6]ومعنى ذلك أن نفوذ اليمنية تفوق على نفوذ القحطانية في عهد الحكم الأموي وهو ما يقصده المقري .

ويقدر عبد الواحد ذنون طه عدد الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبرية بثلاثين ألف رجل توزعوا في مختلف النواحي[7]

مناطق توزيعهم :

استقر العرب في الأراضي المفتوحة واحتفظوا بتنظيمهم القبلي[8] ، حيث نزلت كل قبيلة مع من يتبعها من عشائر في مناطق خاصة بها ، وكان إستقرارهم على طول سير خطوط الفتح إبتداء من الجزيرة الخضراء وحوض الواد الكبير وإشبيلية ولبلة وباجة حتى بطليوس

---

[1] - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان ، ج.2 ،ص.5 ؛ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص.120.

[2] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص.30.

[3] - ابن الخطيب (لسان الدين): الإحاطة في أخبار غرناطة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2003 ، ج1، ص19؛ المقري: المصدر السابق ،ج1 ، ص293.

4 - جرثومة الشيء أصله ، أنظر ابن منظور: المصدر السابق ، ج3 ، ص 256.

[5] - المقري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 290 ؛ ألبير حبيب مطلق : الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، المكتبة العصرية بيروت لبنان ، 1967، ص21.

[6] - المقري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 293.

[7] - المرجع السابق ، ص75.

[8] - المقري : المصدر السابق ، ج1، ص255.

وطليطلة مرورا بقلعة أيوب حتى سرقسطة ، وهو خط الفتح الذي سلكه موسى ، أما خط الإستقرار الثاني فهو الخط الذي سلكه طارق ، ويمتد من أحواز قرطبة حتى طليطلة مرورا بقلعة رباح كما استقروا في المناطق الشرقية بضواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقنت وألمرية ومالقة ، وعلى طول الساحل الشرقي حتى برشلونة[1] .

وقد نزل العرب المناطق السهلية وضفاف الأودية و الأنهار الكبرى مثل نهر الواد الكبير وواد شنيل وواد تاجة والسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية يقول المقري:« وسكنت العرب المفاوز وكان العرب والبربر كلما مرَّ قوم منهم بموضع استحسنوه وحطوا به ونزلوه»[2] وكان استقرار القبائل والعشائر العربية المختلفة عبر هذه المناطق ، فكانت الكتلة اليمنية أكثر في نواحي إشبيلية وغرب الأندلس وفي أقاليم ألبيرة وغرناطة وجيان ، أما سرقسطة فغالبية من نزلوا بها هم من الخزرج وعذرة وقضاعة وتجيب وكندة وجذام وهي كلها قبائل يمنية ، بينما غلب عرب الشمال على مرسية وطلبيرة وبلنسية ، أما قرطبة فقد تعددت القبائل العربية النازلة بها من قيسية ويمنية[3].غير أن أغلب عرب الشمال دخلوا الأندلس مع بلج بن بشر القشيري وقد أنزلهم أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي لَّما وُلي على البلاد في كور الأندلس وفرقهم عن قرطبة فأنزل أهل دمشق بألبيرة وأهل الأردن برية وأهل فلسطين بشذونة ، وأهل حمص بإشبيلية وأهل قنسرين بجيان وأهل مصر بباجة[4] ، وكان سبب

---

[1] - ابن القوطية: المصدر السابق ، ص28؛ المقري:المصدر السابق ،ج1، ص 258 ؛و انظر أيضا حسين مؤنس : فجر الأندلس ، دراسة تاريخ الأندلس من الفتح الى قيام الدولة الأموية ، القاهرة 1956، ص365 ؛ ألبير حبيب مطلق : المرجع السابق ، ص371.

[2] - المصدر السابق ، ج1 ،ص 276.

[3] - االمقري : المصدر السابق ، ج1 ، ص293 ؛ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص121 ؛ ويشيرعبد الواحد ذنون طه الى أنهم لم يكونوا في ذلك الوقت المبكر يعرفون الكثير عن التقسيمات الإدارية لإسبانيا ، كما لم يكن لديهم الوقت الكافي للتفكير في أمرها ، ولذلك أطلقوا على الأماكن التي اتخذوها لأنفسهم أسماء عربية بسيطة ،وهي " جزء" مثال ذلك ، جزء اللخميين وجزء البكريين ،وكلمة "رَبع" و"منازل" للإشارة الى أماكن جماعات معينة من الأفراد ، مثل ربع اليمن أي منطقة سكن اليمنيين ،ومنازل الأنصار ، أما الأماكن التي كانت باقية في أيدي السكان المحليين ،فقد دعاها المسلمون بأسمائها الأصلية مع تحريف بسيط لتناسب النطق العربي : الفتح والإستقرار في شمال افريقيا والأندلس ، دار المدار الإسلامي 2004 ، ص173ومابعدها.

[4] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص32 ؛ أخبار مجموعة ،ص119 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مراجعة=

تفرقتهم على هذه المناطق (الكور) ، هو العمل على ايجاد جو مناسب لإستقرار القادمين الجدد (الشاميين) الذين بعث بهم الخليفة هشام بن عبد الملك للقضاء عل ثورات الخوارج ببلاد المغرب ، وعَبَرَ عدد كبير منهم الى الأندلس بعد هزيمتهم مع قائدهم بلج بن بشر القشيري ، وصراعهم مع المستقرين الأوائل (البلديون) الذين رفضوا بقاءهم معهم في الأندلس وطالبوهم بالرحيل[1] ، ولأن قرطبة كانت قد ازدحمت كثيرا ، و لم تصبح قادرة على استيعاب قبائل مختلفة ومتنافرة ،فرأى والي الأندلس تفريق الشاميين في مناطق مختلفة ، وأن يمنحهم اقطاعات من الأرض ، حتى يتمكنوا من الإستقرار تحت إمرة قادتهم ، وأن يكونوا جاهزين للخدمة العسكرية عند الحاجة[2] ، وكان توزيعهم في هذه الكور على غرار تجمعاتهم السابقة في بلاد الشام ،وتشير الروايات الى أن أبا الخطار قد تحرى أن يكون استقرار كل مجموعة في مكان يحمل بعض التشابه للجند الأصلي الذي كانت تنتمي اليه في بلاد الشام[3] ،وأصبح لكل قبيلة أقاليم ومناطق خاصة بها مثل إقليم همذان ، وإقليم بني سعد وإقليم كنانة ، وجزء البكريين وجزء اللخميين[4]، ومنهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحمل اسم أصحابها ، كمنزل طيء جنوب مرسية ، ودار بلي شمال قرطبة[5].

و لم تؤكد المصادر دخول الفاتحين بأسرهم الى الأندلس من عدمه ، لذلك يبقى مجرد استنتاجات من طرف المؤرخين المحدثين حيث يذهب حسين مؤنس الى القول بأنهم دخلوها رجالا دون نساء ، فأقبلوا على الزواج من الإسبانيات[6] ، بينما يذهب بيار غيشار الى أنهم دخلوا بصحبة أسرهم ،ويفسر ذلك بقوة الروابط القبلية التي استمرت قائمة في أوساط

= وتعليق نخبة من العلماء ، ط3 ،دار الكتاب العربي 1980، ج4 ،ص160؛عن موقع باجة انظر الخريطة ص32.

[1] - عن الصراع بين البلديين والشاميين أنظر ما بعد ص39.

2 - أخبار مجموعة : ص 119 ؛ ذنون طه : الفتح والإستقرار ، ص 220.

3 - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج1 ، ص20 ؛ ابن عبد الحكم : فتوح افريقيا والأندلس ، حققه وقدم له عبدالله أنيس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب البناني ، بيروت 1964، ص102 ؛ ابن حزم : الجمهرة ، ص201 المقري : المصدر السابق ،ج3 ، ص46؛ ابن الأبار: الحلة السيراء ،ج1 ،ص 127؛ ذنون طه : نفس المرجع ، ص221 ؛ عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ص 122.

4 - عبد الواحد ذنون طه : دراسات أندلسية ، ص 76.

[5] - ابن حزم : المصدر السابق ، ص204 ؛ ألبير حبيب مطلق : المرجع السابق ،ص 23.

6 - فجر الأندلس ، ص365.

العرب والبربر ، والتعصب القبلي الذي عرفته الأندلس بعد ذلك[1] . ويذكر صاحب أخبار مجموعة أن عبد العزيز بن موسى هو أول من شجع الزواج بالإسبانيات ، حينما تزوج بأرملة ملك القوط إخولونا[2] ، وبعد ذلك تضاعف عدد العرب مع من انضّم اليهم من مواليهم .

مناطق استقرار البربر في الأندلس:

دخل البربر جزيرة الأندلس بأعداد كبيرة ضمن حملة طارق بن زياد التي قدرتها المصادر التاريخية مابين سبعة آلاف واثنا عشر ألفا من المسلمين « جلهم من البربر والموالي »[3]، ويذكر المقري أن تيار الهجرة البربرية استمرّ نحو الأندلس من كل وجه ولحقوا بطارق[4]، و يحتمل عبد الواحد ذنون طه دخول أعداد منهم مع حملة موسى بن نصير أيضاً[5] .

وإذا كانت أغلب الهجرات العربية قد تّمت في عصر الولاة ، فإن هجرات البربر بإتجاه الأندلس ظلّ مستمرا طوال مراحل التاريخ الإسلامي للأندلس ، ويفسر حسين مؤنس ذلك بحكم الجوار أولا وبحكم الجاذبية الخاصة لشبه الجزيرة الأندلسية على البربر ثانيا ، ولأسباب سياسية ثالثا[6] . بينما يرى ابراهيم القادري بوتشيش أن بربر الأندلس تكونوا نتيجة امتزاج تاريخي من أربع مجموعات .أولها تلك التي دخلت مع الفتح ، والثانية هي التي جلبها المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش ، والثالثة صنهاجة اللثام ، والرابعة تألفت من بربر العدوة الذين دخلوا الأندلس خلال عهد المرابطين[7]. و أصبحوا أكثر عددا من العرب ، حيث يعلل حسين مؤنس غلبت البربر على العرب من حيث العدد بإعتماده على النص الذي أورده ابن

---

[1] - Pierre Guichard : Structures Sociales « Orientales et Occidentales » dans LEspane musulmane , Paris , Lahaye, 1977, p.173.

[2] - مجهول : أخبار مجموعة ، ص 104.

3 - مجهول : أخبار مجموعة ، ص97 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص6 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص254 ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص231 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4 ، ص119 ؛ وينفرد ابن قتيبة بتقديرهم بألف وسبعمائة رجل فقط (الإمامة والسياسة : تحقيق د . طه محمد الزيني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ج2 ، ص60).

4 - المصدر السابق : ج1 ، ص 259.

5 - دراسات أندلسية : ص76.

6 - فجر الأندلس ، ص379.

[7] - مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عهد المرابطين ، دار الطليعة ، بيروت 1998،ص35.

القوطية والذي يذكر فيه أن أهل الأندلس مكثوا سنين لا يجمعهم والي بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، إلاّ أن البربر قدموا على أنفسهم أيوب بن حبيب اللخمي ، مما يدل على أنهم كانوا غالبين على الأمر في الأندلس حينذاك ، وإلاّ لما استطاعوا تولية والي يرضاه الجميع[1] .

مناطق توزيعهم :

لم يختلف البربر عن العرب في احتفاضهم بتنظيمهم القبلي ، فكان أكثرهم من قبائل مطغرة ومديونة ومكناسة وهوارة وهي القبائل التي كان يتألف منها جيش طارق[2] ، وكلها قبائل بترية ، ثمَّ ضمَّت الهجرات اللاحقة مجموعات من فرع البرانس مثل وزداجة ، وملزوزة ومغيلة ومصمودة وأوربة وصنهاجة[3] .

وكان استقرار البربر في الأندلس موزعا على طول خطوط الفتح التي سلكها طارق ابن زياد وموسى ابن نصير[4] ، وقد لاحظ ذنون طه أنهم استوطنوا أقاليم مختلفة نسبت إليهم مثل إقليم زناتة ومصمودة في كورة بلنسية ، وإقليم البربر في الجزيرة الخضراء ، وإقليم لماية في كورة ريَّة[5] ، غير أن غالبيتهم كانوا في المناطق الغربية والشمالية[6]، إذ يشير المقري في حديثه عن ثورة البربر على عبد الملك ابن قطن أنهم كانوا «في جموع لايحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه إلى أن غلبهم العرب حتى ألحقوا فلولهم بالثغور»[7] ، وهو يشير بذلك إلى ثورات البربر التي إندلعت في الأندلس متأثرين بأحداث ثورات الخوارج في بلاد المغرب والتي انطلقت من المناطق الشمالية ، ويجعله دليلا على كثرتهم في تلك المناطق ، والواقع أن

---

[1] - فجر الأندلس ، ص378.

[2] - ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص106.

[3] - ابن حزم : المصدر السابق ، ص112.

[4] - المقري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص74.

[5] - دراسات أندلسية ، ص78 ؛ ولاتزال بعض المناطق الى اليوم تحمل أسماء القبائل والفروع البربرية التي سكنتها مثل Sanet قرب لاردة نسبة الى زناتة و Cenija ضاحية من ضواحي سرقسطة نسبة الى صنهاجة وCotimos في البرتغال نسبة الى كتامة وهكذا .(ذنون طه نقلا عن سيزار دوبلر: الفتح والإستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، ص275.

[6] - أنظر مجهول : فتح الأندلس ، نشر دون خواكين دي جانثالث ، الجزائر ، ص21.

[7] - المصدر السابق ، ج3 ، ص21.

البربر مثل العرب استقروا في جهات مختلفة من الأندلس ، فحسب حسين مؤنس فإن منازلهم كانت تكّون خطا يبدأ من نواحي جبال ألبرت عند لاردة ووشقة مرورا بمدينة سالم التي سكنها بنو سالم من البرانس وأعطوها اسمهم ، والمناطق المحيطة بها مثل شنتبريه و السهلة، ووادي الحجارة ، وأحواز طليطلة ، ويمتد باتجاه الشرق ، ثمّ تتصل لتشمل طلبيرة ، وماردة وقورية غربا حتى تتصل بالمحيط الهادي [1].

ورغم ما يُلاحظ من توزيع منازل البربر على نطاق واسع في الأندلس ، إلا أن بعض الباحثين الغربيين يرجحون أن العرب اختصوا أنفسهم بأحسن الأقاليم والنواحي ، ودفعوا البربر إلى المناطق الوعرة والقاحلة ،ومن هؤلاء دوزي الذي يرى أن العرب إستأثروا بالأراضي الخصبة وأقصوا البربر ألى سهول لامانشيا واسترامادورا الجدباء ، والمناطق الجبلية القاحلة في ليون ، وغاليسيا وأشتوريس حيث وقع عليهم عبء مكافحة النصارى[2] ، ويوافقه في ذلك ج .س. كولان الذي يزعم أن المهاجرين العرب الذين تألفت منهم الطبقة الإرستقراطية دفعوا البربر إلى المناطق الجبلية[3] ، وهو أيضا رأي ليفي بروفنسال[4]، أما بيار غيشار يرى أن إستقرار البربر لم يقتصر على المناطق الجبلية ، بل شمل أيضا المناطق السهلية ، والحواضر [5] .

ويعتبر هؤلاء أن ذلك التقسيم المجحف للأقاليم المفتوحة كان من عوامل ازدياد االشقاق بين العنصرين الفاتحين ، العرب والبربر ، بينما يرى آخرون أن العرب لم يختصوا أنفسهم بأحسن الأراضي ، ويرجعون أسباب ذلك الخلاف الذي كان قائما بينهم إلى عوامل أخرى ، حيث يذهب حسين مؤنس إلى أن العرب لم يختاروا مواضعهم ، ولم يكن لديهم معرفة سابقة عن شبه الجزيرة الأيبيرية حتى يميزوا بين المناطق الخصبة والمناطق القاحلة، بل إن الفاتحين الأوائل عربا وبربرا استقروا حيث نزلوا ، ولجأ كل فريق منهـــــــــم إلى

---

[1] - المرجع السابق ، ص 387.

[2] - تاريخ مسلمي اسبانيا ، ترجمة حسن حبشي ، مراجعة جمال محرز ومختار العبادي ، المؤسسة العلمية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج1 ،ص 175.

[3] - المرجع السابق ، ص89.

[4] - Histoire de L Espgne Musulmane , La Conquete et L emirat Hispano-Umayade, Paris, Leiden, 1950, T . 1 , P . 87.

[5] - Pierre GuicharD : op . cit, p.251.

ما يناسب مزاجه من النواحي ، ويستدل على ذلك بأن عرب الطالعة الأولى كانوا دائما أحلافا للبربر على الشاميين ، وساءهم أن يشاركوهم أرضهم[1] ، بينما يفسر عبد الواحد ذنون طه إختيار البربر للمناطق الجبلية في الأندلس ، بكونها تشابه أماكن استقرارهم الأصلية في شمال إفريقيا ، وأن عامل الصدفة وحده هو المتحكم في استقرار العرب و البربر ، بل إن البربر حسب رأيه كانوا في وضع أفضل لإختيار أحسن المناطق لقربهم من الأندلس و اطلاعهم عليها[2] ، ويبدو أن العرب حتى وإن كانوا قد استقروا ببعض المناطق الخصبة ، فإن أرض الأندلس فيها من الخيرات ، والبسائط ، والسهول والأنهار ما يزيد عن حاجة العرب والبربر جميعا ، وإذا صحّ ذلك على المناطق القريبة من الحواضر الكبرى مثل قرطبة و إشبيلية فإنه لا ينطبق على بقية المناطق الأخرى.

ومما سبق نستنتج مايلي:

ـ العصبية بمفهومها الإصطلاحي تتجاوز مدلولها اللغوي ،فهي لا تقتصر على النسب والرابطة الدموية فحسب بل تتعدى ذلك إلى الحلف والولاء لأن النسب أمر وهمي لا حقيقة له .

ـ العصبية هي المولد الدائم للصرعات والفتن ، فهي تضغط نفسيا على الفئات التي تهيمن عليها ، فتدفعها إلى تحقيق ما هو أرقى وأعلى في مجال السلطة .

ـ إن ظاهرة العصبية ارتبطت بالمجتمعات العربية منذ القدم في موطنهم الأول بشبه الجزيرة العربية وساهمت تلك البيئة في تجذرها وأصبح الإعتزاز بالنسب والتعلق بالقبيلة من مميزات الإنسان العربي.

ـ إن صراع العصبيات بلغ من الحدة في العصر الأموي مدى لم يبلغه في العصور السابقة ، وتوافر لها من دواعي الإشتداد والإثارة فيه ما لم يتوافر لها مثله من قبل.

ـ لم يقتصر الصراع على موطن العرب الأول في شبه الجزيرة العربية ، انتقل معهم إلى المناطق البعيدة التي تمّ فتحها واستوطنوا بها مثل الأندلس.

---

[1] - المرجع السابق ، ص387.

[2] - الفتح و الإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، ص260.

الفصل الثاني

الصراع العربي- العربي

فتح الاندلس و بداية الصراع :

عهـــــــد الـــــــولاة :

في هذا الفصل نحاول أن نتتبع الصراع العربي- العربي في مظاهره و صوره المختلفة ، ذلك الصراع الذي كان يتسع حتى يتحول إلى حروب طاحنة تمتـــد لفترات طويلة ، و كان أحيانا محدوداً زماناً و مكانا مما يَسْهل القضاء عليه ، و الّلافت هو إرتباطه بالنزعة القبلية بين اليمنية و المضرية ، و هو صراع قديم ظلّ يتجدد في المناطق و الأقاليم التي خضعت للحكم العربي ومنها الأندلس.

وقد أصبحت الأندلس بعد الفتح جزءاً من ولاية إفريقية و تحت المسؤولية المباشرة لوالي القيروان حتى سنة 138هـ/755م وهي فترة حكم الولاة التي تولى المسؤولية فيها طوال هذه الفترة واحد و عشرون والياً ، و منذ البداية بدأت مظاهر الصراع تظهر، تارة بين قادة الجند، و تارة أخرى بين ولاة الأندلس و ممثل الخلافة بالقيروان ، تغذيها الرغبة في السلطة أحيانا ،أو في الإنتقام و الثأر لقضايا قديمة ، أحيانا أخرى ، و قد أُستغِلت النزعة القبلية أقصى إستغلال في الصراع بين القبائل العربية نفسها ، أوبين العرب والبربر ، الذين أصبحوا يشكلون رقماً هاماً في المجتمع الأندلسي ، أو بين السلطة وبعض الأقليات الأخرى كالمولدين و المستعربين[1] .

و تعود أولى بوادر التوتر إلى الخلاف الذي وقع بين موسى بن نصير و قائده طارق بن زياد ، فقد أمره بإيقاف الفتح و كتب إليه يتوعده ، إن هو توغل بغير إذنه ، و يأمره ألاّ يتجاوز مكانه حتى يلحق به[2]. ذلك أن موسى بن نصير لمّا وقف على َمبْلَغ فوز طارق وتقدمه حسده على ذلك ، خشية أن يُنسب الفتح إليه [3] .

كما عرفت الأندلس ،في الفترة التي تلت الفتح، تنوعا في العناصر التي كونت المجتمع الأندلسي من حيث الجنس و العقيدة و الثقافة : فهناك العرب الفاتحون (البلديون) و العرب الوافدون ، و المسالِمَة أي الإسبان المستعربين الذين دخلوا الإسلام ، و العجم الذميين الذين

---

[1]– ذنون طه : الفتح والإستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس ، ص 286.

[2] - ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 76 ؛ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 23 .

[3] – أخبار مجموعة :ص 110 ؛ البلاذري : المصدر السابق ،ص 223 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 254 .

بقوا على دينهم و المولدين وهم نتاج التزاوج بين العرب و الإسبان و البربر الذين شاركوا في عملية الفتح[1] .

و يرى عبد الله عنان أن هذا المجتمع الجديد الذي جمع الإسلام بين عناصره ، على أساس العدل و المساواة ظلت الأهواء و النزاعات و فوارق الجنس و العصبية تمزقه ، فالقبائل العربية ماتزال تحتفظ بمنافساتها القديمة [2] .

و هذا الفصل يتناول صراع العصبيات العربية ويتعرض لأبرز الأحداث التي صاحبته وأثرت فيه ،ويحاول الوقوف على أسبابها وحيثياتها منذ بداية الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط.

عبد العزيز بن موسى و بداية الصراع :

عاد موسى بن نصير إلى المشرق، بأمر من الخليفة الوليد بن عبدالملك سنة 95 هـ/ 755م ،مخلّفاً ابنَه عبد العزيز على الأندلس[3] ، فكان أول والٍ لها من المسلمين[4] ، و قد أنزله أبوه إشبيلية ليتخذ منها عاصمة لولايته و جعل دير"سانتا مارينا" مقرا له ولزوجته إيخولونا أرملة ردريك ملك القوط[5] ، وقام بفتح ما بقي من مدائن الأندلس ، و أحاط نفسه بالعديد من القادة العرب ، منهم حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي ، و زياد بن عذرة البلوي ، وربما كان يريد من وراء هذا الإختيار أن يوفق بين الجند الذين ينتمون إلى قبائل عربية مختلفة حتى لاتستأثر قبيلة دون أخرى بمراكز النفوذ والقيادة ، ويخفف من حدة الصراع الذي قد ينجم بسبب التعصب القبلي، لأن هؤلاء القادة كانوا بمثابة وزراء و مساعدين له[6] .

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 119.

[2] - دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط3، القاهرة ، 1960 ، ج1، ص 66 .

[3] - أخبار مجموعة : ص 105 .

[4] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 25 ؛ أخبار مجموعة ، ص 107 ؛ المقري : نفح الطيب، ج 1، ص299 .

[5] - ابن القوطية : المصدر السابق، ص26 ؛ ويسميها صاحب أخبار مجموعة بأم عاصم ، ص 104 .

[6]- ابن عذاري :المصدر السابق ، ج2 ، ص 23.

ولكن رغم الجهود الكبيرة التي قام بها لتثبيت أقدام المسلمين بالأندلس و ضبط سلطانها ، و سد ثغورها و إفتتاحه لمدائن كثيرة كما يقول ابن عذاري ، إلا أن مدة حكمه لم تطل لوثوب الجند عليه وقتلهم له لأسباب نقموها عليه[1].

فماهي دوافع قتله؟ ، وهل كان ذلك نتيجة لصراع العصبيات الذي بدأت ملامحه تلوح في الأفق ؟ .

لقد إختلفت الروايات في سبب حادثة الإغتيال[2]، فابـــــن قتيبه وابن عذاري ، يرجعان سبب قتله الى خلعه طاعة الخليفة سليمان بن عبد الملك في محاولة للإستقلال بالأندلس والإنفراد بالحكم على كل المناطق التي تمّ فتحها [3] ، ويرى محمد زيتون أن سياق هذه الرواية الأخيرة يدل على أنها موضوعة ، ذلك أن الخليفة كان بإمكانه أن يطلب منه أن يأتي إلى دمشق ويعزله، مثلما فعل مع أبيه موسى بن نصير[4]. وقد يكون السبب في إغتياله إختلافه مع بعض قادة الجند ، و أن الذين إغتالوه كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم في شبه الجزيرة ، مما يوحي بأن الصراع على السلطة في الأندلس هو الذي كان وراء عملية الإغتيال ، ورواية صاحب أخبار مجموعة يُستَشفُّ منها نفي الإغتيال عن الخليفة سليمان ، ذلك أنه لما بغله مقتله شقّ عليه ذلك و أمر عامله على إفريقية محمد بن يزيد القرشي أن يتشدّد في معاقبة قاتليه وأن يقبض على حبيب بن أبي عبدة و زياد بن النابغة المتهمان بذلك ، وأن يقفلهما إليه مع من شاركهما في حادثة الإغتيال [5]، ومهما يكن من تفسير لهذه الحادثة إلا أن مظهر الصراع بين قادة الجند بدأ بتصفية أول ولاة الأندلس .

---

[1] - نفس المصدر ، ج 2 ، ص 34

[2] - رواية ابن عبد الحكم ترجع ذلك إلى أنه تزوج ابنة لذريك ملك القوط الذي قتله طارق، وطلبت منه أن يتشبه بالملوك حتى يعظمه الناس ويسجدون له كما كانوا يفعلون مع أبيها ، حتى ذهب البعض إلى أنها نصّرته فكان ذلك سبب قتله (المصدر السابق ، ص 285) .

[3] - ابن قتيبه الدينوري : الإمامة و السياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، د ط ،ج2 ،ص 79؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص34؛ وهوأيضا ما يراه المستشرق سيمونيت الذي يعتقد أن عبد العزيز كان يدبر مشروعا إستقلاليا ويسعى الى تأسيس مملكة على أنقاض المملكة القوطية.

F.j.simonet :Historia de los Mozarabe de Espana,Vol.1, P.147

[4] - المسلمون في المغرب و الأندلس ، 1990 ، ص 192 .

[5] - أخبار مجموعة : ص 105 .

و لعلى إختيار أهل الأندلس قريبه أيوب بن حبيب اللخمي ، ابن أخت موسى بن نصير والياً على الأندلس بعد مقتله ، فيه ما يبرئ الخليفة سليمان بن عبد الملك من أمرهم بقتل عبد العزيز ، و أنهم لم يرضوا بذلك ، وإلا لكانوا قد اختاروا غيره لإحتمال قيامه بالثأر لقريبه [1] .

ولعلى ما يذهب إليه محمد عبد الله عنان من تفسير لذلك على أنه لم يستطع أن يوفق بين مختلف القبائل ولا أن يهديء من فورة الجند نظرا لبروز مظاهر الصراع في وقت مبكر[2] ، هو الأقرب إلى الصواب، خاصة أن مسألة الولاية في بلاد مثل الأندلس وما تتمتع به من خيرات كانت تثير شغف كثير من العناصر والعصبيات والقادة الطامحين للسلطة والإستئثار بالنفوذ والملك ، وهذا في رأينا ليس غريبا فقد حدثت قبل ذلك كثير من الحزازات ، والخلافات بين قادة الفتح ، من ذلك ما حدث بين عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار ، وبين عمرو بن العاص ومسلمة بن مخلد[3]، وغيرهم من قادة الفتح .

السمح بن مالك ودوره في إخماد الصراع:

أقال والي إفريقيا محمد بن يزيد القرشي أيُّوبًا ابن حبيب، رغم أنه كان رجلا صالحا بعدما لبث في الولاية ستة أشهر ، إقتصر دوره على إمامتهم في الصلاة[4] في إنتظار الوالي القادم ، وولّى مكانه الحر بن عبد الرحمان الثقفي الذي قدمها في جماعة كبيرة من وجوه إفريقية سنة 97هـ /716م ، وقد دامت ولايته عليها ثلاث سنين أنفقها في قمع الفتن والخصومات التي كانت قائمة بين مختلف العصبيات، وإصلاح الجيش و مطاردة الخوارج و المعتدين من الجنـــد[5]، «وإعادة تنظيم الحكم الإسلامي في البلاد ، ...و الطمأنينة والسلام حتى يتمكن السكان المحليون من دفع الضرائب إلى بيت المال»[6] ، مع أمره بالنظر في شأن من قتل عبد

---

[1] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 25 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 35 .

[2] - دولة الإسلام في الأندلس ، القسم الأول ، ص71.

[3]- أنظر محمد بن عميرة : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، ديوان المطبوعات الجامغية ،الجزائر 2008،ص85.

[4] - يشير ابن عذارى الى أن مسلمي الأندلس بعد إختيارهم أيوبا لإمامة الصلاة ظلوا فترة من الوقت بدون أمير ، وهو ما يعني أنهم لم يتفقوا على إختيار الوالي الجديد ، وأن مهمة أيوب ظلت محدودة ، حتى قدوم الحر بن عبد الرحمن . المصدر السابق ، ج2 ، ص35.

[5] - أخبار مجموعة: ص 104.

[6] - مجهول : فتح الأندلس ، نشر دون خواكين دي كونثاليث ، الجزائر 1889، ص23.

العزيز بن موسى ، لكن الخلافات العصبية إستمرت و لم يستقر للحر قرار[1] ، و هو مايعني أن صراع العصبيات في الأندلس كان يتطلب شخصية أكثر حزما و عدلاً للتوفيق بين الاطراف المتنازعة ، و ذلك ماقام به الخليـــفة عمر بن عبد العزيز الذي ولّى عليها السمح بن مالك الخولاني [2] ، فقد ظلّ تغيير الـــــولاة بإفريقية و الأندلس مرتبط بتطور أوضاع الخلافة بدمشق و لم يكن عمر بن عبد العزيز راضيـــا عن والي إفريقيّة محمد بن يزيد القرشي ، فوّلى عليها إسماعيل بن عبيد الله المخزومي ، كما ولى على الأندلس السمح بن مالك الذي دخلها مزوداً بنصح الخليفة في إتباع الرفق و العدل ، و إقامة كلمة الحق،وكان وافر الخبرة و الحكمة ، فبادر بفض المنازعات و الخصومات وإصلاح الإدارة و الجيش و تخميس الأراضي التي فتحت عنوة[3]، فالتف زعماء الجند حوله ، وخبت الفتنة و هدأت الخواطر، و استقر النظام و الأمن ، غير أن مقتـــله أدى الى ضياع كثير مـــن الجهود التي بُذلت للحد من الخصـــــــــــومات و المنافسات، خاصة ما تعلق بالخلافات بين قـــــادة الجند التي كانت تحركها الصراعات القبيلة و التي خفّت في عهده إلى حدٍ كبير[4] .

تأثير الصراعات العصبية على الأوضاع السياسية والإدارية :

بعد إستشهاد السمح[5] قدّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي الذي استطاع أن يخمد الفتن ويصلح الأمور إلى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد ابن أبي مسلم ، عامل إفريقية ، واليا على الأندلس سنة 103هـ/721م , واستمرت ولايته

---

[1] - أخبار مجموعة : ص 105 .

* إن ولاة إفريقيا كانت تدفعهم الميول العصبية تجاه من يمثلهم بالأندلس فيعزلون هذا و يولون ذاك ، ولعلى تلك الأسباب هي التي كانت وراء عزل أيوب بن حبيب رغم صلاحه كما تذهب المصادر إلى ذلك .

[2] - نفسه ؛ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 25 .

[3] - أخبار مجموعة : ص 106 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ، ص36 ؛ المقري : المصدر السابق ، ج3،ص15.

[4] - الحميدي : جذوة المقتبس ، القاهرة 1966 ، ص237 ؛ ذنون طه : الفتح والإستقرار ، ص 292.

[5] - لايشيرصاحب أخبار مجموعة إلى إستشهاده بل يعتبر أن والي إفريقيّة حنضلة بن صفوان هو الذي عزله وولّى عنبسة ابن سحيم الكلبي مكانه وهو بذلك يخالف اغلب المصادر ،كإبن عذاري و المقري و ابن خلدون ، التي تشير إلى إستشهاده .(اخبار مجموعة. ص 106 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 36 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 257 ؛ المقري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 15) .

أربع سنوات ، حيث أقره والي إفريقية الجديد بشر بن صفوان الكلبي ، في ولايته للأندلس[1] ، وبعد إستشهاده سنة 107هـ/726م، عادت البلاد الى الإضطراب مرة أخرى[2] .

ويشير السيد عبد العزيز سالم الى أن الإضطرابات الناتجة عن صراع العصبيات وإنشغال العرب بتصفية ثاراتهم القديمة عجلت بعودته من الفتح داخل بلاد الفرنجة ، بعد أن فتح مناطق واسعة ، غير أن جموعا من الفرنجة تصدت له في الطريق ، فاستشهد في أحد المعارك[3]. و لم يستقر أمر الأندلس بعد إستشهاده ، فقد تعاقب عليها عدة ولاة ، منهم من لم يلبث في منصبه سوى شهرين[4] ممّا يؤكد حدة الصراعات العصبية .

إختار أهل الأندلس بعد وفاته واحدا منهم ، هو عذرة بن عبد الله الفهري سنة 107هـ/726م ، دون العودة إلى والي القيروان ، الذي لم يصادق على إختيارهم و أرسل أميرا كلبيا جديدا ، هو يحي بن سلمة الكلبي[5]. ثمّ خلفه الهيثم بن عبيد الكلابي الذي اتهم العديد من أغنياء العرب بالتمرد فعذبهم و نفى بعضهم و قتل البعض الآخر[6] .

ويرى عبد الله عنان أن تتابع الولاة على هذا النحو سمح لبقايا القوط الذين انزووا في الهضاب الشمالية على إستعادة قواهم مستغلين فرصة الصراعات العصبية والإضطرابات الداخلية بين العرب [7].

حاول الهيثم بن عبيد الكلابي أن يقمع الفوضى ويرد النظام فراح يضطهد معظم الزعماء العرب و المخالفين له في الرأي ، خاصة اليمنية وأدخل كثيراً منهم السجن

---

[3] - أخبار مجموعة : ص 107 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص27 .

* وربما كان هذا الإقرار بدافع الانتماء المشترك للعصبية اليمنية فكلاهما ينتمي الى قبيلة كلب ، وهو ما جعل فترة حكمه تستمر إلى أربع سنوات و لم نر قبل ذلك واليا إستغرقت فترة ولايته مثل هذه المدة.

[2] - المقري : المصدر السابق ، ج3 ، ص16 ، ذنون طه : الفتح والإتقرار ، ص 297.

[3] - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس , ص 138.

[4] - هؤلاء الولاة هم : عذره بن عبد الله الفهري ، يحي بن سلمة الكلابي ، عثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، حذيفة بن الأحوص القيسي ، الهيثم بن عبيد الكلابي .(أنظر ابن القوطية ، ص 26 ؛ اخبار مجموعة ، ص107 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص37).

[5] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 26 ؛ أخبار مجموعة ، ص 107 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ج2،ص 26.

[6] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ،ص27 ؛ عبد الواحد ذنون طه : الفتح و الإستقرار ، ص 299 .

[7] - المرجع السابق ،ج1 ، ص 82 .

وتتبعهم بالمطاردة [1] ، غير أن المصادر التاريخية لم تشر بالتفصيل إلى تلك الخصومات . ثم قدم عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي[2] سنة 113هـ/731م من قِبل والي إفريقيّة عبيد الله بن الحبحاب « في وقت انبعثت فيه الفتنة في هذه البلاد ... وكان معروفاً بتزاهته و حياده لا يتحيز لفريق على آخر ولذلك قوبلت ولايته بفرحة عمت قلوب أهل الأندلس و استبشر الناس خيراً ... وعزل كثير من القادة و الولاّة الذين ثبتت مظالمهم للرعية » [3]، فأحبه الجند وجمعت هيبته كلمة القبائل فتراضت مضر وحمير وساد الوئام الإدارة و الجيش ، وقد بدأ ولايته بزيارة مختلف الأقاليم يتفقدها و ينظم شؤونها ويسند ولايتها إلى ذوي الكفاءة و العدل ويقمع الفتن و يعالج عوامل الإضطراب ، فأخمد كل نزعة تحاول الخروج و الثورة[4] .

إن الغافقي لم يباشر الجهاد باتجاه غالة ، إلا بعد أن إستطاع أن يتحكم في الوضع الداخلي ويحسم الخلافات و النزاعات العصبية واستغرق ذلك سنة كاملة وهو مايؤكد أن الواقع السياسي في تلك الفترة كان في غاية الصعوبة و التعقيد بسبب ما أفرزته الصراعات سواءا بين قادة الجند أو بين مختلف حكام الأقاليم ، وهو ما تطلب وجود شخصية قوية بقدر شخصية الغافقي تتولى شؤون البلاد وتضبط الأمور ثم تتفرغ لمواصلة الجهاد[5].لذلك نلاحظ أنه كان من الصعب التوفيق بين مختلف العناصر والعصبيات حتى أن الوالي الذي يستطيع تحقيق قدر من العدل و التكافؤ بين طوائف السكان مثلما فعل السمح بن مالك أو عبد الرحمان الغافقي في ولايته الثانية ، يعم الهدوء و السكينة و تخفت حدة النعرات العصبية مما يعطي فرصة لمواصلة الفتح .

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق ،ج2 ،ص28 ؛ عنان : المرجع السابق ، ص82 .

[2] - هذه ولايته الثانية وكانت الأولى سنة 102هـ/721م حينما ولاه أهل الأندلس بعد إستشهاد السمح بن مالك . ويسميه ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله العكي بدل الغافقي (فتوح إفريقية و الأندلس ، بيروت ، 1964 ، ص92) .

[3] - االسيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص141 ؛ وعن ولاية الغافقي الثانية راجع ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج2 ، ص86 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 27.

[4] - عنان : المرجع السابق،ص 84 .

[5] - يقول عبد الله عنان : « وقَمَع الفتن والمظالم ما استطاع ...وعدل نظام الضرائب وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة وقضى صدر ولايته في إصلاح الإدارة ومعالجة ما سرى إليها في عهد أسلافه من اضطراب » المرجع السابق ،ج1،ص 84.

وبعد إستشهاده عوضّه والي إفريقيّة بشر بن صفوان بعبد الملك بن قطن الفهري[1] الذي قدمها سنة 114هـ/732م ، إلا أن سياسته التي تميزت بالظلم و البطش و الجور أثارت عليه سخط وجهاء القبائل و أهل الرأي و أيقضت العصبيات التي هدأت في عهد سلفه، فدب الخلاف بينها ، ولاحت بوادرالفتنة[2] من جديد ، وهو ماجعل عبيد الله بن الحبحاب يعزله سنة 116هـ/734م بعد سنتين من ولايته ، و يُولّى مكانه عقبة بن الحجاج السلولي , وهكذا فإن الإضطرابات الداخلية بالأندلس الناتجة عن الصراعات القبلية كانت تدفع بولاة إفريقية إلى عزل قادة الأندلس الذين يتحيزون لفريق دون آخر ويؤججون بتصرفاتهم نار العصبية و يوّلون من يكون محل إجماع . فجاء عزل بن قطن وتولية عقبة بن الحجاج خلفا له لتحقيق هذا الهدف فقد كان هذا الأخير يشبه ، الى حدٍ كبير ، عبد الرحمان الغافقي في سيرته وعدله ،حيث تُشيد المصادر التاريخية بخصاله وحسن طريقته في إدارة شؤون البلاد ، وتصفه بأنه كان نافذ العزم والهيبة ، محمود الخلال والسيرة ، كثير العدل والتقوى [3] .

عبد الملك بن قطن الفهري والصراع بين البلديين و الشاميين:

استطاع عقبة بن الحجاج أن يقيم العدل ويردّ المظالم ويقمع العصيان ويعزل حكّام الأقاليم الذين يتعصبون لقبائلهم ويدفعون بها الى تأجيج الصراع والعصيان . فاستقرت الأوضاع وهدأت الفتنة وتصالحت القبائل[4] ، غير أن الوالي السابق عبد الملك ابن قطن الذي تمّ عزله عاد من جديد ليحدث انقلابا عليه سنة 122هـ/739م ، معتمدا في ذلك على جموع اليمنية[5]. وقد ظل ابن قطن منذ أن عُزل سنة 116هـ/734م يتحيّن الفرصة ،للخروج والثورة

---

[1] - اخبار مجموعة : ص 107؛ ابن القوطية ،المصدر السابق ، ص 27 ؛ المقري :المصدر السابق ، ج1 ، ص 236 .

[2] - المقري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 19 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج1، ص111.

[3] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص39 ؛ابن خلدون : العبر ، ج7،ص258 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج1 ، ص111.

[4] - المقري : المصدر السابق ، ج3 ، ص19 ؛ عنان : المرجع السابق ،ص 112.

[5] - تختلف الروايات في تاريخ ولاية ابن قطن الثانية ، وفيما إن كان قد قَتَل عقبة بن الحجاج أم أنه إغتنم فرصة وفاته ، ومهما يكن فإن ولايته لم تكن بإقرار من والي إفريقيّة إنما كانت بتأييد من العناصر اليمنية التي كانت تشكل أغلبية القبائل العربية .قارن ابن عذاري: المرجع السابق ، ج2، ص30 ؛ ابن خلدون : العبر، ج7،ص258؛ المقري: المصدر السابق، ج3 ، ص 19.

حتى كان له ذلك بعد تغلبه على عقبة ابن لحجاج[1] ، وهذه أول مرة يتم فيها الإستيلاء على الولاية في الأندلس بالقوة منذ فتحها ، وهو ما يمثل إنقلابا على الوالي الشرعي . و مهما يكن من اختلاف في الطريقة التي تولى بها الحكم ، فإن سيرته في إدارة شؤون الأندلس لا تختلف عن تلك الممارسات التي سار عليها في ولايته الأولى من الظلم والبطش ، وكيف تسبب في إثارة النعرات العصبية التي أدت إلى عزله ، غير أنه في أثناء ولايته الثانية ، سيواجه وضعا جديدا خاصة وأن الأندلس ستعرف تطورا خطيرا للأحداث متأثرة بما يجري في إفريقية ، حيث استبد بالبلاد و اشتعلت على يديه الفتنة بين اليمنية و المضرية ليستمر الصراع العربي العربي مع كل والٍ جديد ، ويرى عبد الله عنـــــان أن هذا الإنقلاب كان: « فاتحة عهد من الاضطراب و الفتـــــن و الحروب الأهليـــــــــة المتصلة »[2].

وقد تزامنت ولاية ابن قطن الثانية مع الأحداث التي كانت تعرفها بلاد المغرب آنـــــذاك و المعروفة بثورات الخوارج، وهو مازاد الأمر تعقيداً وتعددت عناصر الإضطراب حيث تأثـــر بربر الأندلس بثـــورات إخوانهم بربر بلاد المغرب وأعلنوا الخروج عـــــن ابـــــن قـــــطـــن خاصة في المناطق الشمالية ، و لم يجد ابن قطن أمام هذا الوضع الصعب مخرجا سوى الإستغاثة بالعرب الشاميين الذين كانوا محاصرين في سبتة بعد هزيمتهم من طرف بربر المغرب الأقصى[3].

وقد أقام جند الشام بقيادة بلج بن بِشر محاصرين بسبتة لمدة قاربت السنة حتى أكلوا الجلود و أشرفوا على الهلاك فكتبوا إلى عبد الملك بن قطن يستغيثونه متوسلين « إليه بطاعة أمير المؤمنين و العربية فتغافل عنهم وسره هلاكهم وخافهم على سلطانه » [4] ، ويبدو أن ابن قطن شاور خاصته وأهل عصبيته فقالوا : إن دخل عليك هذا الشامي – أي بلج بن بِشر – عزلك، فلم يجبه وامتنع عن إغاثته[5] .

---

[1] - أخبار مجموعة : ص109 ؛ ابن القوطية : المصدر السابق، 28 .

[2] - المرجـــع السابق ، ص 115 .

[3] - عن صراع العرب والبربر أنظر ما بعد ص 64.

[4] - أخبار مجموعة : ص114 .

[5] - ابن القوطية :المصدر السابق ، ص 30 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ،ص 30 .

وهكذا انتقلت الأندلس من صراع العصبيات العربية القديمة القيسية واليمنية ، المقيمة منذ فترة على أرض الأندلس ، والذين استقروا بها وأُطلقت عليهم تسمية البلديين ، إلى صراع هؤلاء مع الوافدين الجدد ، وهم العرب الشاميون ، ذلك لأن عبد الملك بن قطن الفهري كان من عرب الحجاز، من أهالي المدينة المنورة الذين شاركوا في وقعة الحرّة[1] سنة 63هـ/683م، وهو ما يفسر تقاعسه عن نجدة أهل الشام ، وزعيمهم بلج ، أو لأنه خافهم على سلطانه .

ومهما يكن فإن أثر الصراع القديم بين العناصر (القبائل) العربية الذي تعود جذوره إلى موطن العرب الأول بشبه الجزيرة العربية عـــاد ليحيا بالأندلس ويدخلها في دوامة من الإضطرابات و الصراعات القبلية و التي تمثلها القيسية و اليمنية .

لم يكتف ابن قطن بالإمتناع عن نجدتهم بل راح يعاقب كل من تسوِل له نفسه أن يبدي شفقة عليهم ، وبقي الأمر كذلك الى أن: « شاع خبر ضرهم عند رجال العرب فأشفقوا عليهم ، وأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة...فلما بلغ ذلك عبد الملك ابن قطن ضربه سبعمائة سوط ، ثم اقمه بعد ذلك بتضريب الجند عليه ،فسمل عينيه ثم ضرب عنقه ...وصلب عن يساره كلبا»[2]. وهكذا فإن المتتبع لهذه الأحداث ليعجب لما بلغته العصبية القبلية والتنافس على السلطة والإستئثار بالحكم من وضع خطير ، إذ لا يعقل أن يفرط مسؤول بحجم والي الأندلس في عشرة آلاف من الجند المحاصرين لمدة طويلة ويعرضهم للهلاك رغم نداء التوسل والنجدة ، لكنها العصبية العمياء.

لكن ثورة البربر التي إندلعت في الأندلس اضطرت بن قطن الى تغيـــير موقفه و لم يـــرى « أجدى من الإستعداد بصعاليك عرب الشام » على حد تعبير المقري[3] ، بعد أن أخذ عليهم المواثيق ، و اشترط عليهم مُقَام سنة بالأندلس ، فإذا فرغوا من البربر أن يعودوا الى إفريقيّة ، وأخذ منهم رهائن ضمانا لتنفيذ شروطه ، وهكذا كان ابن قطن يفكر في مشروعه الإستقلالي ولا يقبل أن ينازعه فيه العرب الوافدون الذين تظاهروا بالموافقة على شروطه وعبروا إلى

---

[1] - عن موقعة الحرة أنظر ما قبل ص21.

[2] - المقري: المصدر السابق ، ج3 ، ص20.

[3] - نفس المصدر .

الأندلس ، بقيادة بلج بن بشر ، وهناك كسا كل رجل من أعيان البلد عشيرته ، ولكي يأمن ابن قطن سطوتهم رأّس عليهم ابنيه قطنا و أميّة وحاربوا معه البربر[1] .

وبعد القضاء على ثورة البربر رفض جند الشام العودة إلى المغرب ، وتحدو ابن قطن واتهموه بأنه يحاول إرسالهم ، مرة ثانية إلى بربر المغرب ، و قالوا : « تُعَـرِضنـــا لبربر طنجـــة ، إقذف بنا لجة البحرأهون علينا »[2] .

و لما ألحّ عليهم في الخروج نهضوا إليه فأخرجوه من قصر قرطبة و قتلوه .ونصبوا قائدهم بلج مكانه[3]. أثار مقتل ابن قطن نشوب صراع عنيف بين عرب الأندلس و جند الشام ، وتَحَالف العرب البلديون بقيادة قطن و أمية، ابني عبد الملك بن قطن، وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما ، إلى ناحية سرقسطة في الشمال و انحاز إليهم عبد الرحمان ابن حبيب الفهري ، وفارس الأندلس في وقته عبد الرحمان بن علقمة اللخمي والي أربونة ، وأقبلوا في حشدٍ يزيد عن مائة ألف من العرب البلديين ، لطلب الثأر ، فخرج إليهم بلج ، و هو في أقل من خُمس عددهم، من عرب الشام ، و اقتتل الطرفان قتالاً شديداً ، و انهزم ابنا عبد المـــلك ومن معهما هزيمة عظيمة [4]، وأتبعهم الشاميون يقتلون و يأسرون غير أن قائدهم بلج قُتل ، فولوا عليهم ثعلبة بن سلامة العاملي سنة124هـ/741م و استمرت الحرب بين الطرفين أكثر من عام وقام ثعلبة بمحاربة أهل البلد ، في ماردةحيث غزاهم سنة 125هـ/742م وقتل منهم خلقا كثيراً و أسر نحو ألف و سبا ذريتهم و عيالهم وعاد بهم إلى قرطبة ، و نزل بالمسارة لبيعهم بأبخس الأثمان [5] .

العصبية القبلية في ولاية أبي الخطار بين البلديين والشاميين:

لم يهدأ الصراع ، إلا بعد أن أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي والياً على الأندلس ، بعدما بلغه ما صار إليه أمرها من إنقسام ، واستشار خاصته أشاروا

---

[1] - أخبار مجموعة : ص 115 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص31 .

[2] - أخبار مجموعة : ص116 ؛ ابن القوطية ، ص 30 .

[3] - أخبار مجموعة : ص115 ؛ ابن عذارى المصدر السابق ، ج2، ص32.

[4] - ابن عذارى :المصدر السابق ، ج2،ص32 ؛ المقري :المصدر السابق ،ص 22 .

[5]- يقدرهم صاحب أخبار مجموعة بعشرة آلاف أسير ، ص116 ؛ بينما يَعُدهم ابن عذاري بألف فقط ، المصدر السابق ،ج2، ص33 .

عليه أن يولي عليها رجلاً من اليمنية بقولهم : « ليس يصلح آخر هذا الأمرإلا بما صلح به أولها ... فأحسن رأيك إلى هذه القحطانية »[1] ، فقبل برأيهم ، ووافق ذلك ورود قصيدة كتب بها أبو الخطار الكلبي ، من إفريقيا ، اليه يُذكّره فيها بفضل أهل اليمن على بني أمية جاء فيها :

أَفَأَنْتُم بَني مروانَ قيسًا دمـــــاءَنَا ... وَفِي اللهِ إِنْ لَمْ تنصفوا حكمٌ عَدْلُ

كأنّكم لم تَشهدوا مُرج راهطٍ ... وَلَمْ تَعلموا مَن كان ثَمَّ له الفَضْـــلُ

وقَيْنَاكم حرّ الوَغَى بِصـــــدورنَا ... وَلَيْسَتْ لكم خَيلٌ تَعْدوا ولاَ رِجْلُ

فلمَّا رأيتُمْ وَافِدَ الحَرْبِ قَدْ خَنَـــا ... وطابَ لكم مِنْها المَشَارِبُ والأَكْلُ

تَغَافَلْتُم عنّا كأَنْ لَمْ يَكُنْ لَنَـــــا ... بَلاءٌ وأنتم مَا علِمتُمْ لَهَا فُـــــــعُلُ

فلا تَجْزَعوا إنْ عضّتِ الحربُ مرةً ... وزلّتِ على المرقَاةُ بالقَدَمِ النــَعْلُ[2]

فلما قرأها أمر والي إفريقيّة ، حنضلة بن صفوان الكلبي ، أن يولّي صاحبها على الأندلس[3] .

وصل الوالى الى مقرِّه الجديد والحرب قائمة بين الشاميين و البلديين، سنة125هـ/741م ووجد ثعلبة بن سلامة بالمسارّة، ومعه الأسرى ، من عرب قرطبة فأمره بإطلاق سراحهم، وحلِّ وثاقهم، وكان أبو الخطار «رجلا من خيار أهل الشام، من أهل دمشق، فرضي به أهل الأندلس و البلديون وأطلق الأسرى والسبي فسمي ذلك العسكر(الذين وفدوا مع أبي الخطّار)، بعسكر العافية وصارت الكلمة جامعة »[4] . واستطاع الوالي الجديد معالجة الأوضاع باتباع سياسة من الحزم والإعتدال ، وعاقب المتسببين في إثارة النعرات العصبية ، وأخرج ثعلبة بن سلامة والوقاص بن عبد العزيز الكناني وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي إلى افريقيّة ، وقام بتوزيع

---

[1] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص31 .

[2] - القصيدة من البحر الطويل. ابن القوطية : المصدر السابق ، ص31 .

[3] - غير أن صاحب أخبار مجموعة يورد رواية أخرى ويذكر أن والي إفريقيا بلغه ما صار إليه أهل الأندلس وقدم عليه وفد من صالح أهلها يترجوه أن يغيثهم بوالٍ يجمع شملهم وتؤخذ له البيعة من الطرفين معا ، شاميين وبلديين، في حين كان ثعلبة نازلا بالمسارة ، يبيع أسرى البلديين بالنقص حتى باع بعضهم بكلب والآخر بعتود (العتود هو الذكر من الضأن) ، وبينما هو على هذا الحال إذ جاءهم أبي الخطّار الحسام بن ضرار الكلبي واليا من قِبل حنضلة بن صفوان فسمعوا وأطاعوا. المصدر السابق، ص 119.

[4] - المصدر السابق.

جنود الشام على كور الأندلس ليحد من شوكتهم على أن تجبى كل قبيلة غلة الناحية التي نزلت بها وتَأخذ عطاءها وتؤول الزيادة لبيت المال[1] .

ويفسر ذنون طه قيام أبي الخطار إسكان الشاميين بالأندلس على أنه تنفيذا لرغبة الخليفة والحكومة المركزية وذلك لإكثار العنصر العربي هناك ، و الذي كان يمثل أقلية عددية مقارنة بعناصر السكان الأخرى[2] ، ويبدو ذلك صحيحا نظرا لما كان يراودهم من خوف حول تكرار ما حدث في بلاد المغرب أثناء ثورات الخوارج . وقد نجح أبوالخطار في إنجاز هذه المهمة فأنزل أهل دمشق بألبيرة وأهل الأُردُن بريّة[3] وأهل فلسطين بشذونة[4] وأهل حمص بأشبيلية[5] وأهل قنسرين بجيان[6] وأهل مصر بباجة[7] وآخرين منهم بتدمير[8]، وقد استقرت الأمور لفترة قصيرة ثُمَّ هاجت الفتنة وتحوّل الصراع البلدي الشامي الى صراع قيسي- يمني ، بسبب تعصب أبي الخطار لليمنية وتفضيلهم على الجماعات الأخرى من القيسية المضرية ، يقول المقري: « وُلِّيَ أبي الخطار سنتين أظهر فيهما العدل الى أن مالت به العصبية الى يمانيته ففسد أمره»[9] ، وإهانته زعيمها ، الصميل بن حاتم[10] ، بالضرب والإهانة ، مِمَّا تسبّب في إيقاظ الأحقاد القديمة[11].

---

[1] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 32 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج1 ، ص102.

[2] - الفتح والإستقرار ، ص338 .

[4] - كورة رية إقليم يقع في جنوب شرق الأندلس والذي أصبحت مدينة مالقة عاصمة له ، كانت منزلا لجند الأردن الشاميين ، أنظر عنها ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج1 ،ص63 .

[4] - مدينة من أعمال مقاطعة قادس وهي من الكور المجندة التي نزلها جند فلسطين ، وهي كورة جبلية . الحميري:الروض المعطار ،ص100؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج2 ،ص197.

[5] - مدينة في الجنوب الغربي من الأندلس ،وأول عاصمة للمسلمين هناك قبل تحويلها إلى قرطبة.الإدريسي: نزهة المشتاق،ص192.

[6] - مدينة تقع جنوب شرق قرطبة . أنظر عنها الحميري: الروض المعطار ،ص70.

[7] - أنظر الخريطة ، ص135.

[8] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 338.

[9] - المصدر السابق ، ج2 ، ص238.

[10] - عنه أنظر ابن القوطية: المصدر السابق ، ص33 ، المقري : المصدر السافق ، ج3 ، ص 23 . ابن عذاري: المصدر السابق ، ج2 ، ص34.

[11] - المقري: المصدر السابق ، ج3 ، ص23 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص260 .

إذْ بعث الصميل على إثر ذلك الى قومه في مختلف الأنحاء ، وأيدته القبائل الناقمة على أبي الخطار وانضّمت إليه بعض الشخصيات التي تمت إزاحتها عن ولاية بعض الأقاليم ، مثل ثوابة بن سلامة الجذامي الذي كان واليا على إشبيلية وتعرض للعزل ، رغم يمنيته ، وأجمع القوم على نصرة الصُميل وقالوا له :«نحن لك تبع »[1] وخطب فيهم وألهب مشاعرهم بالأحقاد القديمة وقال لهم:«والله ما أحب أن أعرضكم للقضاعية ولا لليمانية ولكني سأتلطف وأدعو أُلْفَةَ مرج راهط وأدعو لخما وجذاما ونقدم رجلا يكون له الإسم ولنا الحظ »[2].

فقدموا ثوابة بن سلامة ،ذلك : أن أحد المضريين تشاجر مع أحد اليمنيين فشكاه اليمني الى أبي الخطار الذي جار في حكمه وتعصب لليمني ، فالتجأ المضري الى الصُميل بصفته زعيما للمضرية و الذي أقبل الى أبي الخطار للنظر فيما جرى ، فسبّه ولكزه أمام الجند حتى مالت عمامته فخرج مغضبا ورآه أحد الجند على هذه الحال فقال له :أصلح عمامتك أبا جوشن فرد عليه إن كان لي قوم فسيقومونها .فكان هذا بمثابة إعلانٍ للحرب بين المضرية واليمنية وزحفوا بجموعهم ، نحو قرطبة ، لمقاتلة أبي الخطار ونشبت بينهم معركة قرب شذونة[3] ، هزمت فيها اليمنية وأسر زعيمها أبا الخطار، وتولى الأندلس ثوابة بن سلامة بإقتراحٍ من الصميل و ذلك سنة[4]128هـ/745م . غير أن أبا الخطار تمكّن من الفرار ، وحشد اليمنية من جديد ، ناحية باجة وأقبل بهم الى قرطبة فخرج إليه ثوابة ، مع أنصاره من اليمنية والصميل مع المضرية لكن أنصار أبي الخطار رفضوا أن يقاتلوا ثوابة لأنه يمني مثلهم وذكّروا أبا الخطار بما صنع به ثوابة من العفو عن إهدار دمه حينما كان في أسره[5] .

ولبث ثوابة واليا على الأندلس حتى توفي بعد سنتين من ولايته 129هـ/ 746م. وعاد الخلاف بين رؤساء القبائل وأّصرّ اليمنيون على إعادة أبي الخطار، وتعصبت المضرية للصُميل واشتّد النزاع بين العصبيتين وظلت الأندلس أربعة أشهر من غير والٍ[6] ،ولّما تفاقم الأمر وخشي

---

[1] - أخبار مجموعة : ص 126.

2 -نفس المصدر .

[3] - مدينة من أعمال مقاطعة قادس نزل بها جند الأندلس ,وهي منطقة جبلية . راجع عنها ابن الأبار: الحلة السيراء ،ج2، ص197؛ أنظر موقعها في الخريطة ص 135.

[4] - أخبار مجموعة : ص126.

[5] - ابن عذاري: المصدر السابق ،ج2 ، ص35.

6 - أخبار مجموعة : ص127 ؛ ابن القوطية: المصدر السابق ، ص33 ؛ المقري: المصدر السابق ، ج3 ، ص23.

أهل الأندلس عاقبة الفتنة اتفقوا على اقتسام الولاية بين العصبيتين على أن يتعاقبا فيها ، فتليها مضر سنة واليمن سنة[1] .

فكان أول والي تمّ الإتفاق عليه هو يوسف بن عبد الرحمان الفهري[2] الذي كان صديقا للصميل و طموحا للقيادة ، و يُعتقد أنه لم يفكر بعد أن ظفر بالإمارة، أن يتخلى عنها طائعا ، حتى ولو كان ذلك نقضاً لما اتفقوا عليه [3] ، وتلك ذهنية تشترك فيها اليمنية والمضرية .

تمت الموافقة على تولية يوسف الفهري دون إراقة دماء ، ورضي به الناس من مـــــــضر و اليمـــــن و جند الشام ، غير أن محاولته انتزاع مدينة ريّة من يحى بن حريث الجذامي، أحد أعيان اليمنية ، أعاد الأوضاع الى سابق عهدها : ذلك أن هؤلاء التّفوا حول ابن حريث وكاتبوا أبا الخطار واتفقوا على محاربة يوسف والصميل[4]، وحشد يوسف و الصميل جموع المضرية وإشتعلت نار الحرب بين العصبيتين في معركة شقندة[5]سنة 130هـــ/ 747 م ، وهي معركة بالغت الروايات الإسلامية في تصويرها ، حيث تذكر أنه لما تكسرت الرماح وتعبت الخيل، نزل المقاتلون عنها ، وتضاربوا بالسيوف حتى تقطعت، ثم تقابضوا بالأيدي و الشعور، فلما أعياهم التعب وقفوا يَحثُّونَ التراب بعضهم في وجه بعض ، و لم يكن في الإسلام صبر مثله إلا ما كان في حرب صفين ، وكان ابن حريث يقول :« لو أن دماء أهل الشام جُمعت لي في قدح لشربتها »[6] و انهزم اليمنية و أسر رؤساؤها أبو الخطار و ابن حريث في سبعين من أصحابهما ، قتلوا جميعا، و استقر الأمر ليوسف و الصميل[7] .

---

[1] - ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص261.

[2] - عنه انظر ابن القوطية: المصدر السابق ، ص33 ؛ المقري: المصدر السابق ، ج3 ، ص25.

[3] - عنان : المرجع السابق ، ص129.

[4] - حدث خلاف بين ابن حريث و أبي الخطار حول من يتولى أمر اليمنية في هذه المواجهة « فقال أبو الخطار أنا الأمير المخلوع فأنا أقوم بالأمر ، وقال ابن حريث بل أنا أقوم به لأن قومي أكثر من قومك ، فلما رأت جذام ما يدعو إليه ابن حريث قدمّوه وأجابوه » (ابن عذاري : ج2 ، ص 36).

[5] - قرية تقع مقابل قرطبة على الضفة اليسرى من نهر الواد الكبير .(أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص127).

[6] - أخبار مجموعة :ص128؛ ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2،ص36 .

[7] - أخبار مجموعة : ص128.

استعادة العصبية القبلية برئاسة يوسف الفهري والصُميل:

لم تتوقف مذبحة الصميل في الأسرى اليمنيين إلا بتدخل شيخ غطفان، أبي عطاء المُرّي، الذي هاله ما رأى من أمر الصميل و هو يُذبِّح الأسرى فأمره أن يتوقف ويغمد سيفه ،فرد عليه الصميل قائلاً :« أقعد يا أبا عطاء فهذا عِزُّك و عِز قومِك »[1] فأجابه أبو عطاء قائلا : « يا أعرابي و الله لن تقتلنا إلا بعداوة صفين ، والله لتكفّنّ أو لأَدْعُونَّ بدعوة شامية ، فَأَغمد سيفه»[2] .

بعد معركة شقندة ، وُلِّي يوسف الفهري عن رضى من عامة الجند من مضر و اليمـــن و الشام وصفا له الجو بالأندلس و خلصت له القلوب و الأنفس ، وأصبح الصميل قائده الأعلى، بل هو الوالي الفعلي بينما ليوسف الإسم ، ذلك أنه كان طاعناً في السن ، ضعيف الإرادة مما سهّلَ على الصميل التحكم فيه و توجيهه وفقاً لمصلحته ، و أصبح يقبض على ناصية الموقف بنفوذه وكثرة عصبيته[3]، فهو الذي إختار يوسف الفهري لحكم الأندلس ، لأنه لم يحاول أن يكون حاكما بنفسه أو أن يختار أحدا من أبناء العشائر التي تعود إليه ، وكان إختياره يقع دائما على شخصية ضعيفة من العصبيات الأخرى . وقد سمح له هذا الموقف بالإستمرار في سيطرته على حساب الجماعات الأخرى[4].

لم يعد لليمنية ، في جنوب الأندلس ،كبير تأثير بعدما تم إخضاعهم في معركة شقندة، غير أن هناك أعداد كثيرة منهم ، في الشمال الشرقي خاصة بإقليم سرقسطة، كانوا يمتلكون فيها أراضي واسعة منذ بداية الفتح ، ولما كان هذا الإقليم بعيدا عن قرطبة عاصمة الأندلس فربما استغلت العناصر اليمنية ذلك وعادت إلى الثورة، لذلك عمد يوسف الفهري الى إذلالهم بوالٍ شديد التعصب لقيسيته، فولى عليهم الصُميل، وبذلك أبعده عن قرطبة حتى ينفرد هو بالسلطان[5].

---

[1] - أخبار مجموعة : ص128.

[2] - نفس المصدر .

[3] - ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ، ص37.

[4] - ابن القوطية : المصدر السابق ،ص 33.

[5] - إختلفت المصادر في سبب تولية الصميل على سرقسطة سنة 132هـ / 749م من طرف يوسف الفهري، فبينما يذكر بن القوطية أن ذلك كان بهدف إزاحته عن قرطبة وإبعاده عنها لأنه يحسده ويخافه على منصبه، يرى =

فهدأت الأحقاد و المنافسات و صفا الجو حينا ليوسف الفهري، ثم عاد الصراع من جديد ذلك : أن بعض القادة ذوي الجاه والعصبية كانوا ينقمون على يوسف والصميل إستئثارهما بالسلطة، فأعلنوا الخروج عليهما واتسع نطاق التمرد ، وكان من بين الخارجين عليهما عبدالرحمان بن علقمة اللخمي بأربونة ، وعروة ابن الوليد بباجة ، ويوسف بن عمرو بإشبيلية[1].

وكانت أخطر تلك التمردات اندلعت في الشمال : ذلك أن تعيين الصميل على سرقسطة أساء كثيرا لليمنيين وهم غالبية سكان الإقليم. وكان من رؤسائهم الحُباب بن رواحة وتميم بن معبد الفهري اللذان عارضا سياسة يوسف والصميل المعادية لعصبيتهم[2] .

في تلك الأثناء ظهر بقرطبة عامر بن وهب العبدري الذي ساءه ما صنع يوسف والصميل باليمنيّة وما سفكا من دماء في شقندة، فبعث الى الخليفة العباسي ، أبي جعفر المنصور ، وعرض عليه أن يدعو له بالأندلس وبنى حصنا غرب قرطبة ، مستغلا ضعف السلطة بالأندلس بسبب كثرة الإضطرابات والمجاعة التي عرفتها سنة 136هـ/ 753م، وأصبح يشكل تهديدا على واليها يوسف الفهري[3].

ولّما علم هذا الأخير بذلك ، بعث إلى واليه على سرقسطة ، الصميل ، يستشيره في شأن عامر، فبعث له يشجعه على قتله، غير أن عامرا ، لمّا علم بفحوى الرسالة ، خرج هاربا الى سرقسطة لكثرة أنصاره بها ، وهناك انضم إليه الحُباب بن رواحه الزهري ، وأخذا في دعـــوة « الناس الى سجل أبي جعفر المنصور فأجابهم رجال من اليمن »[4] .

=صاحب أخبار مجموعة: « أن يوسف أخرج الصميل الى الثغر الأعلى-الشمالي- الذي كانت تملكه اليمنية بهدف إذلالهم، ذلك أنه لما أتاها نال بها ملكا وغنى هو ورجاله من قريش ومن كان معه من غلمانه وحشمه ومواليه فإزداد سؤددا ». (أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص130؛إبن قوطية: المصدر السابق، ص33) ؛ أنظرأيضاً ذنون طه: الفتح والإستقرار، ص347.

[1] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص26؛ المقري: المصدر السابق، ج2، ص38؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص166.

[2] - أخبار مجموعة: ص130 ؛ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص166.

[3] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 2 ، ص38.

[4]- أخبار مجموعة، ص 130 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج1 ، ص133.

حاول الصميل القضاء على هذا التمرد، غير أن المتمردين تقدموا نحو سرقسطة وضربوا عليها حصارا لمدة سبعة أشهر من 136هـ/ 753م الى 137هـ/ 754م ، وكاتب الصميل يوسف في طلب النجدة لكن الظروف التي خلفتها المجاعة التي عرفتها البلاد أنذاك كانت تحول دون ذلك[1]، ولما فقد الأمل في مساعدته كتب إلى قومه القيسيين يعلمهم بمحنته ويحثهم على إنقاذه ، فنهض إليه عُبيد بن علي الكلابي الذي استطاع إقناع معظم العشائر القيسية فتشكّلت قوة الإنقاذ من ثلاثمائة وبضع وستون فارسا ، ولمّا بلغوا طليطلة في طريقهم إلى سرقسطة ، بلغهم أن الحصار إشتّد على الصميل وأضرّ به وخافوا عليه من الإستسلام فعجلوا إليه برسول يبلغه بقدومهم ويشجعه على المقاومة. ولّما سمع عامر والزهري بالمدد فكًّا الحصار عن المدينة وإنسحبا منها[2].

عاد الصميل بعد ذلك إلى قرطبة ، مما سمح للمتمردين بدخولها من جديد ، غير أن المصادر لم تذكر سبب مغادرته لها، ربما كان ذلك بهدف التحضير لحملة جديدة. وبعد سنة 137هـ/754م خرج يوسف والصميل في حملة جديدة إلى سرقسطة، وعند وصولهم إليها إستسلم المتمردون وسلموا قائدَيْهم عامر العبدري والحُباب الزهري فضُربت أعناقهم[3].

وفي أثناء ذهاب يوسف والصميل من قرطبة الى الثغر الشمالي ، لقمع ثورة اليمنية بسرقسطة ، وردت أنباء عن قدوم عبد الرحمن الداخل، وأنه في طريقه إلى قرطبة يريد الأستلاء على الإمارة ليبدأ فصلا آخر من صراع العصبيات.

عبد الرحمن الداخل والصراع القيسي – اليمني:

بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة 132هـ/749م تعرض أفراد البيت الأموي للإضطهاد من طرف خصومهم العباسيين، وكان من بين الناجين من بطشهم الأمير عبد

---

[1] - يرجع ابن عذاري إمتناع يوسف عن نجدة الصميل لرغبته في هلاكه وحرصا على الراحة منه لإستحواذه واستملاكه. (المصدر السايق، ج2، ص 37).

[2] - أخبار مجموعة: ص 133 ؛ المقري: المصدر السابق، ج3، ص 26.

[3] - أخباربمجموعة : ص 127 ؛ ذنون طه: الفتح والإسقرار، ص 354.

الرحمان بن معاوية بن هشام[1] الذي قصد المغرب وظل متخفيا من ملاحقة حاكم إفريقية عبد الرحمان بن حبيب الفهري[2].

ومن هناك ظلَّ يتطلع إلى الأندلس ويراقب الصراع بين القبائل المتنافسة فيها ، قبل أن يُوجه إليها مولاه بدرا لخوض مفاوضاتٍ مع أقوى تلك العصبيات نفوذا وهي العصبية المضرية -القيسية- ويعرض على قائدها الصميل فكرة قدوم عبد الرحمان إلى البلاد ، طالبا منه التأييد والمساعدة، غير أن الصميل أبدى ترددا وفتورا وخشي على نفوذه ، ممّا جعل بدراً يتجه إلى اليمنية الذين رحبوا بالفكرة طمعا في استعادة نفوذهم القديم[3].

وهكذا تمكّن الداخل من النزول بساحل ألبيرة سنة 138هـ/746م ، وجمع كثيرا من الأنصار ، إتجه بهم نحو قرطبة بغرض الإستلاء عليها ، مستغلا خروج يوسف والصميل إلى سرقسطة ، لقمع المتمردين ، و بلغت أخباره يوسف الفهري ، وهو عائدٌ من سرقسطة ، فأسرع لنجدتها ، والتقى الجيشان عند المصّارة فانهزم يوسف والصميل ، بعد قتال شديد، ودخل عبد الرحمان قرطبةوكان ذلك بدءا لحكم الأمويين بالأندلس[4].

عندما نزل عبد الرحمان الداخل الأندلس كان يوسف الفهري قد انتصر على خصومه اليمنية وتخلص من قادتهم في سرقسطة ، لكنه فوجيء بقدوم عبد الرحمان وتأييد بني أميةٍ والقبائل اليمنية له ، وبعد إستشارة الصميل سارع بمراسلته وتحذيره من الجماعات التي إنضمَّت إليه ، بأنهم أهل غدرٍ ونقضٍ للإيمان ، وعرض عليه المال والحماية تحت سلطانه ،كما بعث برسالة إلى أتباعه أيضاً يحذرهم فيها من تأييده ، وبعد فشله في هذا المسعى ، أرسل إليه يعرض عليه أن يزوجه إبنته ، غير أنه لم ينجح في مسعاه ،ذلك أن مؤيدي الداخل من اليمنية أشاروا عليه آلاَّ يقبل ذلك إلاَّ إذا تنازل له عن الحكم[5] ، وهو مايدل على أن أولئك الأنصار كانوا مصممين على القتال حتى يستولوا على السلطة .

---

[1] - عن قصة فراره أنظر ابن القوطية: المصدر السابق، ص 33 ؛ أخبار مجموعة، ص 123؛ المقري: المصدر السابق، ج3 ،ص 27 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 262.

[2] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص 360.

[3] - أخبار مجموعة: ص 193.

[4] - ابن القوطية، :المصدر السابق ، ص 38؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص 44.

[5] - ابن عذارى :المصدر السابق ،ج2 ،ص46.

ولَّما فشلت محاولات الصُلح ، استعّد الفريقان للقتال وكانت المتطوعة تصل إلى الداخل من كل صوب خاصة اليمنية ، وجند الشام وجماعة من القيسية ، فعظم جنده[1]، حتى بلغ ثلاثة آلاف فارس ، أما يوسف فقد جمع جيشه من القيسية والفهرية والتقى الجيشان في المصّارة [2].

وقد حاول العلاء بن جابر العقيلي ، وهو من وجوه القيسية ، عقد الصلح بين الفريقين، و راح يُذكر الصميل بهزيمة قيس في مرج راهط ،غير أنه لم يفلح في ذالك [3]، ويذكر ابن القوطية أن عبد الرحمان سأل جنوده: في أي يوم نحن؟ فقيل له يوم الخميس وهو يوم عرفة ، فقال :يوم عرفة ، وغداً الأضحى والجمعة وأموي مع فهري أرجو أنها أخت راهط[4] : ذلك أن معركة مرج راهط التي انتصر فيها بنو أمية ووقوف اليمنية الى صفهم سنة 65هـ/ 684م كانت في مثل هذا اليوم والشهر والمناسبة. وقد انتهى اللقاء بينهما ، بهزيمة يوسف والصميل ، وانتصار عبد الرحمان الداخل عليهما، فكان ذلك بداية لقيام الإمارة الأموية بالأندلس[5] .

يرى عبد الله عنان أن الداخل كان يرمي إلى إحياء دولة الإسلام في الأندلس موحدة متماسكة ، فكانت المعركة التي خاضها ، في الواقع ، معركة الدولة مع الإمارة المستقلة ومعركة السلطة المركزية والإقطاع المحلي ومعركة الرياسة الشاملة والعصبية المتناثرة[6] ، وهو بذلك يشير إلى ما سيتحقق على يد الداخل من الوحدة السياسية في ظل الدولة الجديدة ، حتى وإن كانت تلك الوحدة لم تسلم من الصراع ،الذي ظلَّ مستمرا طوال فترة حكمه وحتى بعد وفاته. فكان سقوط قرطبة بيده يعني السيطرة على الأندلس كلها ،ذلك أن البلاد كانت تموج بالفتن والعصبيات ، وبها عصبيات كثيرة معادية له ، ولم تكن الخصومة مقتصرة على اليمنية والمضرية

---

[1] - أخبار مجموعة: المصدر السابق ، ص 193.

[2] - ابن القوطية: المصدر السابق ، ص36 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 46.

* المصارة ناحية من نواحي قرطبة جرت فيها الحرب بين الداخل وخصومه . أنظر عنها الحميري:الروض المعطار،ص51.

[3] - ابن عذارى :المصدر السابق ،ج2 ،ص47 .

[4] - ابن القوطية :المصدر السابق ، ص36.

[5] - اخبار مجموعة :المصدر السابق ،ص143 ؛ ابن القوطية ، المصدر السابق، ص38 ؛ ابن عذاري المصدر السابق،ج2، ص44 .

[6] - عبدالله عنان :المرجع السابق ،ص153 .

إنما إلتفّت كل قبيلة وكل بطن حول زعمائه ومصالحه الخاصة وأصبح يأبى الخضوع لأي سلطة مركزية، فثارت ضده اليمنية والمضرية والبربر وحتى بنو عمومته الأمويين[1].

عبد الرحمان الداخل والعصبيات القيسية :

استمر أصحاب النفوذ السابق ورؤساء القيسية في الأندلس ، وعلى رأسهم يوسف الفهري والصميل بن حاتم ،وغيرهما ممن ظفروا بالحظوة والسلطان ، أيام حكم يوسف الفهري ، في محاولة منهم لإستعادة نفوذهم القديم في البلاد ، بالرغم من سياسة التسامح التي سلكها معهم الداخل[2]، وقد كان لسلوك عبد الرحمان مع يوسف والصميل وعفوه عنهما ومحاولته إزالة الأحقاد أثر في حبِّ أهل الأندلس له ، وإقبال كثير من المشارقة عليه من بني أمية ،غير أن أنصار يوسف السابقين حملوه على الثورة عليه لأنه أزال ملكهم وماكانوا يتمتعون به من منزلة ورفعة وظلوا يحرِضُونه على الخروج والثورة عليه ، فهرب سنة 141هـ /708م . فلما علم الداخل بفراره اعتقل الصميل وخرج يلاحق يوسف وكان قد توجه ، بعد فراره من سجنه إلى ماردة[3] وحشد فيها أنصاره ، محاولا غزو قرطبة ،فخرج الداخل لملاحقته[4] ، واتجه يوسف بعد هزيمته في ماردة ، إلى طليطلة وظل ثائرا بها شهوراً ، حتى قتله أصحابه وحملوا رأسه إلى قرطبة، غير أن المصادر لم تشر إلى سبب إنقلابهم عليه[5] ، فربما سئموا من البقاء معه والرغبة في العودة إلى الداخل لكثرة العصبيات المناصرة له في بداية حكمه والإنتصارات التي كان يحققها . أما الصميل فتوفي في سجنه وقيل إنه خنق[6] ، وهكذا إختَتَم الداخل عصر الولاّة وأصبح الحاكم الفعلي للبلاد .

---

[1] - أخبار مجموعة : ص149 ؛ المقري: المصدر السابق، ج3 ،ص 36 وما بعدها.

[2] - أخبار مجموعة :ص145 .

[3] - تقع ماردة على الضفة الشمالية لنهر وادي يانة شرق بطليوس بحوالي 140كلم وشمال قرطبة. أنظر:الحميري : الروض المعَطار ،ص175 ؛ البكري :جغرافية الأندلس وأوربا ، تحقيق عبد الرحمان الحجي ص119 ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، جامعة الدول العربية 1955 ، ج1 ، ص290 .

[4] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص38 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2 ،ص49.

[5] - أخبار مجموعة : ص148.

[6] - ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ،ص49

لكن القيسيين استمروا في ثوراتهم بمناطق مختلفة ، ضده ، إذْ ثار عليه في طليطلة هشام بن عروة الفهري[1] ، وهو قيسي من أتباع يوسف الفهري ، فسار إليه الداخل وحاصره حتى طلب الأمان وقدم إبنه رهينة إثباتًا لحسن طاعته ،غير أنه سرعان ماعاد إلى الثورة ناقضًا العهد فغزاه الداخل ثانية وحاصره بطليطلة وأمر بابنه الرهينة فضربت عنقه وقذفت بالمنجنيق داخل المدينة، ورجع عنه ، لإنشغاله بثورة يمنية اندلعت في باجة بقيادة العلاء بن مغيث اليحصبي ، وبعد القضاء عليها ، بعث مولاه بدراً و قائده تمّام بن علقمة سنة 147 هـ /764م في جيش كبير إلى طليطلة ، فحوصرت ومنعت الأقوات عن أهلها ، مما اضطرهم إلى طلب الصلح مقابل تسليم الثائرين ثمّ القبض على هشام بن عروة وعدد من أصحابه وحُملوا إلى قرطبة ، مقيدين مُحلقي الرؤوس ، وطِيف بهم في شوارعها ثم ضربت أعناقهم[2] ، وكتب عبد الرحمن إلى البلدان بفتح طليطلة .

ثم تجددت الثورة بطليطلة سنة 142هـ /759م بقيادة أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري، الذي تظاهر بالعمى في سجنه وانتهز فرصة ضعف الرقابة عليه ليفرَّ ويلحق بطليطلة ويُعلن الثورة بعد أن حشد أعداداً كبيرة من الناقمين على الداخل ، معظمهم من القيسية والفهرية ، واشتهرت حركته بحركات العميان[3]، ووقعت بينه وبين الداخل معارك عديدة قتل فيها أربعة آلاف رجل[4] ، استمرت حتى وفاة قائدها الميداني أبي الأسود سنة 170هـ/768م ، ولّما حاول عمه قاسم بن عبد الرحمان الفهري إعادة تنظيمها من جديد ، غزاه الداخل سنة 171هـ/787م وفرض عليه طلب الأمان ، وصحبه معه إلى قرطبة ، ورد عليه بعض أموال أسرته وبذلك إستطاع الداخل أن ينهي الثورةالفهرية ومن ورائها القيسية التي ظلت تهدد وحدة البلاد.[5]

---

[1] - عنه أنظر بن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ،ص27.

[2] - أحبار مجموعة:ص149 ؛ابن عذاري :المصدر السابق ،ج6 ، ص53 .

[3] - ابن الأبار :الحلة السيراء ،تحقيق حسين مؤنس القاهرة 1963 ،ج2 ،ص251 .

[4] - ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ، ص57 .

[5] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص58.

عبد الرحمان الداخل والعصبيات اليمنية :

لم تكن العصبيات القيسية ، والفهرية منها خاصة هي التي نازعت عبد الرحمان الداخل في حكم الأندلس ، بل إن القبائل اليمنية التي أيدته ، في بداية عهده ، ومكنته من الإستيلاء على السلطة ظناً منها أنه سيعيد لها مجدها القديم وامتيازاتها التي فقدتها في صراعها مع القيسية ، غير أن ذلك لم يحصل للكثير من رؤسائها ، فوقفوا في وجهه معلنين الخروج والثورة ،ومن هؤلاء العلاء بن مغيث اليحصبي وهو من وجوه باجة ، وله بها رياسة وعُصبة فكاتب أبا جعفر المنصور واستَصْدر منه سجلا بحكم الأندلس وأعلن الثورة والدعوة للخليفة العباسي سنة 146هـ/763م واستفحل أمره وكثر جمعه خاصة اليمنية متطلعين إلى خلع الداخل ومستغلين فرصة الثورات التي اجتاحت الأندلس، ونشبت بينه وبين الداخل معارك عديدة هزم فيها العلاء وتفرقت جموعه ، بعد أن قُتل منها نحو سبعة آلاف من بينهم العلاء نفسه[1] .

وتذكر المصادر أن الداخل جمع رؤوس القادة والزعماء المقتولين ورقَّمها وكتب عليها أسماءها وأرسلها إلى القيروان فألقيت في أسواقها، أما رأس العلاء فحُملت الى مكة حيث كان الخليفة المنصور يؤدي فريضة الحج وألقيت أمامه ، فلما رآها قال:عرّضْنا بهذا المسكين للقتل الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان ، يعني الداخل[2].

ومن الخارجين على الداخل أيضاً حيوة بن ملامس الحضري ، أحد زعماء اليمنية الذي تغلب على إشبيلية وإستجة والجهات الغربية ، والتّف حوله أهلها من اليمنية ووقعت بينه وبين الداخل عدة معارك هُزم فيها أنصار حيوة الذي فرّ إلى شمال قرطبة وكاتب الداخل راغبًا في الصلح غير أنه عاد إلى الثورة مرة أخرى [3].

ثم واصلت اليمنية صراعها مع الداخل حيث خرج سعيد اليحصبي، المعروف بالمطري سنة 149هـ /766م بمدينة لبلة[4] مطالباً بثأر اليمنية الذين قُتلوا مع العلاء ، فهرعوا إليه و التفوا حوله فإتجه بهم إلى إشبيلية واستولى عليها وأخرج منها واليها عبد الملك بن عمر المرواني ثم تحصن

---

[1] - المقري : المصدر السابق ،ج1 ، ص332 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج1، ص159.

[2] - ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2 ،ص52 ؛المقري: المصدر السابق، ج1، ص232 ؛ابن الخطيب :أعمال الأعلام،نشر ليفي بروفسنال ،ط2 ،بيروت 1956 ،ص9 .

[3]- ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ،ص51 ؛ ابن الأبار :الحلة السيراء،ج2، ص36.

[4] - أنظر الحميري :الروض المعطار ، ص169.

بقلاعها ، غير أن الداخل شدّدّ عليه الحصار ووقعت بينهما معركة شديدة قتل فيها المطري وواصل الداخل محاصرة أنصاره حتى أذعنوا لطلب الصلح[1].

وفي نفس السنة نشطت ثورة أخرى بإشبيلية بقيادة أحد زعماء اليمنية، وهو أبو الصباح ابن يحي اليحصبي ، وكان صديقاً لعبد الرحمان الدخل وحليفهُ يوم قدومه الى الأندلس،غير أن الداخل كان يخشاه لحديث نُقل عنه بوجوب التخلص منه وردِّ الأمر إلى اليمنية[2]. وكان عبد الرحمان قد ولاّه إشبيلية ثم عزله عنها لمّا ظهر من عجزه في القضاء على الفتن بها فغضب وجمع أنصاره من اليمنبة ، وحاول الداخل أن يأخذه بالملاطفة ، فأرسل إليه مولاه تمّام بن علقمة حتى أتى قرطبة ،فعاقبه الداخل وأغلظ أبو الصباح في الجواب فأمر بقتله[3].

وقد أشعلت اليمنية لهيب الثورة ، مرة أخرى في المناطق الشمالية ،فقد تحالف سليمان بن يقظان الأعرابي ، والي برشلونة ، والحسين بن يحي الأنصاري ، والي سرقسطة سنة 157هـ/774م على قتال الداخل وخلعه مستغلين انشغاله بقمع ثورات الجنوب[4] .

كما وقعت في تلك الأثناء عدة ثورات محلية شغلت عبد الرحمان بمحاولته القضاء عليها، قبل أن يسير الى الشمال، منها ثورة دحية الغساني الذي فرّ الى ألبيرة (غرناطة) وأعلن الثورة بها، فأرسل عبد الرحمن إليه جيشاً ضيّق عليه الحصار حتى أُخذ وقُتل[5] ، وثورة إبراهيم بن شجرة بمرور[6] ، وفي طليطلة القائد السلمي ، وفي الجزير ة الخضراء واليها الرماحس بن عبد العزيز الكتاني ، وكان ممن لحق بالأندلس ،ووّلاه الداخل عليها ، فخلع طاعته وأعلن الثورة ،

---

[1] - حسب صاحب أخبار مجموعة فإن خليفة المطري على الثورة إستأمن لنفسه فأمّنه الداخل .(مؤلف مجهول: ص152).

[2] - وفي ذلك يذكر ابن القوطية : « أن أبا الصباح قال لثعلبة بن عبيد عند انهزام يوسف الفهري ودخول عبد الرحمان القصر :ياثعلبة هل لك رأي في فتحين في فتح ؟ قال له ثعلبة وكيف ذلك ؟ قال أبو الصباح :قد إسترحنا من يوسف فاسترح بنا من هذا فتكون الأنداس قحطانية » (المصدر السابق ، ص39).

[3] - ابن القوطية: المصدر السابق ، ص39 ؛ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2 ،ص54.

[4] - نفسه .

[5] - ابن الخطيب :الإحاطة في اخبار غرناطة ،تحقيق محمد عبد الله العنا ، القاهرة 1973، ج2 ص99 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج1 ، ص183.

[6] - أنظر ابن الغالب :فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ،نشر لطفي عبد البديع مجلة معهد المخطوطات العربية ،1955 ، ج1،ص293 .

فسيّر إليه الداخل قوة بقيادة عبد الله بن خالد الذي احتلّ الجزيرة الخضراء ، يقول ابن عذارى:«فلم يشعر إلاّ وخيل الإمام تجوس الديار...فدخل في قارب ونجا الى العدوة»[1] ، وقد تناولت المصادر التاريخية بعض هذه الثورات التي حدثت في الجنوب دون تفصيل ، بينما ركّزت على الثورات التي كانت تهدد الداخل بشكل مباشر ، انطلاقا من المناطق الداخلية والشمالية كطليطلة ، وباجة ، و برشلونة ، و سرقسطة وغيرها ، ذلك أن طبيعة الشمال الجبلية ومنعته ، كانت تذكي عوامل الثورة فيها ، وتُشجع مشاريع العصبيات المناوئة للإمارة الأموية في قرطبة على الإنفصال[2] .

ولما تغلّب الداخل على هذه الثورات ، سار إلى الشمال لقتال ابن يقظان الأعرابي ، وحليفه الحسين بن يحي الانصاري ، وقبل وصول جيوشه إلى سرقسطة تصدع التحالف القائم بينهما : ذلك ان الحسين بن يحي أوعز إلى أحد أتباعه بقتل حليفه ابن يقظان سنة 264هـ /780م حتى ينفرد بحكم سرقسطة[3] ، غيرأن ابن عذاري يعزو هذه الثورة الى الحسين بن يحي الأنصاري فقط دون ذكر الأعرابي ، ويذكر أن الداخل قد سار ا لقتاله ، وحاصره بسرقسطة ،الى أن خرج طائعا إليه، فقبل إنابته وأبقاه والياً عليها ، غير أنه نقض العهد وخفر الذمّة ، وكفر النعمة وعاد الى العصيان سنة 167هـ/ 783 م فسار الداخل إليه وانتصر عليه وقتله ، وأخرج أهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميالٍ ، ليمينٍ لزمته فيهم ثمّ صرفهم إليها بعد أيام[4].

الصراع داخل البيت الاموي:

لم يقتصر صراع الداخل مع العصبيات العربية على القيسية واليمنية ،بل إن بني عمومته، حاولوا الإطاحة به ، ومن ذلك أن ابن أخيه المغيرة بن الوليد أراد الثورة عليه سنة 168هـ/784م ، وساعده هذيل بن الصميل بن حاتم ، فأوشى علاء بن عبد الحميد القشيري بذلك الى عبد الرحمن وأطلعَه عليه ، فبعث الى المغيرة وهُذيل ومن شاركهما في ذلك ،

---

[1] - ابن عذاري : المصدر السابق،ج2،ص56.

[2] - عنان : المرجع السابق ، ج1 ، ص166.

[3] - العذري :ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ،مدريد 1955 ،ص26 .

[4] - هناك اختلاف في تحديد تاريخ ثورة ابن يقظان والحسين الانصاري .قارن ابن عذارى : البيان الغرب، ج2، ص58؛ ابن خلدون :العبر ،ج4، ص123 ؛ المقري: :نفح الطيب ،ج3،ص39 .

واستنطقهم فأقرُّوا فأمر بقتلهم[1] ، وقبلها مؤامرة ابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام وابن أخيه عبيد الله بن أبان بن معاوية سنة 163هـ/779م ، وقد سبق له أن إستقدم بني أميّة ليكونوا له عوناً وعصبة ، وولاّهم المناصب ، غير أنهم ناوأوه السلطة[2]. فقتل الداخل بعضهم ، مثل ابن عمه عبد السلام بن يزيد، وابني أخويه: أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبيد الله بن أبان وابن أخيه المغيرة بن الوليد، ونفى أخاه الوليد وأسرته إلى المغرب . وقد نُقِلَ عنه أنه قال لأحد مواليه حينما قَتَل بن أخيه المغيرة :«ماعجبي إلاّمن هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم في مِهاد الأمن والنعمة وخاطرنا بحياتنا ،حتى إذابَلغْنا منه إلى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف »[3]، كما نكل الداخل بأبي عثمان ، أول من آواه يوم قدومه الأندلس و صار من أكبر وزرائه ، بعدما اتهمه بالمشاركة في ثورة اليمنية ، التي قادها أبي الصباح[4].

ويرى عبد الله عنان :« أن عبد الرحمان كان طاغية مسرفاً في البطش والسفك مكيافيللّياً، ولكن تلك الخلال كانت عنوان قوته ووسيلة ظفره »[5] .

والحقيقة أن إستخدام القوة والبطش في بناء الدولة ، أو في المحافظة على السلطة والملك كانت مظهرا عاما أنذاك سواء لدى المسلمين ، أو غيرهم من الأمم الأخرى، و لم يكن عبد الرحمن الداخل أول من يلجأ إليها ويستخدمها كما يحاول عنان تصوير ذلك ، بل حتى الكثير من الأنظمة في تاريخنا المعاصر ، تلجأ إليها وتتخذ منها وسيلة للإستمرار في السلطة .

ورغم ذلك فقد عمل الداخل على محاولة تغيير مفهوم الحكم بحيث يكون الأنقياد والخضوع لِنظام الدولة ، وليس للعصبية أو القبلية ،وقد بذل في سبيل ذلك جهوداًكبيرة منذ دخوله قرطبة منتصراً.

صراع العصبيات في عهد الأمير هشام (172- 180هـ/778- 796 م)

كان أشهر أولادالداخل ثلاثة سليمان وهو أكبرهم ولد ونشأ بالشام ،ثم إنتقل إلى الأندلس وولي طليطلة وصار يمثل العصبية الشامية ،ثم يليه أخوه هشام الذي ولد بالأندلس من جارية

---

[1] - أخبار مجموعة : ص 158 ؛ عبد الله عنان :المرجع السابق ،ق1 ،ص186 .

[2] - المصدر السابق.

[3] - المقري :المصدر السابق ،ج2 ،ص72 .

[4] - نفس المصدر :ص67 .

[5] - المرجع السابق،ص191.

أندلسية وقد ولي مدينة ماردة وصار يمثل الحزب الأندلسي من المولدين ،وانحازت إليه اليمنية لتدينه وورعه ، أما الثالث فهو عبد الله البلنسي ، الذي سيتحالف مع أخيه سليمان ويستمران في المعارضة والعصيان ضد الأمير هشام بدعوى أحقيتهما بعرش الإمارة[1] .

ورغم الجهود التي بذلها الداخل في القضاء على صراع العصبيات بالأندلس ، طوال فترة حكمه والتي دامت أربعًا وثلاثين سنة ، لكنه استمّر في عهد ابنه وخلفه هشام الرِضى منذ بداية حكمه ، حيث ثار ضده أخواه: سليمان وعبد الله ، ذلك : أن الداخل حاول تقليد السياسة العصبية التي سار عليها أجداده في المشرق وإحياء تراثهم المندثر ، وأقام من الفرع الأموي أسرة حاكمة جديدة تتعاقب على عرش إمارة الأندلس ، بعدما كان وُلاتها يُعينون . فإختار لخلافته ولده هشام[2] ، و قد كان أخوه سليمان والياًعلى طليطلة فدعا بها لنفسه ورأى أنه أحق بولاية العهد ،ثم لحق به أخوه الآخر عبد الله[3] .

اتفقا الأخوان سليمان وعبد الله البلنسي على الثورة وهاجما قرطبة ، غير أن الأمير هشام تصدى لهما ، فذهبا الى ماردة ومنها الى بلنسية[4] ، ولما شعرا بفشل الثورة طلبا الأمان من أخيهما فعفا عنهما على أن يعبر كل منهما بأهله وولده الى عدوة المغرب للإقامة فيها وبذلك انتهت ثورة الأخوين[5] الى حين .

ورغم سياسة الأمير هشام الرامية إلى الحفاظ على الوحدة السياسية للأندلس ، إلاّ ان النـــزعة العصبية ظلت تدفع بالكثير من العصبيات إلى الخروج والثورة ،فقد اعتقد سكان الأقاليم الشمالية ، وأكثرهم من اليمنية ، أن وفاة الداخل هي الفرصة المواتية لتحقيق طموحاتهم.

---

[1]- أنظر النويري :نهاية الإرب ، ج22 ،ص172 ؛ابن الخطيب :أعمال الأعلام ،ق2 ،ص11 ؛ ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج5 ، ص83 .

[2] - ابن القوطية :المصدر السابق ،ص46 ؛أخبار مجموعة ،ص161؛ابن الأبار :الحلة السيراء ،ج2 ،ص363؛عنان ، ص221.

[3] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 63.

[4] - انظر عنها ابن غالب :فرحة الأنفس،ص285 ؛الإدريسي :نزهة ،المشتاق ،ص191 ؛الحميري :الروض المعطار ، ص46 ؛ وعن موقعها أنظر الخريطة ، ص134.

[5] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص63.

فخرج منهم سعيد بن الحسين[1] بن يحي الأنصاري بطرطوشة[2]، و كان قد التجأ إليها ، منذ مقتل أبيه ، وتمكن بمساعدة اليمنية بالإستيلاء على المدينة ،غير أن حاكم الثغر الأعلى ، موسى بن فرتون القسوّي[3]، جمع حوله المضرية وتصدى لخروج سعيد بن الحسين في اليمنية واشتبك الطرفان في معركة انتهت بانتصاره عليه وقتله ، واستيلاء موسى على سرقسطة[4] سنة 172هـ/788م .

و ظلت اليمنية مع ذلك تناوئ الحكم الأموي المساند للمضرية ، من ذلك أن مطروح بن سليمان الأعرابي انتهز فرصة تلك الإضطرابات في الثغر الأعلى ، واستولى على سرقسطة ووشقة وكثير من مدن الإقليم ،ولمّا صالح الأمير هشام أخويه تفرغ للقضاء على ثورته ، وأخرج إليه جيشا ، بقيادة عبيد الله بن عثمان سنة175هـ/791م ، فحاصر سرقسطة وقتل مطروح وأرسلت رأسه اليه.[5]

نشاط العصبيات في عهد الأميرالحكم بن هشام (180 - 206هـ/796- 822 م)

واصل الأمير الحكم بن هشام سياسة والده وجده في حماية الدولة ونشر الأمن ومحاربة النـــزاعات العصبية بكل حزم وقوّة حتى يُروى عنه أنه لمّا قرب أجله خاطب إبنه وولي عهده عبد الرحمان بقوله: فهاك بلادي إنني قد تركتها .....مهادًا و لم أترك عليها منازعا[6]

وكان أول الخارجين عليه عمّاه: عبد الله وسليمان اللذان كانا قد نُفيا الى المغرب في عهد أبيه ، وعقب توليه الإمارة عاد عبد الله الى الأندلس قاصدا سرقسطة موطن الثورة والخروج ، بالثغر الأعلى ، ونزل على بهلول بن مرزوق الذي كان ثائراً على الأمير الحكم[7] ،غير أنه لم يجد

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص63.

[2] - أنظر الإدريسي :نزهة المشتاق،ج2،ط بيروت ،ص555.

[3] - ابن حزم :جمهره أنساب العرب ،تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ،ج14 ،ص502.

[4] - ابن عذارى : المصدر السابق ،ج2 ، ص63.

[5] - ابن عذاري :المصدر السابق،ج2 ،ص63 ؛العذري :ترصيع الأخبار ،ص26.

[6] - ابن عذاري :المصدر السابق،ج2،ص73.

[7] - بهلول بن مرزوق ثار بالثغر الأعلى سنة 171هـ/797م ودخل سرقسطة وخرج على الأمير الحكم،فوجه اليه عمروس بن يوسف من طليطلة لمحاربته فتقدم إليه وأخرجه منها وقتله .انظر العذري :ترصيع الأخبار ،ص27؛ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2،ص69.

من يبايعه ، فقصد بلاد الإفرنج ملتمسا العون من شارلمان[1] ، وعند عودته من بلاد الفرنجة توجه الى بلنسية حيث وجد تأييدا من أهلها ، فأقام بها شبه مستقل بعد أن عفا عنه الأمير الحكم وصالحه سنة 187هـ/803م ، على أن يقيم بقية عمره فيها حتى عرف بعبد الله البلنسي، وبذلك تخلص الحكم من أهم الثورات االعائلية التي كانت تنازعه على الحكم[2].

الحكم بن هشام وثورة الربض بقرطبة :

ومن الثورات التي واجهها الأمير الحكم والتي كادت أن تطيح به ، ثورة الربض[3] التي اندلعت سنة 189هـ/805م ، والربض ضاحية من ضواحي قرطبة في الجهة الجنوبية على الضفة الأخرى لنهر الوادي الكبير ،كانت مسكن للعمال ، وأهل الأسواق والحرف ، وكان من ورائها الفقهاء وبعض الأعيان الذين نقموا على صرامة الحكم وشدته ، فإنطلقوا يرمونه ، من فوق المنابر ، بالفسوق والخروج عن أحكام الدين واتفقوا على خلعه ،غير أنه اطلع على الخطة وقبض على اثنين وسبعين منهم وصلبهم ، فأثار ذلك كره الناس له مما دفعه الى تحصين قرطبة فبنى سورهاوحفر خندقها[4] .

غير أن ثورة الربض تجددت سنة 202هـ/817م ، وصارالعامة يتعرضون للأمير بالسبِّ والأذى ، حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا ينادونه عند انقضاء الآذان يا مخمور[5] الصلاة ، ولقي هذا التحريض استجابة من المولدين الذين كانوا يريدون تحسين وضعهم السياسي والاجتماعي.

فقبض على عشرة من قادتهم الذين تعرضوا له بالتجريح وصلبهم ، منهم يحى بن نصر اليحصبي ، وموسى بن سالم الخولاني وولده[6] ، فانتفض أهل قرطبة وثاروا ،خاصة أهل الربض الجنوبي ، واعتدوا على حرسه ، وكان مما زاد من اتساع الثورة قيام أحد حراسه بقتل غلام في المدينة ، فاجتمع أهل أرباض قرطبة على القتيل وقتلوه، ثمّ توجهوا نحو قصر الأمير الذي استدعى بعض قواته وأمرها أن تذهب الى حي الربض وتشعل فيه النار ، بينما تواجه القوات

---

[1] - أنظر ما بعد ص 114.

[2] - ابن عذاري :المصدر السابق،ج2 ،ص70.

[3] -.ابن الأبار :المصدر السابق ،ج2 ،ص76.

[4] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص71.

[5] - ابن القوطية :المصدر السابق،ص52 ؛ابن عذاري : المصدر السابق،ج2 ،ص75.

[6] - ابن القوطية : الصدر السابق ،ص53.

الأخرى المهاجمين للقصر ، ولّما رأى الثوار منازلهم تحرق أسرعوا إليها لينقذوا أولادهم ونساءهم ، وعلى جسر قرطبة واجهتهم قوات الأمير وأثخنوا فيهم قتلا مدة ثلاثة أيام ، وقتلوا منهم أكثر من عشرة آلاف رجل[1] ،وفرّ من المدينة أضعاف ذلك ، فهاجر البعض الى عدوة المغرب، ولجأت جماعات أخرى الى طليطلة لمخالفة أهلها على الحَكَم[2] .

نشاط العصبيات في عهد عبد الرحمان الأوسط (206-283 هـ / 822-852م)

تعتبر فترة حكم عبد الرحمان الأوسط فترة هدوء وسكون ، مقارنة بمن سبقوه، وهو ما جعلها تتميز بكثير من الإصلاحات والمنشآت وانتشار الأمن والرخاء ونمو الحضارة بشتى مظاهرها المادية والمعنوية[3] ،إلا ما حدث في بداية حكمه ، حيث خرج عليه عمٌّ أبيه عبد الله البلنسي الذي سبق له وأن خرج على أبيه الحكم وجده هشام ، ولم ييأس طوال هذه المدة في الظفر بالإمارة ، فسار الى تدمير مطالبا بإقطاعها له ، بعدما التف حوله جمع من الأنصار، توجه بهم الى قرطبة ، فتجهز له الأميرعبد الرحمان وأجبره على العودة الى بلنسية حيث عاجله المرض فيها فتوفي هناك، واستعادها عبد الرحمان بعد ذلك وتكفل بأهله وولده بعد أن نقلهم الى قرطبة وبذلك خلصت الأندلس لولد هشام بن عبد الرحمان[4].

كما قامت في تدمير فتنة بين المضرية واليمنية سنة 207هـ/823م ،استمرت سبع سنيـــــن، وسببها تافهاً جداً يعود الى إنتزع أحد المضرية ورقة داليّة من حقل يماني فقتله اليماني وأدى ذلك إلى اندلاع الحرب بين العصبيتين[5] ، و استمرت الفتنة ، على أشدها بعد أن تغلبت المضرية بقيادة أبي الشماخ محمد بن إبراهيم على تدمير ، وظل هذا الأخير يتحدى سلطة قرطبة مما إضطر الأمير أن يبعث إليه المرة بعد الأخرى ، بحملات تفرقهم ، فإذا عادت عادوا الى الفتنة، وكانت بينهم موقعة تعرف بيوم المصارة ، قتل منهم فيها ثلاثة آلاف رجل ،كانت

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص76.

[2] - ابن الأبار : المصدر السابق ، ج1 ، ص44.

[3] – عنان :المرجع السابق،ج1،ص287.

[4] - ابن الأثير :الكامل ،ج2،ص378؛ ابن عذاري :المصدر السابق،ج2،ص80.بن خلدون :العبر ،ج4 ،ص127؛ عنان المرجع السابق ،ق1،ص202.

[5] – ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص82 ؛ العذري :المصدر السابق ،ص5 ؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ج1، ص48.

الدائرة تدور على اليمانية والقتلى منهم ،حتى فني خلق كثيرعلى حدّ وصف ابن عذارى[1] و لم تهدأ إلاّ في سنة 213هـ/827م حينما أرسل الأمير قائده أمية بن معاوية بن هشام الذي تغلب عليهم وأخضع أبو الشماخ وغيره من القادة الذين طلبوا الأمان ثم عادوا إلى الطاعة[2].

وبعد إنتهاء الثورة في تدمير أمر عبد الرحمان الأوسط بهدم مدينة ألبة حاضرة كورة تدمير التي كانت موطن الفتنة وأمر ببناء مدينة مرسية[3] .

ونستنتج مما سبق أنه:

ـ ما أن هدأت موجة الفتح واستقرّ العرب بالأندلس ، حتى تجددت ظاهرة النزاع القديم بين اليمنية والمضرية ، وزاد من حدتها خضوع تعيين الولاة أو عزلهم هناك إلى هذه النزعة ، و هكذا حمل العرب معهم صراعهم إلى الأندلس .

ـ بلغ صراع العصبيات ذروته في عهد عبد الملك ابن قطن الذي قاد محاولة انقلابية ، و تحول الصراع في عهده من صراع بين العصبيات المستقرة بالأندلس إلى صراع بين العرب البلديين والوافدين الجدد من عرب الشام وازداد حدة في عهد يوسف الفهري ووزيره الصميل .

ـ ظلّ التطاحن بين العصبيات العربية هو سيد الموقف سواء في عهد الولاة أو في عهد الإمارة الأموية التي بذلت جهدا ووقتا كبيرين في محاولة إخماده، وعانت من كثرة الخارجين عن سلطانها .

---

1 - المصدر السابق ،ج2 ،ص63 .

2 - ابن الأثير :المصدر السابق ،ج6 ،ص384 ؛ ابن عذاري :المصدر السابق،ج2،ص80؛بن خلدون :العبر ،ج4 ، ص127 ؛عنان كالمرجع السابق ،ق1،ص202.

3 - ابن الأبار : الحلة السيرا ، ج1، ص63 ؛ العذري : ترصيع الأخبار ، ص65 ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص181.

الفصل الثالث

الصراع العربي- البربري

فتح الأندلس وملامح الصراع العربي- البربري:

بالإضافة إلي الصراع العربي العربي ، هناك عناصر البربر الذين كان لهم الفضل في فتح الأندلس ، وكانوا يشكّلون كتلة مستقلة تشعر أن لها مصالحها الخاصة ، وهو ما دفعهم إلى التمرد على السلطة العربية بالأندلس كلما أحسوا بسوء معاملة الولاة لهم[1].

وقد كان صراع البربر ، في بدايته مع السلطة العربية الممثلة في الولاة ، غير أنه تعمق ليصبح صراعا بينهم وبين العرب ، ذلك أنهم لعبوا دورا هاما في عملية الفتح وكانوا يمثلون الأغلبية الساحقة في حملة طارق بن زياد[2]، وكانوا ينتمون إلى العديد من قبائل البتر والبرانس المنتشرة في بلاد المغرب، لكن المجموعة الكبيرة منهم كانت في غالبيتها من مصمودة[3]،إضافة إلى آخرين من مختلف القبائل ، مثل هوارة و نفزة و زناتة و مكناسة و مطغرة[4]،وقد استقروا جميعا إلى جانب العرب في بعض النواحي أو منفردين بأنفسهم في نواحي أخرى ، واختلطوا بغيرهم وتحولوا مع الزمن إلى أندلسيين ، وحسب حسين مؤنس فإن البربر لم يعرفوا عصبية الجنس التي أفسدت على العرب الكثير من أمورهم، وكانوا شديدي الحماس للإسلام ، وأظهروا العصبية له ، واجتهدوا في نشره[5].

غير أننا نرى خلاف ذلك فالبربر كانوا أشبه بالعرب يتألفون من قبائل وبطون مختلفة، وكثيرا ما تحدث صراعات بينها خاصة بين فرعيها الكبيرين البتر والبرانس مثلما حدث في بلاد المغرب أثناء الصراعات المذهبية .

---

[1] - ابن خلدون : العبر ، ج7 ص253 ؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس، ط1،القاهرة1959، ص388 .

[2] - أنظر ما قبل ص27 .

[3] - العذري (أحمد بن عمر): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار؛ تحقيق عبد العزيزالأهواني، مدريد 1965، ص 120.

[4] - اليعقوبي (أحمد بن أحمد بن يعقوب): كتاب البلدان نشر دي غويه، ليدن 1982، ص 354 ؛ طه: الفتح والإستقرار ، ص 260.

[5] - فجر الأندلس ، ص 389.

بل إن بعض القبائل البربرية أقامت إمارات على أساس عصبي ومذهبي ، مثلما حدث أثناء فترة ملوك الطوائف بالأندلس ، أو قبل ذلك في بلاد المغرب[1].

و لم تقف العصبية البربرية صفا واحدا مقابل العصبية العربية بالأندلس ، ولا في بلاد المغرب إلا في فترات معينة ، وذلك أن أول الموالين منهم للعرب كانوا يؤيدون القبائل التي يوالونها ويقفون معها ضد مناوئيها ، لأن مصالح الإثنين كانت مشتركة ، بل إننا نجد في أحيان كثيرة مجموعات بربرية معينة تقف ضد مجموعات بربرية أخرى ، لأنها كانت تلتزم بتأييد حلفائها من العرب[2].

وهو ما يذهب إليه موسى لقبال الذي يرى أن :« أغلب البرانس لسبب أو لآخر كان هواهم ضد العرب المسلمين وعلى نقيضهم ، وربما إغاضة لهم مالأَ البتر العرب، وناصروهم وتكاملوا معهم وأخذوا بلغتهم وبمذهبهم وشعاراتهم و من ثم أصبح الإستعراب في بيئتهم أكمل منه في بيئة البرانس »[3] ،كما أن الاختلاف في اللهجات بين الفرعين ، في نظر لقبال، هو الأساس في التقسيم وفيما يوجد حتى الآن من تنافر وتباغض[4]. غير أن حسين مؤنس يرى أن البربر لم يعرفوا هذا التقسيم الحاد إلى بتر و برانس ، إنما ظهر ذلك فيما بعد عندما سَرَت دعوى العصبية القبلية من العرب إليهم ، وبدأوا يستقلّون بأنفسهم ويقيمون الدول معتزين بالعصبيات والأصول . أما في بداية فتح الأندلس ، فلم يكونوا جميعا إلا البربر بجوار العرب [5].

وسواء كانت العصبية القبيلية موجودة بينهم قبل مجيء العرب أو اكتسبوها منهم فان الأحداث التي عرفتها الأندلس ، منذ بداية الفتح ،لم تخل من الصراع بين العصبيتين العربية

---

[1] - عن دور البربر في الصراعات المذهبية راجع . بن عميره محمد: دور زنانة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984؛ لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

[2] - أخبار مجموعة: 146؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج2 ، ص 54.

[3] - المرجع السابق ، ص 65 .

[4] - نفسه.

[5] - المرجع السابق، ص 380.

و البربرية ، رغم أن البربر الذين دخلوا الأندلس من بداية الفتح اختلطوا بعرب الطالعة الأولى وكوَّنوا معهم حزبا واحدا هو حزب البلديين ، و تعصبوا معهم ضد القادمين الجدد من عرب الشام[1].

الخلاف بين موسى بن نصير وطارق بن زياد:

وقد تعود البوادر الأولى لذلك الصراع إلى الإختلاف الذي ظهر بين قادة الفتح ، والذي تعود بدايته إلى الخلاف الذي وقع بين موسى بن نصير و قائد جيوشه طارق بن زياد: فقد أمر الأول الثاني بإيقاف الفتح ، وكتب إليه يتوعده إذا هو توغل بغير إذنه ، و بعدم تجاوز مكانه حتى يلتحق به ، وذلك خشية أن ينسب الفتح إليه [2] . ومع أن هذا الأمر لم تكن له نتائج على عملية الفتح ، إلاّ أن روح العصبية التي كان يشعر بها موسى باعتباره واليا على إفريقية ، تجاه قائد أقل منه منزلة و انتماءً هي التي حركت فيه نوازع الغيرة و الحسد خاصة ، أن طارقا هو مولى له[3] ، و ربما فُسر ذلك الخلاف بسبب عسكري بحت وهو الحيطة و الحذر على جيوش المسلمين ، أن يتوغلوا في مناطق مجهولة.

ولما جاز موسى إلى الأندلس و التقى بطارق ، قرب طليطله ، أنّبه وبالغ في إهانـــــته « فشده وثاقا و حبسه، وهم بقتله »[4]. غير أننا نشك في صحة ذلك ، فقد يكون من باب المبالغة ، ولا يعدو أن يكون مجرد خلافات بسيطة بينهما كتلك التي عادة ما تحدث بين قائد

---

[1] - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 30 ؛ أخبار مجموعة: ص 118 ؛ ذنون طه : الفتح والإستقرار،ص290.

[2] - أخبار مجموعة : ص 101 ؛ ابن القوطية: المصدر السابق، ص 23 ؛ ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيا والأندلس، ص 76 ؛ البلاذري: فتوح البلدان،المصدر السابق، ص 323؛ ابن خلدون: العبر، ج7، ص254.

[3] - اختلف الروايات في أصل طارق، فيذكر المقري أنه بربري من نفزة، وفي رواية أخرى يذكر أنه فارسي همذاني؛ أما ابن القوطي ة فيقول عنه :طارق ابن زياد الليثي بالولاء أصله من البربر(نفح الطيب ،ج1، ص 254 ؛ أخبار مجموعة ،ص 23).

[4] - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 80 ؛ ويذكرنفس المصدر أن طارقا استجار بمغيث الرومي ، غلام الوليد بن عبد الملك الذي كان عائدًا إلى المشرق ، وترجاه أن يرفع أمره إلى الخليفة الوليد ووعده بمئة عبد إذا هو فعل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك ولئن قتلته لأقتلن ولدك به فلما بلغ ذلك موسى أطلق سراحه وخلى سبيله. (نفسه) .

ونائبه في ظروف مثل هذه تتطلب أحيانا من القائد أن يكون صارما ومعاتبا وموجها و لم ترق إلى محاولة القتل.

وقد يبدو هذا الخلاف بين موسى و طارق مجردًا من روح العصبية بمفهومها القبلي، غير أن مرتبة الولاء ظلت تشعر أصحابها بأن السلطان العربي في الفترة الأموية إضطهـــــــدهم و احتقرهم و سار على سياسة التعصب للعرب و نبذ من سواهم واحتقارهم اجتماعيا[1]. وقد لايرقى الخلاف بينهما الى ما كان سائدا في المشرق حيث كان الموالي من الفرس يتعرضون للإضطهاد على يد الحجاج ، غير أن صفة مولى التي يتصف بها طارق ربما وضعته في ذلك الموقف الأضعف.

دور البربر في مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير:

وقد كان للبربر دور بارز في الإطاحة بعبد العزيز بن موسى ، أول والٍ للأندلس ، ومع أن القادة العرب هم الذين نفذوا عملية اغتياله[2]، إلا أن البربر كانوا شركاء في تلك العملية، وهو ما يمكن استنتاجه من كلام ابن القوطية حينما أشار إلى أن الوالي الذي خلف عبد العزيز ، أيوب بن حبيب اللخمي ،كان من أختيار البربر[3] .

و يذكر ابن القوطية ، أن أهل الأندلس بعد مقتل عبد العزيز، « مكثوا سنين لا يجمعهم والٍ إلا أن البربر قدموا على أنفسهم أيوب بن حبيب اللخمي »[4] ممّا يدل أن هناك

---

[1] - عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 130 ؛ وهو أيضا رأي موسى لقبال الذي يرى أن والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم سلك مع مسلمي إفريقية سياسة أغضبتهم حينما اعتبرهم فيئا للمسلمين ،ويذهب الى إحتمال أن يكون قد حال بينهم وبين الإقامة في الحواضر الكبرى مثل القيروان وأمرهم بالرجوع الى قراهم الأصلية تقليدا لسياسة مولاه الحجاج مع موالي المشرق الذي جعل منهم طبقة خاضعة وفي مستوى ادنى من العرب الفاتحين ، وحال بينهم وبين الإندماج في المجتمع الإسلامي الجديد ، فأثارت هذه الأساليب من ردّ فعل في المغرب ما أثارته من قبل في المشرق .(لقبال موسى : المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر 1981، ص155).

[2] - أنظر ما قبل ص 33.

[3] - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 25 ؛ ذنون طه: الفتح والاستقرار في الأندلس ، ص 290.

[4] - ابن القوطية: المصدر السابق ، ص 130.

خلاف بين المسلمين في الأندلس ، وأن كلمة الفصل كانت للبربر الذين كانوا يمثلون أغلبية جيوش الفتح ، واستطاعوا أن يختاروا الوالي الجديد ، الذي نقل دار السلطان من إشبيلية إلى قرطبة[1] ، وهذا التغيير لعاصمة البلاد فيه أيضا من الدلائل ما يشير إلى أن البربر ، في تلك الفترة ، كانوا يشكلون قوة هامة ، لها وزنها ، و رأيها و كلمتها في صنع وتوجيه الأحداث في تلك البلاد ، وهو ما يذهب إليه ذنون طه حينما يفسر سبب تغيير العاصمة إلى قرطبة ، بأن هذه الأخيرة كانت وما حولها موطنا لعدد كبير من البربر الأقوياء الذين كان لهم يد في اختيار أيوب بن حبيب، و يُحكموا سيطرتهم عليها[2] .

وهناك عامل آخر يشير إلى النزعة الاستقلالية لدى المستقرين الأوائل من البربر في الأندلس ،أي البلديون و هو أن اختيار أيوب بن حبيب للولاية ، خلفا لعبد العزيز بن موسى بن نصير ، ونقله العاصمة إلى قرطبة ، دون أية مراجعة أو موافقة من الخليفة في دمشق أو لعامله على إفريقية [3] . وإذا صح هذا التفسير وأُخِذ من جانب آخر ، تفوق البربر من حيث العدد ، أمكن القول إن العصبية البربرية بدأت تظهر بالأندلس في مقابل العصبية العربية ، حتى وإن كانت مصالح الإثنين مشتركة في البداية، وأصبح البربر يؤثّرون في سير الأحداث هناك[4].

---

[1] - يذكر المقري وابن عذاري روايتين عن نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة تجعل أحدهما ذلك التغير حدث في عهد أيوب بن حبيب اللخمي ، والأخرى تقول إنه حدث في عهد خلفه الحر بن عبد الرحمان الثقفي. نفح الطيب، ج3 ، ص 14؛ البيان المغرب، ج2 ، ص 25 .

[2] - ذنون طه: الفتح والاستقرار، ص291.

[3] - نفس المرجع.

[4] - وحسب مؤنس فإن البربر كانوا أكثر تمسكا بالإسلام وحماسا للفتح من العرب لأن الإسلام كان وسيلتهم الأولى للنهوض بأنفسهم والإحتفاظ بحقهم كأنداد للعرب وسادة في البلاد المفتوحة وأصحاب حق في الغنائم لذا فهم يحتجون دائما على العرب ويتهمونهم بمخالفة الدين ويطالبونهم بتنفيذ أحكامه .المرجع السابق ،ص393؛ ولا يمكن أن نأخذ هذا الرأي على إطلاقه ، فحتى العرب كان تمسكهم بالدين أشد مايكون وما بذلوه من تضحيات في سبيل نشر الإسلام غير خافٍ ، إنما الصرعات كانت تفرضها أمور أخرى كالسلطة و النفوذ والمعاش ، و لم تكن بين العرب والبربر فحسب ، بل كانت بين العرب أنفسهم .

محاولة إنفصالية في شمال الأندلس:

كانت محاولة الإنفصال التي تزعمها أحد قادة البربر في المناطق الشمالية ، وهو منوسة البربري حاكم منطقة شرطانية من أبرز ملامح الصراع بين العصبيتين العربية والبربرية في الأندلس: ذلك أن منوسة هذا ، بعدما سمع بالإضطهاد الذي يلاقيه إخوانه ، في بلاد المغرب على يد الولاة العرب، اتفق مع الفرنجة ،خاصة أودوه eudo حاكم أكيتانيا ، وعقد معه الصلح حتى يتهيأ للتمرد على سلطة العرب بالأندلس[1]. وإذا كانت الروايات الإسلامية لم تفصل بما فيه الكفاية عن شخصية منوسة سوى إشارات مختصرة[2]، فإن الروايات الفرنجية المعاصرة تسرد بعض الحوادث التي ارتبطت بإسمه، وأنه كان زعيما مسلما يحكم المناطق الشمالية باسم حكومة الأندلس وأنه تقرب من الدوق أودو صاحب أكيتانيا وتزوج من ابنته الجميلة لا مبيجيا lampegie وأصبح حليفا له ، وعقد معه معاهدة أمّنه بها من غارات العرب وأبلغه بمسير جيوش المسلمين ونصحه بالاستعداد لهم ، كما استعان به هو على تنفيذ مشروعه في الخروج على حكومة الأندلس والاستقلال بحكم الولايات الشمالية.

ولما علم عبد الرحمان الغافقي بالأمر ، أرسل حمله عسكرية للقضاء على تمرده وتأديبه ، وتمت مطاردته حتى أُخد وقتل ، وتحطمت أطماعه ومشاريعه الإنفصالية سنة 113هـ/731م وأسرت زوجته لامبيجيا وأرسلت إلى بلاط الخليفة الأموي بدمشق[3].

فإذا صح ما تذهب إليه مختلف الروايات فيما يخص شخصيّة منوسة وأنه كان قائدا بربريا ثائرا على والي الأندلس ، تأكّد أن ملامح الثورة من طرف البربر، أو بعض المجموعات منهم تمت بعد الفتح مباشرة . و مهما تكن أسبابها يبقى عامل العصبية حاضرا

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص38، ذنون طه : المرجع السابق ، ص295.

[2] - يذكر ابن عذاري والمقري أن الهيثم بن عبيد الكناني قدم الأندلس سنة احدى عشر ومائة ليستلم الولاية بها وغزا منوسة .(البيان المغرب ،ج2 ،ص38 ؛ نفح الطيب ،ج1 ،ص235).

[3] - Dozy : histoire des musulamans d'Espagne jusqua la conquête des almoravides (ed .lévy- provençal 1932) , VII- p.129 ; levy . provençal : hist. De l'Espagne musulman (1944) . p. 43 ; vissette dom : histoire de languedoc, t.1.p764 ؛ شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب، مصر 1933 ، ص88 ؛ عنان : المرجع السابق ، ج 1 ، ص86.

فيها ، إن لم يكن هو المحرك الأساسي لها: ذلك أن البربر الذين كان يتألف منهم جيش الفتح حسب ما يذهب إليه عبد الله عنان ،كانوا يبغضون قادتهم و رؤساءهم العـــــرب ، وينقمون عليهم إستئثارهم بالسلطة و المغانم الكبيرة و احتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة [1]. وهو ما يُفسر اندفاع البربر إلى الثورة و رفع لواء الخروج عليهم .

إنتقال الصراع العربي البربري من بلاد المغرب إلى الأندلس :

لقد بدأ الصراع بين العرب و البربر ببلاد المغرب في عهد والي افريقية يزيد بن أبي مسلم الذي تشبه بالحجاج بن يوسف الثقفي و استخّف بالبربر [2] ، ثم اشتّد ذلك التعسف في عهد عبيد الله بن الحبحاب و عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي الذي « أساء السيرة وتعدى على الصداقات و العشر و أراد تخميس البربر و زعم أنهم فيئ للمسلمين »[3] و فتك بقطعان غنمهم لإستخراج أفريتها ذات اللون العسلي ، و بزعمه أن الخليفة الأموي وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة في تلك الجلود ، فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلدا واحدا [4] ، وكان همه إرضاء الخليفة الأموي بالهدايا و التحف ، والإماء فقد كان الخلفاء بالمشرق «يستحبّون طرائف المغرب و يبعثون فيها إلى عامل إفريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب منّاهم بالكثير و تكلف لهم ، أو كلّفوه أكثر مما كان فاضطر إلى التعسف و سوء السيرة » [5].

---

[1] - أنظر ما قبل ص 29.

[2] – يصفه ابن عذراي بأنه : « كان ظلوما غشوما وكان البربر يحرسونه فقام على المنبر خطيبا فقال : إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحراسها فأرسم في يمين الرجل اسمه و في يساره حرسي ... فلما سمعوا ذلك منه اتفقوا على قتله » (المصدر السابق ، ج 1 ، ص48) .

[3] - ابن عذارى: المصدر السابق، ص52 ؛ ابن عبد الحكم : فتوح إفريقيا و الأندلس ،ط بيروت 1964 ، ص 87.

[4] – أخبار مجموعة : ص111.

[5] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 52 ؛ لقبال موسى : المغرب الإسلامي ، ص 156.

إن حالة التذمر التي سادت بين بربر بلاد المغرب أوجدت مناخا وفرصة مواتية لانتشار مذهب الخوارج [1]، الذي لقي نجاحا كبيرا بين مختلف القبائل البربرية لأنه يناسب وضعهم السياسي و الاجتماعي ، فاتخذوه رمزا للمعارضة ضد السياسة الأموية[2] وانتهزوا فرصة خروج الجيش العربي بقيادة حبيب بن أبي عبيدة إلى صقلية وقاموا بالثورة بقيادة ميسرة المطغري وأوقعوا بالجيش الأموي ، هزيمة كبرى قرب طنـــــــجة سنة 122 هـــ/ 739 م و استطاع ميسرة أن يبسط بعدها نفوذه على المغرب الأقصى [3].

ثم توالت هزائم الجيوش العربية أمام جموع البربر في معركة الأشراف سنة 123 هـــ / 740م ، و التي كان لها وقع أليم على الخليفة هشام بن عبد الملك ، الذي عزل ابن الحجاب من ولاية إفريقية ، ووَلّى عليها كلثوم بن عياض القشري ، و أرسله على رأس جيش عدته ثلاثين ألفا من الشاميين لإخضاع البربر، لكن كلتوما لم يتمكن من الصمود أمام جموعهم، وهُزم في بقدورة على وادي سبو [4] .وقُتل قائده كلثوم بن عياض في عشرة آلاف من جنوده، وتحصن عشرة آلاف من الجند الشاميين بسبتة[5].

واتفق في هذا الوقت أن انتفض برابر الأندلس على عربها، لما بلغهم ماكان من ظهور برابر العدوة على العرب [6] و ثاروا في المناطق الشمالية «وأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم

---

[1] – من أهم مبادئه عدم حصر الخلافة في بيت معين كالبيت العلوي أو في جنس معين كالجنس العربي، و إنما الخلافة لله، تترك لأي شخص تجتمع عليه الأمة،(الشهرستاني : الملل و النحل ، شرح و تحقيق محمد بن عبد الله بدران، مطبعة الأزهر ، القاهرة 1947 ، ج2 ، ص26).

[2] – أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1978 ، ص86.

[3]- ابن القوطية :المصدر السابق ص28 ؛ابن عبد الحكم :المصدر السابق ، ص94 ؛ابن الابار :الحلة السيراء ،تحقيق حسين مؤنس ،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط1 ،ج1،ص67 ؛ابن الأثير:المصدر السابق ، ج4، ص222.

[4]- أخيار مجموعة : ص112 ؛ ابن طوقية : المصدر السابق، ص29 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1، ص 55

[5]- أخبار مجموعة: ص 114.

[6]- المقرى : المصدر السابق، ج 3، ص 20.

وأخرجوا عرب أسترقة والمدائن التي خلف الدروب، فلم يَرْعَ ابن قطن الا فُلَّهم قد قدم عليه وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس » [1] .

ويعتقد عبد العزيز فيلالي أن أسباب ثورة البربر في شمال الأندلس في هذا الوقت ، كانت بدافع الإصلاح السياسي و الديني و الاقتصادي إذ كانوا يتطلعون إلى تطبيق العدالة الاجتماعية ويستبعد اعتناقهم مذهب الخوارج بصفة رسمية ،رغم تزامنها مع الثورات المذهبية في بلاد المغرب[2] .

وظل البربر يحاصرون بلجًا ومن معه في سبتة ، حتى إضطروهم الى أكل دوابهم ، وأشرفوا على الهلاك وضاق عليهم الأمر . وامتنع والي الأندلس عبد الملك بن قطن عن نجدتهم[3] ،غير أن ثورة البربر عليه هناك ، إضطرته لتغيير موقفه والسماح للعرب المحاصرين بالعبور ، بعدما أخذ عليهم المواثيق بالعودة الى إفريقية بعد القضاء على ثورات البربر ، وهكذا تحالف العرب الوافدون (الشاميون)بقيادة بلج ، مع العرب البلديون بقيادة ابن قطن وبدأوا بمهاجمة البربر قرب شذونة ، وسادت روح التضامن والإنسجام بين الشاميـــــــين و البلديين ضد البربر، عكس ما حدث ببلاد المغرب من إنقسام ،فلم يكن للعرب فيهم إلاَّ نهضة حتى أبادوهم وأصابوا أمتعتهم[4] ،ذلك أن العرب الشاميين كانوا يقاتلون بدافع الإنتقام لِما لحقهم من البربر في معركة بقدورة ببلاد المغرب ، وما قَاسَوْه من الحصار في سبتة . ومن شذونة نهض العرب الى قرطبة لإنقاذها من حصار البربر ، ومنها اتجهوا نحو طليطلة

---

[1] - أخبار مجموعة: ص114.

[2] -عبد العزيز فيلالي :المرجع السابق ،ص128.

[3] - أنظر ما قبل ، ص41.

[4] - ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2 ،ص31 ؛وحسب صاحب أخبار مجموعة : « فإن البربر حشدوا من جليقية واستورقة وماردة وقورية وطلبيرة فأقبلوا في شيىء لايحصيه عدد ،حتى جازوا نهرًا يقال له تاجة يريدون عبد الملك بن قطن...فلما بلغ البربر إقبال الجيوش إليهم حلقوا رؤوسهم إقتداءًا بميسرة » (المصدر السابق ، ص116).

والتقوا جموع البربر عند واد سليط ، من حوز طليطلة ، وأخذت القوات العربية الموحدة تطاردهم وتتعقب أثارهم « فقتلوهم قتلا ذريعا أفنوهم به فلم ينجو منهم إلاّ الشريد »[1].

ومما يُلاحظ على ثورة البربر بالأندلس أنها جاءت تلقائية و خالية من النزعة المذهبية ، فبمجرد سماعهم بالإنتصارات التي حققها أخوانهم ، بربر بلاد المغرب ، على الجيوش العربية حتى أعلنوا الثورة على والي الأندلس ، وهو ما يؤكد ، مرة أخرى ، أن روابط العصبية البربرية كانت قوية في مواجهة العصبية العربية حتى وإن كانت الدوافع مختلفة ، فبربر بلاد المغرب كانت تحركهم النزعة الخارجية ، بينما بربر الأندلس لم يثبت إعتناقهم مذهب الخوارج ولكن الروح العصبية والنعرة على ذوي القربى دفعتهم للإنتقام من العرب[2] .

دور البربر في الصراع العربي-العربي (البلدي – الشامي) :

انتصر العرب على البربر في الأندلس ، بعد التحالف الذي حدث بين العرب الوافدين بقيادة بلج بن بشر القشيري ، وبين العرب البليديين بقيادة عبد الملك بن قطن الفهري ،رغم الخلافات التي كانت قائمة بينهما ، لكنهم إستطاعوا نسيان تلك النزعة العصبية ووجهوا جهودهم للقضاء على ثورة البربر ، ورغم أن الفاتحين الاوائل (البلديون) من العرب والبربر كانت تجمعهم روابط السبق في الفتح والإستقرار والجوار ،لكن يبدو أن رابطة النسب كانت أقوى ، وهو مادفع العرب البلديين الى التحالف مع بني عمومتهم الشاميين (الوافدين الجدد) ضد البربر، ولعلى ذلك ما يذهب اليه ابن خلدون حينما يقول: «أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب ...لأن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل ، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة»[3].

وإذا كانت عصبية النسب قد جمعت بين العرب البلديين و العرب الشاميين في التصدي لثورة البربر، فإن المصالح المشتركة التي تجمع بين المستقرين الأوائل والبربر جعلتهم يشكّلون حلفا واحدا ضد الشاميين الذين إعتقدوا أنهم نافسوهم فيما حصلوا عليه من أراضي

---

[1] - أخبار مجموعة :ص116 ؛ابن عذاري :المصدرالسابق ،ج2،ص31 .

[2] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص132.

[3] - ابن خلدون :المصدر السابق ،ج2،ص424.

وامتيازات «وبقي عرب الأندلس وبربرها يحاربون الأمويين والشاميين ويتعصبون لعبد الملك ابن قطن الفهري ويقولون لأهل الشام بلدنا يضيق بنا فاخرجوا عنا »[1].

و تحول الصراع بين العرب والبربر الى صراع بلدي –شامي أي بين أهل البلد الأوائل والوافدين الجدد من عرب الشام . ولّما حاول عبد الملك ابن قطن إخراج العرب الشاميين الى افريقية ثاروا عليه وقتلوه[2]

وبعدما علم إبنا عبد الملك أمية وقطن .بمقتل أبيهما على يد الشاميين «حشدا في أقصى أربونة و رجعا بأهل البلد والبربر وسيوفهم تقطر من دماء البربر فرضيت البربر أن تنال دمائها من أهل الشام ،فإذا فرغواكان لهم في أهل البلد رأي »[3].

هكذا حاول البربر بالأندلس الإنتقام من عرب الشام ، وذلك بالإنضمام الى العرب البلديين في تحالف مؤقت ،حتى إذا فرغوا من عرب الشام سهل عليهم الإنتقام من العرب البلديين وبذلك يتخلصون من سطوة وسلطان العرب مما يدل على ما كان يخامر نفوس البربر جميعا نحو العرب بلديين وشاميين من الكراهية والخوف[4] .

وعندما أقبل إبنا عبد الملك ومعهما عبد الرحمان بن علقمة اللخمي ، فارس الاندلس ، في مائة ألف أو يزيدون ومن معهم من البربر نحو قرطبة ، خرج إليهم بلج بن بشر في أصحابه من أهل الشام لقاتلهم ، وهزمهم في موضع يقال له أقوة برطورة[5] «وانصرف أصحابه ظافرين قد امتلأت أيديهم و أنفسهم غَنْمًا ، ونصرا ، وسرورا»[6] .

وإذا كان العرب الشاميون قد إنتصروا على البلديين عربا وبربرا ، فإن زعيمهم بلج مات بعد أيام بفعل جراح أصابته في المعركة ، فولّوا على أنفسهم ثعلبة بن سلامة العاملي

---

[1] - ابن القوطية :المصدر السابق ،ص30.

[2] - أنظر الفصل السابق ص42.

[3] - أخبار مجموعة :ص117.

[4] - حسين مؤنس :فجر الأندلس ،ص394.

[5] - ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2،ص32.

[6] - نفس المصدر .

مكانه ، وفي أيامه ثار من بقي من البربر بماردة ، فغزاهم وقتل منهم على حد وصف ابن عذاري خلقا كثيرا وأسر منهم نحو الألف[1]، وحسب رواية صاحب أخبار مجموعة : فإن أهل البلد من عرب وبربر ، وليس البربر فقط خرجوا على ثعلبة بن سلامة ، لأن التحالف البلدي (العربي _ البربري) كان يحاول الثأر للهزيمةالسابقة التي لحقت بهم في أقوة برطورة ، غير أن ثعلبه هزمهم وسبى ذراريهم وأقبل بالسبى في عشرة آلاف أو يزيدون إلى قرطبة ، ولما حاول قتلهم قدم أبو الخطار مبعوثا من والي إفريقية ليتولى السلطة بالأندلس فأفرج عن الأسرى[2].

دور العصبيات البربرية في قيام الإمارة الأموية :

بعد قدوم أبي الخطار الكلبي إلى الأندلس استمر الصراع العربي- العربي ، بين القيسية واليمنية[3] ، غير أن المصادر التاريخية لم تشر الى دور البربر فيه ، فربما لجأوا طوال هذه الفترة، الى المهادنة بعد الهزيمة التي لحقتهم ، وبقي الأمر كذلك إلى أن قدم عبد الرحمان الداخل .

و كان البربر قد شرعوا في دعم الداخل ، منذ لجوئه إلى بلاد المغرب ، بعد فراره من بطش العباسيين ،حيث طلب الأمان من قبائلهم ، فأقام أولا عند قبيلة مكناسة ، ثم انتقل إلى قبيلة والدته ، وهي قبيلة نفزة التي لقي عندها تأييدا[4] ،كما نجح في الحصول على دعم قبائل عديدة ، مثل زناتة ومغلية ، فقد قام أبو قرة وانسوس زعيم مغلية بإخفائه من ملاحقة عبد الرحمان بن حبيب الفهري ، حاكم افريقية أنذاك[5] . ويروي المقري أن زوجة أبي قرة المغيلي أنقذته من موت أكيد ، حينما أخفته تحت ثيابها بعدما اهتدى رسل عبد الرحمان الفهري الى

---

[1] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص 33 .

[2] - المصدر السابق : ص119.

[3] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص33.

[4] - أخبار مجموعة : ص 152.

[5] - نفسه ؛ وانظر أيضا ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2 ،ص41 ؛ المقري :نفح الطيب ،ج3،ص28.

مخبئه ، و لم ينس الداخل هذا الصنيع ، لما أصبح أميرا على الأندلس وقصده أبو قرة وزوجته فأكرمهما واستظلا بظله هناك[1].

و قام البربر أيضا بدور هام في تسهيل عبور الداخل إلى الأندلس ، ذلك أن مجموعة كبيرة منهم كانت ضمن موالي بني أمية[2] ، ونظرا لما قدمه هؤولاء الموالي للخلافة الأموية فقد صار لِقادتهم نفوذ كبير في الأندلس ، غير أن سياسة يوسف الفهري والصميل جردتهم من بعض ممتلكاتهم وحجمت من النفوذ التي كانت لهم في عهد الولاة[3] ، مما دفعهم إلى تغيير موقفهم ، فسارعوا لِلإنضمام الى حركة عبدالرحمان الداخل وتأييده ، وساعدوه في الدخول إلى الأندلس بعد التفاوض مع مولا بدر[4].

لم تذكر المصادر التاريخية أن البربر هم الذين قاموا بهذا الدور .بمفردهم ، و لم تخصهم بالإسم ، و إنما ركزت على ذكر مصطلح الموالي ، ولمّا كان البربر يشكلون جزءا هاما من هؤلاء ، فلا شكّ أن دورهم في مساندته وعبوره الى الأندلس كان معتبرا.

وبمجرد أن وطأت قدماه الأندلس ، بدأ يراسل وجهاء الناس وحكام الأقاليم ويطلب تأييدهم، فكان من بين هؤلاء ، الزعيم البربري ، في منطقة تاكرنا ، عبدالرحمان بن عوسجة، الذي وافق على تأييده، ووصل الخبر الى بني الخليع ، وهم من بربر ولهاصة ، فرع من قبيلة نفزة التي تنتمي إليها والدة الداخل، فانضموا إلى جموع القوات المؤيدة له، ويرجع عبدالواحد ذنون طه ، تعاون البربر وتنسيقهم مع العشائر اليمنية في تأييده، إلى إعتقادهم بأن تغيير النظام القائم سوف يعمل على تحسين الوضع في الأندلس لصالحهم[5]، وحسب عنان فإن ممتلكات البربر وحيازتهم للأرض تأثرت كثيرا بفعل سياسة الولاة السابقين ، خاصة في

---

[1] - المصدر السابق ، ج 1 ، ص313.

[2] - كان موالي بني أمية في الأندلس من أصول مختلفة بيزنطية ،و بربرية، و إفريقية (إبن القوطية: المصدر السابق، ص34؛ ذنون طه: الفتح والإستقرار، ص359).

[3] - عنان : المرجع السابق ، ج1 ،ص66.

[4] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص33.

[5] - الفتح والإستقرار العربي في الأندلس ، ص370.

عهد يوسف الفهري ،شأنهم في ذلك شأن القبائل اليمنية[1]، غير أن موضوع الأرضي وحده لايبدو أنه كان السبب الرئيسي في الصراع ، ذلك أن أرض الأندلس فيها ما يزيد عن حاجة العرب والبربر، إنما موضوع السلطة قد يكون هو الأكثر تأثيرا ، كما أن مسألة الإنتماء والتعصب ، والإلتفاف حول الأصول القبلية ، وحده كفيل بأن يثير مثل تلك الخصومات، وربما كان ذلك يحتاج إلى الإندماج والتواصل ، والإختلاط عن طريق المصاهرة مثلا والجوار لتخف تلك الحزازات ، والنعرات ، فقد دلت التجارب الإجتماعية على أن الإنغلاق يكون في كثير من الأحيان سببا في الصراع ، ليس بين البربر والعرب فحسب بل بين العرب أنفسهم ، أو بين القبائل البربرية ، وفي عموم المجتمعات المنغلقة.

و إنضم إلى عبد الرحمن الداخل في شذونة ، وهو يتقدم نحو قرطبة ، عدد كبير من بني إلياس من قبيلة مغيلة البربرية[2]، فعظُم جيشه وكثر عدده « وأتاه أهل الغرب فبايعوه وتم أمره في جميع غرب الأندلس»[3] ، و كانت أعداد كبيرة من البربر قد إستقرت في تلك المناطق[4].

وظل الداخل يعزز قواته بانضمام المزيد من اليمَنيين والبربر الذين توافدوا عليه من مناطق مختلفة، و يقدر ابن عذاري عدد القوات التي كانت معه وهو في طريقه إلى قرطبة بثلاثة آلاف فارس[5] .

ولما وصل بجموعه و مؤيديه إلى قرطبة ، و تهيأ للحرب بدأ في تنظيم قواته فرأّس على خيل صحبه من البربر إبراهيم بن شجرة البرنسي، وكان من قادة البربر الذين استقبلوه ودخلوا في طاعته بمنطقة مورور[6] ، وهو ما يؤكد دورهم في نصرته.

---

[1] - حيث يرى أن البربر كانوا عنصرا قويا في الصراع يحتفظون دائما ببغضهم القديم للعرب ويحرصون على إستعادة ما انتزعوه منهم خلال الفتنة من النواحي و الضياع .(دوله الاسلام في الاندلس ، ج1 ، ص 153).

[2] – ابن القوطية : المصدر السابق ، ص36.

[3] – ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 36.

[4] – العذري : المصدر السابق ، ص26.

[5] - المصدر السابق ،ج2 ،ص42.

[6] - اخبارمجموعة: ص142؛ ابن عذاري:المصدر السابق ج2، ص47.

ومن الدلائل أيضا على دور العصبيات البربرية في قيام الإمارة الأموية و تأييد الداخل، أنه لما كان يتقدم بجيشه نحو قرطبة ، وخشي أن يسبقه إليها جيش خصمه يوسف الفهري العائد من سرقسطة على عجل ، حثّ الداخل أتباعه على الجدِّ في السير ، وأمر كل فارس أن يردف أحد الرجالة، و أردف هو شخصيا على فرسه أحد البربر من منطقة مورور، بعد أن سأله عن اسمه فقال: سابق بن مالك بن يزيد، فتفاءل بذلك وقال له:«سابق سبقنا، ومالك ملكنا، ويزيد زدنا هات يدك أنت رديفي»[1] ، فأصبح الرجل منذ ذلك الوقت يعرف بالرديف، وأطلق على عقبه ، في مورور ، أبناء سابق الرديف وهم من البرانس[2] .

ولّما بدأ الداخل في تنظيم قواته وتعيين قادة الكتائب، إستعدادا لملاقات خصمه عيّن ابن نعيم الكلبي على رأس الفرسان الشاميين و بلوهة اللخمي على المشاة اليمنيين، أما المشاة من البربر والموالي فقد عين عليهم عاصم العريان و الفرسان منهم أسند قيادتهم إلى واحدا من البربر هو إبراهيم بن شجرة البرنسي.[3]

انقسام البربر بين مؤيد و معارض لقيام الإمارة الأموية :

ساندت جموع كثيرة من البربر عبد الرحمان الداخل في قيام إمارته بالأندلس ، لكن مجموعات أخرى وقفت ضده في الطرف الآخر ، وأيدت خصمه يوسف الفهري و الصميل ومن ورائهما جموع القيسية ، ففي الوقت الذي كان فيه الداخل يتلقى الدعم والمساندة من العصبيات اليمنية ، والبربر، ويستعد للمعركة الفاصلة في المسارّة ، قرب قرطبة ،كان يوسف و الصميل يجمعان حولهما عصبيات مختلفة من ضمنها «البربر وأخلاط الناس »[4] .

---

[1] - بن القوطية : المصدر السابق، ص37.

[2] - نفس المصدر ؛ ذنون طه : الفتح والاستقرار ، ص 373.

[3] - أخبار مجموعة: ص142.

[4] - نفس المصدر .

والملاحظ أن البربر لم يحافظوا على تماسكهم ،كعصبية موحدة تواجه العصبية العربية في هذه المرة ،كما حدث أثناء ثوراتهم على عبد الملك بن قطن ، أو كما حدث في ثوراتهم ببلاد المغرب ، بل أصبحوا منقسمين ، بين مؤيد ومعارض للداخل [1].

هذا الإنقسام بين صفوفهم يشير إلى تحكم المصالح والمنافع في موقف العصبيات عموما ومن بينها العصبيات ، البربرية خاصة وأن القيادات المتنازعة على السلطة كانت تتنافس في استمالتها إلى صفها ، فكان منها من يؤيد عبد الرحمن الداخل ومنها من يؤيد معارضيه[2] ،

علما أن فضل الإنتصار الذي حققه الداخل في معركة المصارة سنة 138 هـ/755م ، والذي مكنه من دخول عاصمة البلاد ، قرطبة ، والإعلان عن قيام الإمارة الأموية ، يعود بالدرجة الأولى ، إلى التضحيات التي قدمها البربر أنذاك ، والدور الذي قاموا به في تمكينه من النصر، غير أن ذلك النصر لا يعني إخضاع كامل البلاد واستقرار الأوضاع ، نظرا لتعدد العناصر المعادية له و تحكم النزعة العصبية في المجتمع الأندلسي[3].

دور البربرفي ثورة يوسف الفهري :

لم تمض إلا فترة قصيرة عن قيام الإماراة حتى فرَّ يوسف الفهري ناكثاً العهد[4] بتحريض من أنصاره الفهرية ، ومضي إلى ماردة سنه 141هـ/758م ، حيث اجتمع له بها من الأنصار عشرون ألفا أو أكثر غالبيتهم من البربر والباقي عرب[5] .

كما يؤكد صاحب أخبار مجموعة حماسة البربر في مواجهة قوات الداخل إذ يقول: « فحين إلتقيا نزل رجل من موالي فهر من البربر من ساكني ماردة فدعا الى النزال و البراز فلم يبرز إليه أحد »[1].

---

[1] - أخبار مجموعة ،ص142

[2] - ذنون طه : الفتح والإستقرار ، ص381 ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج1، ص153.

[3] - المقري : المصدر السابق ،ج3 ،ص31 ؛ ذنون طه : المرجع السابق ، ص 181.

[4] - حينما إنتصر الداخل على يوسف والصميل كُتب بينهما كتاب صلح وأمان وأنزلهما بقصر في قرطبة، وأخذ إبنا يوسف كرهينة حتى تهدأ الأمور (أخبار مجموعة :ص 145).

[5] - أخبار مجموعة : ص147 ؛ عن مصير وأحداث ثورة الفهري ضد الداخل أنظر ما قبل ص52.

تحالف العصبيات البربرية مع اليمنية ضد الداخل :

وشارك البربر أيضا إلى جانب اليمنية في إعلانهم الثورة عليه ، بوقوفهم إلى جانب حيْوِة بن ملامس وعبد القادر اليحصبي وعمر بن طالوت زعماء اليمنية الذين اسغلوا غياب الداخل عن قرطبة ، وثاروا علي إبنه سليمان ومولاه بدر[2]. ولّما عاد عبد الرحمان الى قرطبة لجأ إلى زعماء البربر الذين هم في صفه و يحاربون إلى جانبه وطلب منهم أن يتصلوا بالبربر الذين كانوا يقفون إلى جنب خصومه ، و أن يقنعوهم بخطأ تصرفهم في نصرة العصبية اليمنية ، ويخطروهم أنه إذا تغلبت قوات الداخل على اليمنية، كانت العاقبة وبالاً عليهم[3] .

فلما كان الليل تسلل رسل من وجهاء البربر إلى المعسكر الآخر ، وخاطبوا بني عمومتهم بالبربرية ، ومنوهم الأماني ، و زينوا لهم حسن رأي الأمير فيهم ، واتفق الطرفان من البربر على أنه عندما ينشب القتال يتثاقل البربر و يفرون من ساحة المعركة[4] . وبذلك استطاع الداخل التأثير على البربر و إقناعهم بالتخلي عن نصرة اليمنية الذين كثر فيهم القتل وحلت بهم الهزيمة[5].

و الملاحظ في هذه الحادثة أن نزعة العصبية بين البربر استطاعت توحيدهم رغم انقسامهم بين معسكر الداخل و معسكر اليمنية ، وهو ما يؤكد على مدي تأثيرها على النفوس و دورها في توحيد الصفوف و جمع الكلمة في أصعب المواقف.

كما شارك البربر في ثورة عبد الرحمان بن حبيب الصقلبي ، الذي جمع جيشاً منهم و هاجم الساحل الشرقي للأندلس وفق خطة مشتركة مع سليمان بن يقظان الأعرابي ،

---

[1] - أخبار مجموعة : ص147.

[2] - ابن عذارى: المصدر السابق ، ج2،ص55 ؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص202.

[3] - يقول بن القوطية:« فدعا بمواليه من البربر مثل بني الخليع و بني وانسوس و غيرهم ، فقال لهم: خاطبوا بني عمومتكم وعظوهم و اعلموهم أنه إذا تغلب العرب (يعني العرب الذين معه) فلا بقاء لهم معنا » ص39.

[4] - نفس المصدر .

[5] - نفسه.

حاكم برشلونة لتطويق الداخل و القضاء عليه و إعلان الدعوة للخليفة العباسي وكان ذلك سنة 163هـ/779م [1] .

البربر بين النزعة العصبية والنزعة المذهبية :

ظلت العصبية البربرية تمثل خطرا على الإمارة الأموية ، منذ بدايتها ، وتزعج عبد الرحمان الداخل و أصبح البربر مادة للفتنة و الخروج طيلة حكمه ، وإذا كانت ثوراتهم في شمال إفريقية تسترت وراء الدعوة الخارجية ، كمبرر للخروج ومعارضة سلطة الولاّة العرب فإنهم ألفوا ذلك التخفي وراء أي دعوة تهفوا لها النفوس[2] ، غيرأن هذه المرة كانت الدعوة العلوية التي تزعمها أحد رجالاتهم في شمال شرق الأندلس[3] عام 151هـ/778م ، هي التي دفعتهم إلى الثورة والتي أخذت طابعا مذهبيا، ذلك أن رجل من قبلية مكناسة البربرية يدعي شقيا[4] بن عبد الواحد قام بإعلان الثورة ، مدعيا نسباً فاطميا شيعياً حتى عرف بالفاطمي ، واتخذ من شنت بريه[5] مركزًا لثورته ، وتَسمَّى بعبد الله بن محمد ، ودعا الناس إلى اعتناق الدعوة العلوية (الشيعية) ، فذاعت دعوته بين البربر[6] الذين وجدوا فيها فرصة مناسبة تخلصهم من حكم العرب بعدما ضاقوا بهم ذرعا ، قيسية ويمنية على حدٍ سواء والتف حوله كثير من البربر ، وسار بهم غربا فاستولى على عدة مناطق ، مثل ماردة ، وقورية ، ومدلين ،كما استولى على شنتبريه وقتل واليها سليمان بن عثمان ، وأشتد أمره وطار ذكره وأفسد في الأرض[7] فزاد هذا النصر من طغيانه وتوالت حملات الأمير عبد الرحمان للقضاء عليه ، غير أن الفاطمي كان يتجنب المعارك الحاسمة ويحتمي بقمم الجبال كلما أحس بالخطر

---

[1] - أخبار مجموعة: ص154.

2 - حسن أحمد محمود: تاريخ الغرب الإسلامي، دار النهضة العربية القاهرة 1972، ص88.

3 - أخبار مجموعة : ص154 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق ، ج2، ص54.

4 - لم تفصل المصادر التاريخية في التعريف به سوى أنه من مكناسة ، وأن أمه تسمى فاطمة قارن: أخبار مجموعة: ص154 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص54.

5- بلدة تقع شمال شرق طليطلة على القرب من نهر تاجة : ابن الابار : الحلة السيراء ،ج2 ، ص109 ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج7 ،ص186.

[6]- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص54 .

[7]- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص605 .

وتمكن من هزيمة الجند الذين أرسلهم إليه حاكم طليطلة ، فسار إليه عبد الرحمان الداخل بنفسه سنة 152هـ /769م ، ثم أرسل مولاه بدرًا لقتاله سنة 154هـ/771م ، وكان في كل مرة يتحصن بالمناطق الجبلية للإحتماء بها ، وفي سنة 155هـ/772م خرج الداخل لقتاله بجيش جعل عليه هلال المديوني كبير البربر في شرق الأندلس ، بعد أن استماله و أقره على مافي يده من النواحي ، وعهد إليه بولاية المناطق التي تغلب عليها الفاطمي بعد إنتزاعها منه، وقد كان لذلك أثره في بث الخلاف في صفوف البربر، فانفضّ عن شقيا كثير من أنصاره[1] واضطر إلى الإنسحاب للإعتصام بالجبال مرة أخرى ، غير أن المشاكل التي واجهت عبد الرحمان بفعل صراع العصبيات المتعددة ظلت تدفعه إلى ترك هذا الثائر مما جعل ثورته تمتدّ لسنوات طويلة ، وكان لإعتصامه بالجبال وتجنب اللقاء المباشر أثر في استمرارها.[2]

و لما كانت ثورة البربري تسبب إزعاجا للإمارة الأموية ، عاد الداخل مرة أخرى لقتاله سنة 158هـ/774م، بعد أن توجه إلى قورية لمعاقبة سكانها من البربر الذين كانوا قد غدروا بعامله عليها ، أبي زعبل الصدفوري، وسلمّوه إلى شقيا البربري الذي قام بقتله ، فقتل عبد الرحمن كثيرا منهم ، غير أنه لم يتمكن من الثائر الذي استمرّ في خروجه[3] على سلطة الإمارة حتى سنة 160هـ/776م ، حيث كانت نهايته على يد اثنين من أتباعه تآمرا عليه وقتلاه واحتزا رأسه وحملاه إلى قرطبة [4].

ويعتبر محمد علي مكي ثورة شقيا البربري تمثل ثورة شيعية بربرية في بلاد الأندلس ، وأنها أول محاولة لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي قبل ظهور دولة الأدارسة بعشرين

---

[1] - أخبار مجموعة : ص 154 ؛ محمد زيتون : المرجع السابق ، ص261.

[2] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص54 ؛ عنان : المصدر السابق ، ج1، ص163.

[3] - أخبار مجموعة: ص153 .

* - اقتصرابن عذاري على ذكر الفاطمي أنه من بربر مكناسة، أما ابن خلدون وابن الاثير فيسميه كلاهما : « شقيا بن عبد الواحد المكناسي » ، ورواية ابن الأثير عن ثورة الفاطمي هي أوفى وأكثر تفاصيل من غيرها . قارن ابن (خلدون : العبر ، ج2 ، ص123 وابن عذاري : البيان : ج2 ، ص54 وابن الأثير : الكامل :ج5 ، ص605).

[4] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ،ص55.

سنة ، ويضيف بأن تلك الثورة كشفت عن مدى أثر الدعوات الشيعية أن تحققه من نجاح في أوساط البربر [1].

كما شارك البربر أيضا في ثورة عبد الرحمان بن حبيب الصقلبي ، سنة 163هـ/779م، تلك الثورة التي كانت تدعو الى المهدي العباسي ، وكانت مشاركة البربر فيها بأعداد كبيرة، حيث تشير المصادر الى انضمام الكثير منهم تحت لوائه ، واستطاع أن يكّون منهم جيشا كبيرا ، و توجه بهم من تدمير متوجها إلى الشمال ، حيث كان سليمان بن يقضان الأعرابي يدعوه لنصرته ضد الداخل[2].

وإذا كان الداخل قد عانى كثيرا من العصبيات العربية ، فإن البربر أعلنوا العصيان والخروج في عدة جهات، وقاموا بثورات في مناطق مختلفة من البلاد ، ففي سنة 162هـ/178م ، خرج عليه إبراهيم بن شجرة البرنسي بمورور في جموع من البربر، فأخرج إليه قائده بدر يوم عيد الأضحى ، وأخذه على حين غرّة وقتله ، وكتب إلى عبد الرحمان بالفتح، وقيل بل كان ذلك في سنة 163هـ/179م[3] .و شاركت أعداد كبيرة من البربر في ثورة محمد بن يوسف الفهري[4] ، خاصة من قبيلة نفزة في منطقة قورية وقد كانوا من أشد المؤيدين لمحمد بن يوسف بن عبد الرحمان الفهري[5] .

كانت الإمارة الأموية تعاني منذ قيامها في عهد الداخل من صراع العصبيات العـــربية ، والعربية- البربرية ، ورغم أن جيشه كان يضم العرب و البربر ، في مواجهة العصبيات الثائرة فإن عدم اطمئنانه إلى تلك التشكيلات ، وخشيتة من نفوذ وجهاء القبائل ، دفعه إلي التفكير في إنشاء قوة أخرى يمكن الإعتماد عليها في مواجهة عصيان وتمرد العصبيات العربية ، فأمر بشراء المماليك وإستقدام البربر من بلاد المغرب ، مما شجع المزيد منهم على العبور

---

[1] - التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد 1954 ، ج2 ، عدد 1 ، ص98 .

[2] - قارن ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص22 ؛ النويري: نهاية الإرب ، ج22 ، ص 166.

[3] - ابن عذاري : ج2 ، ص47 .

[4] - أنظر ما قبل ص53.

[5] - ابن عذاري : ج2 ، ص57 .

إلى الأندلس ، و الخدمة في جيوشه ، وتذكر المصادرأن عدد هؤلاء بلغ قرابة أربعين ألف[1] ، واستمرت هذه السياسة في عهد حفيده الحكم بن هشام أيضا.

العصبيات البربرية في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان :

تولى الأمير هشام الإمارة بعد وفاة أبيه ، غير أن أخويه سليمان وعبد الله أعلنا العصيان، ولم يجد الأمير هشام إزاء هذا الموقف إلا محاربتهما , وقد إنتهى الأمر بأن طلب عبد الله الأمان ، فأمنه هشام و عفا عنه أما سليمان فقد أخذ يتنقل بين مدن الأندلس يؤلب أهلها على الثورة والعصيان ويجمع الأنصار فذهب الى ماردة ، ثم الى بلنسية واتصل بالبربر المستقرين بها واحتمي بهم ، واستغلهم في محاولته الإنقلابية ضد أخيه , غير أن جيوش هشام تصدت له وانتهى به الأمر لطلب الأمان فعفا عنه مقابل أن يعبر مع أخيه عبد الله الى عدوة المغرب بأهله وماله[2].

ثورة البربر في تاكرنا :

ظلت منطقة رندة في إقليم تاكرنا[3] ، مهدا للفتن والقلاقل فقد عادت القبائل البربرية المستقرة بها إلي الثورة والعصيان سنة 178هـ/794م وخلعوا طاعة الأمير هشام ، وغاروا على الناس فقتلوا و سبوا وعاثوا في تلك المنطقة فسادا و هددوا أمن المنطقة فسيّر إليه الأمير هشام جيشا بقيادة عبد القادر بن أبّان بن عبد الله ، الذي أخمد الثورة وفتك برؤسائهم وخرب بلادهم و وضياعهم ، وفرقهم في الأنحاء و القبائل تمزيقا لعصبيتهم على حدّ قول

---

[1]- المقري : المصدر السابق،ج3 ، ص36 ؛ ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب : تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر 1964 ، ج1 ، ص60 .

[2] - ابن الأثير : المصدر السابق ,ج 5 ، ص83 ؛ ابن الأبار : المصدر السابق، ج1، ص143.

[3]- تاكرنا منطقة جبلية على بعد نحو مائة كيلومتر غرب مالقة ولفظ تاكرنا بربري يوجد في مناطق مختلفة من بلاد المغرب أشهرها تكرونة في تونس . راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج2 ، ص141 : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج2 ، ص353 ؛ أنظر الخريطة ص135.

ابن عذارى[1] ، فلاذت فلولهم بمدينتي طلبيرة[2] ، و ترجيلة [3] في الجنوب الغربي من الأندلس حيث لجأوا إلى عصبية لهم من البربر[4] .

الحكم بن هشام و صراعه مع العصبيات البربرية :

دور البربر في ثورة سليمان بن عبد الرحمان:

أكثر ما عاناه الأمير الحكم ، عصيان عميه عبد الله وسليمان ، اللذان تم نفيهما في وقت أبيه إلى عدوة المغرب لإبعاد خطرهما و من هناك ظلا يرقبان الفرصة للإستيلاء على السلطة، فما كاد الحكم يتولي حكم الإمارة ، حتى عبر سليمان بجيش من البربر إلى الأندلس يريد قرطبة ، فتصدى له الحكم و اشتبك مع قواته سنة 182هـ/798م ، و انهزم سليمان وفر مع جموعه من البربر الى ماردة ، التي تعتبر من أهم مواطنهم ، ثم زحف من جديد نحو الجنوب الشرقي و استولى على جيان [5]، وهناك إنضمت إليه جموع هائلة معظمها من البربر فلما التقي جيشه مع جيوش الأمير الحكم انهزم للمرة الثالثة و تمكن سليمان من الفرار[6].

ثورة أسبغ بن عبد الله بن وانسوس بماردة:

ظلت بعض العصبيات البربرية تعلن العصيان والخروج عن السلطة الأموية ، شأنهم في ذلك شأن بقية العناصر المتنافرة بالأندلس ، ففي سنة 190هـ/805م ،إندلعت الثورة في ماردة بقيادة أحد رجالهم ، هو أَسْبغ بن عبد الله بن وانسوس[7] .

---

[1] - المصدر السابق ، ص64.

[2] - مركز من أعمال طليطلة أقصى ثغور المسلمين على هضبة تتوسط شبه الجزيرة وتعتبر بابا من الأبواب التي تتوجه منها الجيوش الإسلامية الى أرض قشتالة ، انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج2 ، ص551 .

[3] - انظر عنها : ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج2 ، ص276 .

[4] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص64 ؛ النويري : نهاية الإرب ، ج2 ، ص177 .

[5] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 70 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص273.

[6] - ابن عذارى : تامصدر السابق ، ج2 ، ص70 ؛ محمد محمد زيتون : المرجع السابق ، ص278.

[7] - أخبار مجموعة : ص 152 .

وتُعتبر أسرة بني وانسوس من أشهر الأسر البربرية في الأندلس ، ينتمون الى قبيلة مكناسة ، وقيل مغيلة ، جدُّهم الأول هو وانسوس أبو قرّة ، كان مقيما بإفريقية حين دخلها عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) ، بعد فراره من الشام فاستتر عند وانسوس ، هذا مدّة من الزمن ، بعيدا عن أعين والي إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، فلّما نجح الداخل في إقامة الإمارة الأموية ،لم ينس ما قدمه له وانسوس وأسرته ، فرحب بهما في الأندلس واستظلاً بظله ،والتحقوا بخدمته، وقاموا بنصرته في ثوراته المختلفة ، وظلت هذه الأسرة في خدمة الأمويين طوال عهد الإمارة [1]. وقد كان أصبغ بن عبد الله بن وانسوس أحد قادة الأمير الحكم بن هشام ، فهو الذي كلفه بمهمة التصدي لِثورة عمه سليمان ، وتمكن من القضاء عليها والقبض على قائدها وقتله وبعث برأسه إليه بأمر منه [2].

غير أن هذا القائد البربري سرعان ما تغير ولاؤه وإخلاصه للبيت الأموي ، وأعلن الثورة عليهم في جمع من البربر ، وكان سبب تلك الثورة بعض الوشاة الذين أوقعوا بينه وبين الأمير الحكم بن هشام ، الذي قرر أن يخرج الى ماردة لصده ، ولكنه ارتد عنها مسرعا حين علم بنبأ هيج أهل الربض بقرطبة[3] ، وترددت البعوث والحملات بعد ذلك الى ماردة حوالي سبع سنوات لإخماد ثورة ابن وانسوس ، الذي استطاع ان يحشد إليه الأنصار من بربر ماردة فالتفوا حوله ، وأصبحوا يؤلفون قوة كبيرة كانت السبب في إطالة مدة الثورة ، غير أنه اضطر اخيرا أمام قوة حملات الحكم الى طلب الأمان[4] فأجابه ، الى طلبه وعادت ماردة الى الطاعة واشترط الحكم على أسبغ بن وانسوس أن يسكن قرطبة حتى يقربه منه ويأمن عودته الى العصيان ، وسمح له أن يتفقد ضياعه وأملاكه بماردة[5] .

---

[1] – أخبار مجموعة : ص152 ؛ المقري : المصدر السابق ، ج3 ، ص28.

[2] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ،ص70 ؛ عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص 220.

[3] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص73.

[4] – نفسه.

[5] – ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب،ج1 ،ص36 ؛ابن الأبار : المصدر السابق ،ج1، ص160 ؛ ابن خلدون: الغبر ، ج4 ، ص276.

ثورة البربر في موروره[1]:

في سنة 200هـ/815م ثار البربر بمنطقة موروره بزعامة رجل منهم لم تذكر المصادر التاريخية اسمه ، سوى أنه ثائر ، من البربر[2] ، فبادر عامل المدينة بتبليغ الأمير الحكم وأطلعه على أخباره ، فاستعد الأمير للتخلص منه ، بعد أن استدعى أحد كبير قادته ، وأخبره بما جاءه من والي موروره وأمره بالمبادرة بقتله وقال له :سر من ساعتك الى هذا الخارجي فإتني برأسه وإلا فرأسك عوضه ، وأنا قاعد مكاني إلى أن تعود . فسار هذا القائد من فوره الى موروره لإخماد ثورة البربر بها, وعلى الرغم من قوة هذا الثائر إلا أنه قُتل واحتزت رأسه على أيدي قائد الأمير الحكم وأُرسلت الى قرطبة[3] ، ويذكر النويري أنه:« لّما رأى الحكم بن هشام رأس الثائر البريري أحسن الى ذلك القائد ، ووصله ، وأعلى محلّه »[4]،

عبد الرحمان الأوسط وصراعه مع العصبيات البربرية:

تجدد الثورة بماردة:

عاد البربر لإعلان التمرد والعصيان من جديد ، في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط في مدينة ماردة سنة 213هـ/ 827م ، وقاد الثورة هناك رجلان من زعمائهم هما : محمود بن عبد الجبار بن راحلة ، وهو من بني طريف من مصمودة[5]، وسليمان بن مرتين المولد وكانت ماردة تضّم أخلاطا شتى من السكان منهم المولدون [6] ، والمستعربون وطائفة كبرى من

---

[1] – موروره moron مدينة أندلسية من أعمال إشبيلية تقع الى الجنوب الشرقي منها وتبعد عن قرطبة حوالي ستين ميلا يقول الحميري : «كورة موروره متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس وهي من الغرب والجوف من كورة شذونة وأحوازها متصلة بأحوازها ، وهي من قرطبة بين القبلة والغرب » المصدر السابق ، ص118 ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص293.

[2] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص218 .

[3] – نفسه .

[4] _ النويري : المصدر السابق ، ج22 ، ص193 .

[5] - مؤلف مجهول : نبذة تاريخية في أخبار البربر في العصور الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال ، الرباط 1934 ، ص 80.

[5] - المولدون : بعد فتح الأندلس أسلم كثير من الإسبان ، وقد أنجب هؤلاء جيلاً جديداً عرفوا باسم المولدين muladies وهم نتاج الزواج بين مسلمين عربا أو بربرا وبين إسبانيات ،وقد نشأوا على الإسلام وشاركوا في=

البربر وكانت هذه المدينة بحكم وقوعها على مقربة من مملكة أشتوريس المسيحية تتلقى تأييدا منها للثورة ضد حكومة قرطبة , فقد كان الملك ألفونسو الثاني المعروف بالعفيف (175 -227هـ / 791-842م) ، يشجع سكان غرب الأندلس على الثورة ضد الأمير الأموي ، وقد انضمَّ إليهم النصارى المستعربون وأقدموا على قتل عامل المدينة مروان الجليقي ، وعلى إثر ذلك سيَّر إليهم الأمير عبد الرحمان جيشا حاصر مدينة ماردة سنة 214هـ/829م ، إلا أنه لم يتمكن من إخماد ثورتهم وتوالت الحملات العسكرية عليها ، وقد أمر الأمير جنده بتخريب سور المدينة الحصينة حتى لا تعود الى التمرد ، غير أن أهلها عادوا فجددوا بناء السور وتمادوا في العصيان فعادت الحملات مرة أخرى تتردد عليها حتى تمكنت من إخماد الثورة بها سنة 219هـ/834م[1] ، وهرب زعيما الثورة ، فتحصن سليمان بن مرتين زعيم المولدين في حصن سنت أقروج santa cruz de la sierra بالقرب من مدينة ترجالة trujella ، وتتبعه الأمير عبد الرحمان وحاصر الحصن وضيق عليه ، ولمّا حاول سليمان بن مرتين الفرار ليلا إنزلقت فرسه على صخرة ملساء فوقع ميتا ، أما محمود بن عبد الجبار الزعيم البربري فقد تحصن في منت شلوط monsalud على مقربة من مدينة

=الحياة السياسية بالأندلس فكان منهم ولاَّة الثغر الأعلى كبني قسِّي الذين كانوا موالين للأمويين وكانوا يقفون الى جانب المضرية في صراعها مع اليمنية ، وقد ساعد تشجيع الأمويين لهم على أن يتحولوا ويندمجوا أكثر في الجماعة الإسلامية ، وأصبحوا يؤلفون على عهد أمراء بني أمية بالكثرة الغالبة من السكان ، واستقر معظمهم في المدن الكبرى مثل طليطلة وبعض مدن الثغر الأعلى ، واشتهر كثير منهم بالقوة والنفوذ والثراء ، وقد احتفظ كثير منهم بأنسابهم الإسبانية مثل بنو أنجلين angelion ، وبنو شبرقة sabarica ، وبنو القبطرنة Kabturna ، وبنو غرسيه gorcia وغيرهم . أنظر ابن حزم :الجمهرة ،ج2 ، ص502 ؛ ابن حيان (أبو مروان بن حيان القرطبي): المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت 1973، ص70 ؛ سلمى خضراء الجيوسي: المرجع السابق ، ص238) ؛ أما المستعربون هم المسيحيون الذين كانوا يعيشون في الأندلس و لم يدخلوا الإسلام وتعربوا بحكم صلاتهم اليومية بالعرب واستعمالهم اللغة العربية والزي العربي والأسماء العربية وتأثرت بذلك بيئتهم الإجتماعية ، وعرفوا أيضا بعجم الذمة أو المعاهدين والمسالمة ، وقد كفلت لهم الدولة حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وسمح لهم ببناء كنائس جديدة ، ونتيجة للتسامح الذي إتبعته الدولة معهم اتخذوا العربية لغة لهم وارتقى بعضهم الى مناصب كبيرة في الجيش والإدارة والقصر . عن المسالمة أنظر : النباهي (أبو العباس بن عبد الله الحسين) : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفي بروفنسال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة1948، ص21 ؛ سلمى حضراء الجيوسي : المرجع السابق ، ص 130.

[1] - عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمون وآثارهم ، ص 232.

بطليوس، وعاث في تلك الأنحاء قتلا ونهبا وتخريبا ، تعاونه أخته جميلة[1] التي تصفها المصادر: بأنها كانت فارسة بارعة الحسن ,إشتهرت بالشجاعة والنجدة والفروسية[2] ، واستطاع أن يبسط سلطانه على باجة ، فقاتل أهلها وتمادى في عيثه وشره كما يقول ابن القوطية[3] ، فقام الأمير عبد الرحمان سنة 223هـ/ 838م ، بإرسال الحملات تباعا للقضاء عليه ، وإرغامه في النهاية الى الفرار واللجوء مع أخته إلى جليقية ، بعد أن كاتب ملكها ألفونسو الثاني مستنجدا به ، فرحب به وأكرم وفادته وأنزله بأطراف مملكته ، لكن الندم أدركه بعد ذلك فكتب الى الأمير عبد الرحمان يطلب العفو والأمان ويرغب في العودة، غير أن ألفونسو إطلع على تلك المكاتبات وخشي أن ينقلب عليه ، فسار إليه بنفسه محاولا التخلص منه ، ودافع الزعيم البربري عن نفسه دفاع الأبطال لكنه قُتل سنة 226هـ/840م، وبذلك إنتهى خطره على الإمارة الأموية ، أما أخته جميلة فقد وقعت في الأسر وأرغمت على الزواج من أحد قادة جليقية ، الذي حملها على إعتناق المسيحية ، وأنجب منها ولدا أصبح فيما بعد أسقف لمدينة شنت ياقب santiago de compostela أكبر كنائس إسبانيا النصرانية[4].

والملاحظ أن ظاهرة لجوء زعماء العصبيات العربية أو البربرية الى أعداء المسلمين من نصارى الإسبان أو إلى الفرنجة ، وطلب الإستعانة بهم والتآمرعلى السلطة الأموية تكررت في كثير من الأحيان وهو ما ساهم في إضعاف قوة الدولة وشجع على فقدان كثير من المناطق التي تم فتحها ، وسنعود لتفصيل ذلك في الفصل الموالي الخاص بنتائج الصراع على مسيرة الفتح.

---

1 - يسميها بن القوطية جملة : المصدر السابق ، ص 62.

2 - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 446.

3- ويقول أيضا:« فكانت جملة تدعوا هي وأخوها الى الخلاف والمعصية ...» المصدر السابق ، ص62 .

4 - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 62 ؛ ابن حيان : المقتبس ، ص673 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج4 ، 279 ؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1 ، ص48 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب: ص466 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص217.

تجدد الثورة في تاكرنا:

في سنة 211هـ/826م ، عاد بربر تاكرنا الى الثورة ، بقيادة رجل منهم ،يدعى طوريل البربري[1]، وكان أهلها يجنحون دائما الى الثورة ولا يطيقون الخضوع لسلطان الأمويين يقول ابن عذارى: « فأخرج إليه الأمير عبد الرحمان معاوية بن غانم في حشد ، فظفر به وقطع عاديته »[2] ، غير أن ذلك لم يثن أهلها عن محاولة الخروج عن سلطة قرطبة مرة أخرى ، ففي سنة 235هـ/849م عادوا إلى الثورة من جديد ، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمان جيشا لقتالهم ، فهزمهم وألجأهم الى طلب العفو والأمان[3] .

ثورة البربر في الجزيرة الخضراء:

إن العصبيات البربرية لم تقتصر في صراعها مع السلطة العربية ممثلة في الإمارة الأموية على منطقة معينة ، أو إقليم محدود في الأندلس ، بل ظلت مظاهر العصيان والثورة تتجدد في عدة مناطق خاصة تلك التي تسكنها أعداد كبيرة من البربر، وهو مايعني أن الصراع حتى وإن كان يبدو أنه موجه ضد السلطة الأموية غير أن إنطلاق الثورة من مناطق تسكنها أغلبية بربرية ، وبقيادة بربرية أيضا يشير الى أن تلك الثورات كانت تغذيها النزعة العصبية تجاه العرب عموما ، فقد شاركت منطقة الجزيرة الخضراء بدورها في التمرد ضد الأمير عبد الرحمان الثاني ، ففي سنة 226هـ/850م ، قاد الثورة هناك حبيب البرنسي وانضّم إليه كثير من أهل الشرِّ والفساد على حدِّ قول ابن عذارى[4] ، وأخذ يشن الغارات على قرى ريّة[5](مالقة) ، وغيرها من المناطق المجاورة ، فقتل وخرب العمران ، فأخرج إليه عبد الرحمان جيشا على رأسه عباس بن مضّا ، ففرق جموعه وقتل عددا كبيرا من رجاله[6] ، وإعتمادا

---

1 - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص82.

2 - المصدر السابق، ج2: ص 82.

3 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص 51.

4 - المصدر السابق ، ج2 ، ص90.

5 - كورة رية إقليم يقع الى الجنوب من قرطبة ، أصبحت فيما بعد مدينة مالقة malaga عاصمة له راجع عنها الحميري : الروض المعطار ، ص79 ؛ ابن الأبار : الحلة السيرا ، ج1، ص63.

6 - يقول ابن عذاري:« فأخرج إليه عبد الرحمان الأجناد ، فلمّا وصلوا إليه ألفوا البربر قد قصدوا حبيبا ومن تأبش

على مايذكره ابن عذاري عن نهاية هذه الثورة ، فإن البربر كانوا في بعض الأحيان يواجهون الثورات التي لم يكن لها هدف سوى التخريب والفساد حتى وإن كانت من عصبياتهم ومناطقهم كما حدث في تصدِّيهم لهذه الثورة قبل وصول جيوش الأمير وقضوا على كثير من عناصرها[1] .

نستنتج مما سبق:

_ كان البربر أول من دخل الأندلس مع طارق بن زياد واحتملوا مشقة الفتح ، واتصلت هجراتهم إليها واستقروا في مناطق مختلفة وتجاوروا مع العرب.

_ إن البربر كانوا مثل العرب منقسمين إلى قبائل مختلفة مثل البتر والبرانس ، وزناتة وصنهاجة .

_ أن العصبية بالأندلس لم تصبح مقتصرة على الجنس العربي ، بل إن البربر هم أيضا تعصبوا ضد العرب مندفعين في ذلك بتحقيق طموحاتهم السياسية و المادية.

_ لم يكن الخلاف بين العرب والبربر يأخذ طابعا عنصريا أو مذهبيا ، بقدر ما كان صراعا على المصالح المادية والسلطة ، وذلك ما نلمسه في انقسامهم بين مؤيد للسلطة الأموية ، وخارج عن سلطانها ، بل منهم من كان يحالف العصبيات اليمنية والبعض الأخر يحالف العصبيات القيسية .

_ إن محاولة بعض المؤرخين تفسير الصراع بين العرب و البربر باستئثار العرب دونهم بالمكاسب و الأراضي الخصبة غير صحيح على إطلاقه ، فقد انقسم العرب على أنفسهم واستمر الصراع بين القيسية واليمنية وقتا طويلا .

إليه فتغلبوا على المعقل الذي كان إنضوى إليه وأخرجوه عنه وقتلوا عِدّة كثيرة من أصحابه » المصدر السابق ، ج2، ص90 .

1 - المصدر السابق ، ج2 ، ص91.

الفصل الرابع

أثر الصراع على سير عملية الفتح

إستفادة الجبهة الأوربية من الصراع في مواجهة الفتح :

قبل أن الخوض في الحديث عن نتائج صراع العصبيات على مسيرة الفتح لابد أن نلقي نظرة موجزة عن واقع الجبهة الأوربية أنذاك ، ونشير إلى أبرز القوى التي تصدت للفتح الإسلامي ، وأصبحت تمثل جبهات أمامية تتحين الفرص للقضاء على الإسلام وطرد المسلمين من الأندلس.

مراكز تجمع النصارى في الشمال الإسباني:

إمارة جليقية (أشتوريس):

لقد كانت تمثل أعظم خطرا بحكم موقعها خلف جبال وعرة ، وبعيدا عن طريق غزوات المسلمين إلى غالة ، وقد اعصم فيها مجموعة من القوط الذين ارتدوا أمام تقدم الفتح الإسلامي في أيامه الأولى ، وتحصنوا بمغارة كوفادونجا التي تقع بسلسلة جبال كانتبريه المنيعة بأقصى الجزء الشمالي الغربي التي تعرف لدى المؤرخين المسلمين بالصخرة [1] ، حيث يذكر صاحب أخبار مجموعة أنه لم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة ، فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاي ، فدخلها في ثلاثمائة رجل ، فلم يزل المسلمون يقاتلونه ، ويغارون عليه حتى مات أصحابه جوعا و لم يزالوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلا ، وليست معهم من النساء سوى عشرة ، وكان عيشهم العسل ، ظلوا يتقوتون به ، وانصرف عنهم المسلمون لقلتهم، وقالوا :« ثلاثون علجا ما عسى أن يكون أمرهم ، واحتقروهم ، ثم بلغ أمرهم إلى أمر عظيم »[2] ، غير أننا نشك في صحة هذا العدد الذي تحدده الرواية بثلاثين رجلٍ ، وعشرة نسوة من بقايا القوط في هذه المنطقة ، إذ لايُعقل أن يصير بعد وقت قصير إلى مملكة تهدد دولة المسلمين في الأندلس ، بل ويكون على عاتقها طرد المسلمين نهائيا ، إنما قد يكون عدد القوط المتحصنين في تلك المناطق النائية أكثر بكثير ، خاصة إذا ما أخذنا بعين الحسبان جهل المسلمين للطبيعة الجغرافية وامتدادها الواسع ، وصعوبة مسالكها وكم يمكن أن يسكنها ، ويلجأ إليها من القوط الفارين من الفتح .

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص29.

[2] - المصدر السابق ، ص109.

استمرّ بلاي في تنظيم وتقوية تلك الفلول القليلة من بقايا أبناء القوط النصارى ، ومن الأيبيريين والرومان ، وأخذ يحرضهم ضد المسلمين ويذكي في نفوسهم طلب الثأر والمدافعة عمّا بقي بأيديهم من أرضهم ، و حماية حريمهم[1] ، ويعيب عليهم الإستسلام والتراجع ، كما استطاع أن يخلِّف بعد وفاته 119هـ/737م إمارة صغيرة قويةة ومنيعة لإبنه فافيلا الذي دام حكمه سنتين[2] .

إمارة كانتبريه :

أما الجبهة الثانية التي تجمّع فيها بقايا القوط المنهزمين فتقع في الطرف الشرقي من جبال ألبرت في سهول نفار ، على طريق القوات الإسلامية إلى جنوب غالة (فرنسا) ، وقد كانت تحت قيادة الدوق بطرس الذي ينتمي إلى أصول ملكية ، وكان من قادة جيوش لذريق ، غير أن هذه الجبهة كانت أقل خطرا وأهمية من الجبهة الغربية التي تمثلها إمارة جيليقية[3] ، وقد توفي الدوق بطرس ، فخلفه إبنه ألفونس الأول(أذفونش) ، الملقب بالكاثوليكي ، وفي عهده بدأ التقارب بين الإمارتين الشرقية والغربية ، وتوطدت أواصر التحالف ،خاصة بعد أن إقترن ألفونس الأول من ابنت بلاي أرمسندا[4] ، وبعد وفاة فافيلا ، إختار أهل جيليقية ألفونس الأول ملكا عليهم ، وتمّ إتحاد بين الإمارتين فيما عرف بعد ذلك بإمارة جيليقية (ليون) النصرانية ، ويُعد الأخير المؤسس الحقيقي لإسبانيا النصرانية ، فقد وسّعها وقواها ، ودفع عنها خطر المسلمين ، وكانت الظروف التي تولى فيها الحكم فيما بين سنتي 121هـ/ 739م و140هـ/ 757م لأن صراع العصبيات بين المسلمين شغلهم عنها لسنوات طويلة[5] .

---

[1] - المقري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 17.

[2] - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج2 ، ص 323.

[3] - نفس المصدر،ج2،ص323.

[4] - نفسه .

[5] - طه : دراسات أندلسية ، ص146.

مملكة نفار :

إلى جانب مملكة جيليقية(ليون) ، قامت مملكة نصرانية أخرى في بلاد البشكنس (الباسك) بالجنوب الغربي لجبال ألبرت ، وكانت هذه الإمارة في أول أمرها تابعة إلى سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنج ، ويعدّ غرسييه إنيجز الذي يسميه ابن حزم ملك البشاكسة أحد قادة هذه الإمارة[1] ، وكانت مدينة بنبلونة عاصمة لها .

إمارة قطلونية (برشلونة):

تمتدّ من جبال ألبرت في الشمال إلى بلنسية جنوبا ، ومن سرقسطة غربا إلى البحر المتوسط في الشرق ، ويسكنها الشعب القطلاني[2] ، فتحها المسلمون غير أنهم لم يبقوا هناك طويلا ، فقد انتزعها منهم شارلمان سنة 185هـ/801م .

مملكة الفرنجة :

بالإضافة إلى الإمارات النصرانية السابقة الذكر ، والتي كانت تمثل بقايا دولة القوط التي سقطت على أيدي المسلمين والتي كانت في حدود مباشرة مع سلطة المسلمين في الأندلس ، هناك دولة الفرنجة التي استطاع المسلمون أن يفتحوا قسما هاما من الأراضي التابعة لها ، وأصبحت الحدود قائمة بينهما في منطقة سبتمانيا ، ولفظ الفرنجة يشمل تلك الشعوب التي حكمتها الأسرة الميروفنجية ثم الكارولنجية[3] ، فيما يعرف اليوم بفرنسا وشمال إسبانيا (قطلونيا) وشمال إيطاليا ، وأجزاء من ألمانيا وقد تناولت المصادر الإسلامية حدود هذه الدولة بدقة ، إذْ اعتبرت أن بلاد الفرنجة هي التي تبدأ عند الحدود الطبيعية لشبه الجزيرة الأيبيرية فيما وراء جبال ألبرت[4] .

---

[1] - الجمهرة ، ص502.

[2] - شكيب أرسلان : غزوات العرب في فرنسا وايطليا وجزر المتوسط، ط القاهرة 1933، ج2 ، ص99.

[3] - ابن الخطيب : أعلام الأعلام ، ج1، ص75؛ أرسلان: المرجع السابق ، ص 1116.

[4] - المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص192 ؛ البكري: المسالك والممالك ، ص143؛أنظر الخريطة، ص134.

هذه لمحة عن مراكز تجمع نصارى الشمال الإسباني ، و الفرنجة . فما مدى إستغلالهم للخلافات والصراعات العصبية بين المسلمين في الأندلس ، للتوسع على حسابهم ؟ وكيف تمّ لهم ذلك؟

صراع العصبيات وتعثر مسيرة الفتح :

عهد الولاة:

بعد أن فرغ موسى بن نصير من فتح الأندلس فكر أن يعبر جبال البرنيه (البرت) إلى بلاد غالة ثم يمضي إلى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية عن طريق أوربا ، بعد أن استعصى فتحها على المسلمين من الجانب الشرقي ثم يستمر في فتوحه حتى يصل بلاد الشام مركز الخلافة الأموية [1]، وحسب رأي المقري فإن موسى كان يأمل أن يخترق ما بقي من بلاد الفرنجة حتى يصل إلى المشرق ويتخذ من تلك البلاد طريقا يسلكه أهل الأندلس في سيرهم ومجيئهم من الشرق وإليه على البر لا يركبون البحر[2]، غير أن سياسة الإحجام والتردد التي اتبعها الخليفة الوليد بن عبد الملك نحو الفتوح العربية حالت دون تحقيق ذلك، فقد كتب إلى موسى يحذره من التوغل بالمسلمين في دروب مجهولة ويأمره بالعودة [3]، و لم تفسر المصادر التاريخية أسباب هذا الاستدعاء ،فإذا أخذنا بالرواية التي ينقلها عنان عن بعض المصادر اللاتنية ، إذ يقول: « ولما علم الوليد بن عبد الملك ما حدث لطارق بن زياد وموسى بن نصير من الخلاف بعث فيهما فانصرفا إلى المشرق»[4]. أمكننا تفسير سبب ذلك إلى الخلاف الذي وقع بين موسى بن نصير وقائده طارق ، وأن الصراع الذي كان قائما بين قادة الفتح كأفراد أو بين العصبيات المختلفة كان خطرا على مستقبل الإسلام في الأندلس منذ البداية .

ولقد ترتب على تلك العودة توقف مؤقت للفتح الإسلامي نحو مناطق شمال غرب الأندلس ، وعاد القادة بجنودهم من تلك المناطق في اتجاه الجنوب، ومع رحلة العودة سنة

---

[1] - ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص255.

[2] - المقري: المصدر السابق، ج1، ص130.

[3] - أخبار مجموعة : ص 103.

[4] - عنان: (نقلا عن الغريزي) المرجع السابق، ج1، ص54.

95هـ/714م توقفت عمليات الفتح في الشمال الغربي التي صارت فيما بعد منافذ للحركات القومية في اسبانيا ، حيث انطلق منها تيار الإسترداد[1] عندما ضعف الحكم الإسلامي في البلاد، فكان عدم القضاء عليها سببا في تقوية الروح القومية للإسبان .

وإذا كان قرار استدعاء كل من موسى وقائده طارق يصعب تفسير دوافعه وأسبابه[2] ، إلا أن عواقبه كانت في غير صالح الفتوحات الإسلامية، ذلك أن الطريق كان ممهدا للتقدم بمسيرة الفتح ، دون أدنى مقاومة من جانب المدن الجنوبية في الأراضي الفرنسية لكن الأمر بالرحيل لم يتح له الفرصة لتحقيق ذلك . وهناك أراء تذكر أن رسول الخليفة مغيث الرومي لم يكن بارا بموسى فيما نقله من أخبار إلى الوليد وأنه كان يكرهه ويريد به شرا لذا نقل الصورة غير الصحيحة إلى الخليفة وصوَّر الأمر على أنه كارثة تحل بالمسلمين إذا تقدموا في الفتح [3] ، وكان عبد العزيز بن موسى قبل نهاية ولايته ، قد استولى على إقليم قطلونية ، وفتح المسلمون في عهده ، مدائن كثيرة[4] ، وبذلك أصبحت كثير من مناطق شبه الجزيرة تحت سلطة المسلمين عند نهاية ولايتة سنة 97هـ /716م .

وإذا كان عبد العزيز من الصلاح وحسن القيادة التي وصفته بها المصادر التاريخية ، فهل كان مقتله على أيدي الجند خسارة للفتح ؟ يقول عنه ابن عذارى أنه:« ضبط سلطانها وافتتح مدائن كثيرة وكان من خيرة الولاة إلا أن مدته لم تطل لوثوب الجند عليه وقتلهم له»[5] ، وإذا أضفنا إلى ذلك شهادة أبيه موسى بن نصير حينما وردت رأس ابنه عبد العزيز

---

[1] - بيضون: المرجع السابق، ص72.

[2] - ومن ذلك ما يذهب إليه المقري من أن سليمان بن عبد المالك كان يميل إلى تفضيل طارق بن زياد، فقد طلب نصيحة مغيث الرومي بشأن مدى نفوذه وتأثيره على المسلمين في الأندلس ولكن مغيثا أثار مخاوف الخليفة حين قال له: «لو أن طارق أمر أهلها بالصلاة الى قبلة شاءها لتَبِعوه و لم يروا أنهم كفروا» المصدر السابق، ج3، ص13؛ ويمكن أن يفسر هذا القرار على أن الخلافة الأموية خشيت من إزدياد نفود البربر في الأندلس حسب رأي ذنون طه: الفتح والإستقرار، ص172 .

[3] - المقري : ج3، ص13 ؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: معركة بلاط الشهداء، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،1996، ص32.

[4] - أخبار مجموعة : ص 24.

[5] - المصدر السابق ، ج2 ، ص34 ؛ وأنظر أيضا ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص 256.

إلى الخليفة سليمان ورآها قال له:والله لقد قتلته صواما قواما[1]. فمن كانت هذه بعض خلاله ومجهوداته وبلائه في فتح مناطق واسعة من الأندلس بعد عودة أبيه إلى المشرق ، ويتِمُّ قتله لمجرد الشك حول مقاصده ونياته بإنقياده لزوجته القوطية ، أو أنه يدبر مشروعا إستقلاليا[2] ، فإنه بلا شك يُعد أكبر خسارة لعملية الفتح منذ البداية ، بل في ترسيخ تقاليد الخلاف والصراع بين قادة الفتح لمجرد الوشاية أو الحسد ، وما نتج عن ذلك من تفويت فرصٍ كثيرة وتعطيل جهود الفاتحين .

وأكثر من ذلك فإنه بمجرد مقتله دب الخلاف والخصومات بين الجند ، حيث تذكر المصادر أن « أهل الأندلس مكثوا شهورا لا يجمعهم والٍ حتى إجتمعوا على أيوب بن حبيب ابن أخت موسى بن نصير »[3]، أليس هذا دليل آخر على أن قتله قد شغلهم بالخلافات ، و لم يستطيعوا حتى على تعيين خليفة له ، ولِنتصور كيف يمكن مواصلة الفتح بدون والٍ يقودهم في تلك المناطق النائية ؟

وإذا كانت المصادر الإسلامية لم تحدد المناطق التي فُتحت في عهده ، سوى وصفها بأنها مدائن كثيرة[4] ، فإن عنان نقل عن مصادر لاتنية بأنه إفتتح منطقة الساحل الواقعة بين مالقة وبلنسية وافتتح لبلة وغيرها من الحصون والمعاقل[5]، كما يذكر مؤنس أنه قبل نهايه ولايتة قد استولى على إقليم قطلونية ودخل المسلمون برشلونة وطركونة و جيراندا[6] ، وبالإضافة إلى جهوده في توسيع دائرة الفتح فإن سياسته في العدل والتسامح والإعتدال إمتدت لِتشمل أهل البلاد المفتوحة ، في تطبيق الأحكام ، وفرض الضرائب . وتُعدّ معاهدة الصلح التي وجهها لِتدمير شاهدا على ذلك وهذا نصها « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد العزيز إلى تدمير . أنه نزل على الصلح وأنه له عهد الله وذمته أن لايترع عنه ملكه ، ولا

---

[1] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 25.

[2] - أنظر ما قبل ، ص33.

[3] - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص25.

[4] - أنظر ما قبل ، ص35.

[5] - المرجع السابق ، ج1 ، ص55.

[6] - معالم في تاريخ المغرب والأندلس ، ط دار الرشيد، القاهرة 2005 ، ص291.

أحد من النصارى عن أملاكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون أولادهم ولا نساءهم ولا يكرهوا على دينهم ، ولا تحترق كنائسهم ...وأن الذي اشترط عليه أنه صَالَحَ على سبع مدائن :أوريوالة وبلنتلة ولقنت ومولة وبقسرة وآنة ، ولورقة. وأنه لا يأوي لنا عدوا ولا يخون لنا أمنًا ولا يكتم خبرا علمه ...كتب في أربع من رجب سنة أربع وتسعـــين من الهجرة »[1] .

وحتى إذا سلمنا بصحة ما تذهب إليه بعض الروايات في تفسير سبب قتله بأنه كان يحاول الإستقلال عن الخلافة ، فما ذنب أبيه موسى و قائده طارق من قبل و إليهما يرجع الفضل في فتح الأندلس؟ وما مصير إخوته عبد الله وعبد الملك ؟ لقد عُزل عبد الله عن ولاية إفريقية وأساء واليها الجديد إلى جميع أقارب موسى في المنطقة[2] ،يقول ابن عذارى: « وكان فعل سليمان هذا بموسى وبنيه ، وقد فعل من الفتح في الإسلام ما فعل، من هفوات سليمان التي لم تزل تنقم عليه »[3] .

كما أن أيوب بن حبيب اللخمي الذي نصبه الجند عليهم بعد مقتله ، لم يقم بأي دور يذكر في ميدان الفتح طوال ستة أشهر التي قضاها في الولاية ، سوى أنه كان يؤمهم في الصلاة ، وأنه نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة[4] ، وماذا يعني الإهتمام بتغيير عاصمة البلاد في هذا الظرف بالذات ؟ أليس فيه ما يُفسر إنشغالهم بقضايا جانبية على حساب المهمة الحقيقية ، مهمة الفتح أولا؟ ، آلا يشبه ذلك ما حدث بين أبي المهاجر دينار وعقبة بن نافع الفهري ، حينما بنى مدينة جديدة على حساب مدينة القيروان ، وما تسبب فيه ذلك من حقد على أبي المهاجر ؟ آوَلَمْ يكن بإمكان من قتلوا عبد العزيز أن يعتقلوه إذا ثبتت عليه تلك التهم ؟ فقد سبق لِعُقبة بن نافع حينما اختلف مع أبي المهاجر أن سجنه و لم يقتله ، واستفاد من بعض نصائحه ، وحينما أعرض عن نصيحته له بعدم الإساءة إلى كسيلة كانت

---

[1] - هذا النص نقله عنان عن الغريزي :المرجع السابق ، ج1 ، ص293.

[2] - الحميدي : جذوة المقتبس ، ص289 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج5 ، ص22.

[3] - المصدر السابق ، ج1 ، ص47.

[4] - ابن عذاري: المصدر السابق ، ج2 ، ص25.

هزيمتهم في تهودة[1] ،ونحن بهذا لانريد أن نفسر حادثة الإغتيال ، أو ندافع على مقتل عبد العزيز ، بقدر ما نحاول أن نستخلص مدى تأثيرها على مسيرة الفتح.

بل هناك من يُفسر تغيير أيوب للعاصمة أنه كان بهدف الإستقواء بكثرة العرب والبربر البلديين الذين سكنوا حول قرطبة[2] ، وإذا صح ذلك فإن تلك الفترة القصيرة التي قضاها على رأس الولاية كانت بهدف تحقيق مصالح العصبيات النافذة ، دون أن يكون له الوقت الكافي للإهتمام بأمور الفتح ، خاصة وأن تملك الأراضي كان من جملة المغانم التي رغب المستقرون الأوائل في المحافظة عليها[3] .

لذلك يمكن إعتبار أن حادثة إغتياله كانت فعلا خسارة للفتح ، بل وفاتحة عهد جديد من الخصومات بين ولاة الأندلس ، وتعدى ذلك إلى مختلف العصبيات التي استقرت هناك .

أما في عهد الحر بن عبد الرحمن الثقفي الذي أرسله عامل إفريقية واليا على الأندلس ، فكانت أول مهمة كُلف بها هي النظر في شأن من قتل عبد العزيز[4] ، وإذا كان ذلك يتطلب منه وقتا للتحقيق ، وتتبع الجناة فضلا عن ما يحمله من مخاطر وما يثيره من حساسيات بين عناصر الجند ، خاصة المتهمين منهم ، ومن ورائهم العصبيات التي ينتمون إليها ، فلا شك أن الفترة التي قضاها الحر والتي دامت ثلاث سنين[5] ، كان محفوفة بالمخاطر ، و لم توفر له الوقت ليتفرغ لمواصلة الفتح بشكل كافي ، ولعلى في عبارة صاحب أخبار مجموعة حينما يقول :« و لم يستقر للحر قرار »[6] ، ما يفسر لنا إضطراب الأمور ، و عدم إستقرارها في

---

[1] - تهودة هي المكان الذي استشهد فيه عقبة بن نافع على يد كسيلة .عنها أنظر البكري : المصدر السابق ، ص72؛ وعن تفاصيل وأحدث الخلاف بينه وبين أبي المهاجر أنظر .لقبال موسى : المغرب الإسلامي : ص41.

[2] - طه : الفتح والإستقرار ، ص291 .

[3] - أنظر ما قبل ص36.

[4] - أخبار مجموعة : ص105.

[5] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص25.

[6] - المصدر السابق ،ص 106.

عهده بسبب الخلافات التي كانت تواجهه وأدت إلى عزله . و لم تذكر لنا المصادر العربية أية مناطق تم فتحها في عهده[1].

عُزل الحر من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز [2] ، وتولى السمح بن مالك الخولاني أمر الأندلس ، وقد تميز عهده بالتعمير وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد ، وتخميس الأراضي التي فتحت عنوة ، وبناء قنطرة قرطبة ، وإقامة العدل والرفق تحقيقا لرغبة الخليفة في ذلك[3] ، ولِنتصور كم يأخذ منه ذلك من وقت ؟ ولعلى ما أشارت إليه المصادر من إقامته للعدل والرفق بين الرعية ، ما يؤكد أن الأوضاع بالأندلس كانت مضطربة إلى حدٍ كبير يتطلب شخصية قوية مثل السمح لتحقيق ذلك . ومع ذلك استطاع أن يغزو بلاد الفرنج محاولة منه لتوطيد سلطان الخلافة في المناطق الشمالية ، حتى وصل إلى تولوشة (تولوز) التي إستشهد بها سنة 102هـ/720م [4].

ورغم الجهود التي بذلها خلفه عنبسة بن سحيم في مواصلة الفتح إلا أن النصارى الذين تحصنوا بأقاصي جيليقية استغلوا فرصة انشغال المسلمين بعوامل الفرقة والخلاف وشرعوا بالتحرك نحو الجنوب وحققوا نصرا عليهم سنة 104هـ/722م[5] ، وتتابعت الولاة على الأندلس بعد إستشهاد عنبسة رغبة في إصلاح الجبهة الداخلية ، ومواصلة مسيرة الفتح، غير أن كثرة الخلافات بين العصبيات وتجدد الصراع أدى إلى ضياع كثير من المناطق التي تمّ فتحها من بلاد الفرنجة وذلك ما يشير إليه ابن خلدون بقوله :«كان بين جنود الأندلس من العرب إختلاف وتنازع أوجب للعدو بعض الكرة ، فرجّع الفـــرنج ما كانوا غلبـــوهم

---

[1] - غير أن هناك بعض المراجع تنقل عن مصادر لاتنية أنه غزا غالة وأربونة وفتح قطلونية وبرشلونة ووصل إلى جبال ألبرت .(أنظر ذنون طه: الفتح والإستقرار (نقلا عن حولية 754)، ص292 .

[2] - المقري : المصدر السابق ، ج1، ص235.

[3] - أخبار مجموعة: ص106 ؛ ابن عذاري : ج2 ، ص26.

[4] - ابن عذاري : ج2، ص26 ؛ المقري : المصدر السابق ، ج3، ص15 ؛ غير أن صاحب أخبار مجموعة يذكر أنه عزل . ص 106.

[5] - طه : دراسات ، ص144.

عليه »[1]، وحسب عنان فإنه يمكن القول أن عنبسة ينفرد بين الفاتحين المسلمين بوصوله إلى قلب أوربا واستلائه على أقاليم واسعة، غير أنها كانت المدة الأولى والأخيرة التي تصل فيها قوات الفتح الإسلامي إلى تلك المناطق من أوربا ، وكاد مصير فرنسا يستقر في أيدي المسلمين لولا الاضطرابات الداخلية في الأندلس التي اضطرته للعودة ، وفي طريقه تعرض لكمين استشهد على إثره سنة107هـ/725م، فارتد الجيش إلى الداخل وعاد الاضطراب إلى الجزيرة مرة أخرى[2] ، وأن السياسة الداخلية لم تكن لتأخذ الطابع الإسلامي السليم وفق تعاليم الشريعة الإسلامية ، حيث تغلبت العصبية القبلية العنيفة على تصرف الحـــــكام ، و صارت العلاقات بين الولاة العرب تشهد بعض الصراعات فكانوا ينتهزون الفرصة بين الحين والآخر لإقامة واحد منهم واليًا على الأندلس[3] لكن فترة الولاية لم تكن تتجاوز إلا شهورا قلائل[4]، ثم تعود الأمور إلى طبيعتها عندما ترسل الخلافة الأموية بدمشق والٍ جديد من قبلها.

أثر صراع العصبيات في معركة بلاط الشهداء :

كانت ولاية عبد الرحمان الغافقي الثانية سنة112هـ/730م بعد أن أبعدته الصراعات القبلية نحو عشر سنوات عن المنصب الذي سبق وتولاه سنة102هـ/721م، استطاع بحسن سيرته وعدله[5] أن يضبط جنوده ويعيدهم إلى النظام من جديد ، لمواصلة الفتح وبدا قادرا حينذاك على تجميد الصراعات العصبية والانقسامات القبلية وتوحيد كل الأطراف في خدمة الدولة[6].

---

[1] - العبر ، ج7 ، ص 256.

[2] - عنان: المرجع السابق، ج1، ص81.

[3] - نفس المرجع.

[4] - تتابع ولاة الأندلس،ما بين تاريخ استشهاد عنيسة بن سحيم ، وتاريخ ولاية الغافقي الثانية سنة112هـ/730م وفيهم من لم يحكم إلا شهورا ولعلى ذلك فيه من الدلائل ما يؤكد عدم الاستقرار الذي أشرنا إليه. أنظر ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص37 ؛ أخبار مجموعة: المصدر السابق، ص107.

[5] - المقري: المصدر السابق،ج3،ص15.

[6] - أنظر ما قبل ص36.

جهز الغافقي حملة كبيرة باتجاه غالة ، وكانت أكثر نظاما وترتيبا واستعدادا لِيتم فتح تلك المناطق ، لكن الشقاق في صفوف المسلمين المقيمين في الثغر الأعلى للأندلس ، كان له أثر سيء على سير عملية الفتح فيما بعد ، ذلك أن الدوق أودو كان قد حالف المسلمين وصاهر قائدا بربريا من قادتهم هو منوسة[1] ، ولم يرض المسلمون عن هذه المصاهرة لأن منوسة بدأ يتقرب إلى صهره أودو، وانتهى به الأمر في النهاية إلى انفصاله عن المسلمين بمن معه من البربر[2].

وكان الغافقي يضع في خطته أنه لابد من العودة إلى المناطق التي انسحب منها المسلمون[3]. فقضى على الثورات التي كانت تأججها الصراعات القبلية استعدادا لمواصلة الفتح ، لاسيما أنه شارك من قبل ، في جيوش الفتح فيما وراء جبال ألبرت ، وشهد تلك الحملات التي اخترقت المعابر باتجاه غالة وحضر موقعة طولوشة التي استشهد فيها السمح بن مالك وكانت تلك المعركة قد تركت في نفسه أثرا عميقا ، خاصة وأنه قاد القوات المنسحبة بعد مقتل السمح وعاد بها إلى الأندلس[4]، ومن هنا يبدو أنه كان حريصا على الحفاظ على جهود من سبقه من الفاتحين والتحضير الجيد لإعداد حملات الفتح ،كما تطلب منه ذلك أيضا ضبط أمور البلاد أولا.

خرج عبد الرحمان الغافقي بحملته سنة114هـ/732م ، وكان الدوق أودو أمير أكوتين منذ اجتاح المسلمون أراضيه ورأى خطر الفتح يهدد ملكه يسعى إلى مهادنتهم والتقرب من حكومة الأندلس، وفي نفس الوقت يحاول استغلال فرصة الصراعات القائمة بين

العصبيات هناك ، ويجمع الحلفاء من حوله والعصبيات الناقمة على الولاة لينقضّ على المسلمين ويوقف الفتح[5] .

---

[1]- لأكثر تفاصيل عن منوسة أنظر ماقبل، ص69.

[2] - ويبدو أن عبد الرحمان الغافقي في إختلافه مع منوسة كان قاسيا معه فزاده ذلك نفورًا وانضمت إليه بعد ذلك جماعات من البربر وحدث انقسام في المعسكر الإسلامي عنان : المرجع السابق ،ج1 ص87.

3- المقري: المصدر السابق،ج3،ص15 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج2،ص38.

4 - ابن خلدون : العبر ،ج7 ، ص257.

[5] - أرسلان: المرجع السابق، ص 124.

أسرع الغافقي لمواجهة تحدي الفرنجة وتهديداتهم لحكم المسلمين في غالة ، وكان من جملة الأسباب التي دعته إلى إستئناف الحملات في تلك المناطق ، العمل على تأسيس وتثبيت موطن قدم للمسلمين عبر جبال ألبرت[1] ، وقبل التوجه إلى بلاد الفرنجة بدأ الغافقي بمهاجمة الدوق أودو حاكم أكيتانيا وتحطيم جيشه، غير أن الأخير تمكن من الإنسحاب الى الشمال طالبًا المساعدة والإحتماء بكارل مارتل الذي استعدّ من جهته لِلقاء المسلمين[2].

وقد إلتقى جيش الغافقي بجيوش كارل مارتل في رمضان 114هـ/732م ، وجرت بينهما مناوشات إنتهت بهزيمة المسلمين وإستشهاد الغافقي في مكان يقع إلى شمال بواتيه المعروف في الرويات العربية ببلاط الشهداء[3].

ومهما قيل عن العوامل التي كانت وراء هزيمة جيوش الفتح في معركة بلاط الشهداء فإن عامل الصراع والخلافات القبلية كان يمثل أحد أهم تلك الأسباب، فبالإضافة إلى توغل جيش الغافقي كثيرا في أراضي الفرنجة،كانت هناك عوامل رئيسية أضعفت جهوده وساهمت في هزيمتهم ذلك أن قسما كبيرا من الجيش الإسلامي كان يتكون من العناصر البربرية المستقرة في منطقة الأشتوريس وجبال البرتات بالإضافة إلى العرب ، خاصة القبائل اليمنية في منطقة سرقسطة والثغر الأعلى، غير أن البربر شكلوا الأغلبية[4] ، ويذكر المقري نقلا عن ابن خلدون:«أن عساكر المسلمين احتلوا البسائط وراء دروب الجزيرة وتوغلوا في بلاد الفرنجة، وعصفت ريح الإسلام بأمم الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب

---

[1] - وحسب ذنون طه فإنه من المحتمل أن الغافقى كان ينوي إسكان بعض البربر في المناطق المفتوحة الجديدة ويفسر ذلك بأن المسلمين الذين عبروا إلى فرنسا كانوا بأعدادٍ كبيرة، وقد اصطحبوا نساءهم وأطفالهم وممتلكاتهم مما يدل على أنهم كانوا يرغبون في الإستقرار هناك . الفتح والإستقرار ، ص301.

* كانت إمارة أكوتين (أكيتانيا) في ذلك الوقت تمتد بين نهر الرون شرقا وخليج غسقونية(بسكونية) غربا، وبين نهر اللوار شمالا ونهر الجارون جنوبا، وتشمل من مقاطعات فرنسا الحديثة جويان وبيرجور وسانتوج وبوانو وفندة وجزءا من أنجو، أنظر عنان: المرجع السابق،ص89.

[2] - أرسلان : المرجع السابق ، ص128.

[3] - أخبار مجموعة: ص107؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص38.

[4] - راجع ذنون طة: الفتح والاستقرار، ص303؛ا براهيم علي طرخان :المسلمون في أوربا القاهرة 1958 ، ص167.

اختلاف وتنازع »[1]، وهكذا كانت العصبية القبلية تفرق العرب اليمنيين والقيسيين، والبربر ينقمون على العرب بعد أن قتلوا زعيمهم منوسة ، وكانت عوامل الفرقة لا تسمح للعناصر المختلفة التي يتألف منها جيش الغافقي أن تتعاون فيما بينها، وتشكل خطرا على وحدة الصف الإسلامي نتيجة لما قد يحدث بينها من خلاف ونزاع، وهو ما حدث بالفعل[2] ،كما أن نقطة الضعف تكمن في عدم الانسجام بين عناصر المقاتلين حيث كانت تسود روح النزعة العصبية .

ورغم أن معركة بواتيه أو (بلاط الشهداء) كانت تمثل نقطة تحول في مسار الفتح الإسلامي في أوربا إلا أن المصادر الإسلامية تمر عليها دون تعليق وباختصار شديد أما الروايات الأوربية فتعتبرها من الوقائع العالمية الحاسمة في التاريخ ، وتبالغ في القول بأن هذه المعركة قد أوقفت الزحف الإسلامي للأبد ونهائيا عن أوربا ، وأن المد الإسلامي قد توقف عن الإستمرار والتقدم السريع داخل أراضي فرنسا، وأن المسلمين لن يستطيعوا التقدم شمالا، بل إن المعركة كانت حاجزا أنقذ أوربا، ويشيدون بظفر النصرانية ونجاتها من الخطر الإسلامي ، وترفع بطولة كارل مارتل وتصور نكبة المسلمين بأبشع الأوصاف فتزعم أن القتلى منهم في المعركة بلغوا ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألفا، في حين أن القتلى من الفرنجة سوى ألف وخمسمائة. ومصدر هذه الرواية تلك الرسالة التي أرسلها الدوق أودو إلى البابا جريجوري الثاني يصف فيها حوادث الموقعة وينسب الفتح إليه.[3]

وينقل عنان عن أحد المؤرخين الأوربيين قوله: أن معركة بواتيه أنقذت أبناءنا الإنجليز وجيراننا الغاليين(الفرنسيين) من نير القرآن المدني والديني. و أنه لو حقق المسلمون انتصارا في هذه المعركة لرأينا القرآن يدرس في أكسفورد والسربون، لكن المعركة حفظت جلال

---

[1] - العبر ، ج1 ، ص219.

[2] - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص144.

[3] - عن الروايات النصرانية التي تناولت معركة بلاط الشهداء أنظر أرسلان: المرجع السابق، ص106 وما بعدها .

روما وأخرت فتح القسطنطينية وأمّنَت المسيحية وأوقعت بأعدائها التفرق والفشل نتيجة ماحدث بينهم من صراع قبلي[1].

كما أن أحمد أمين علق على معركة بواتيه ووصفها بأنها كانت موقعة فاصلة بين المسلمين في الأندلس والفرنجة في أوربا، إذ لولا هزيمة المسلمين في تلك المعركة لفتح المجال أمامهم واسعا للإنتشار والتقدم لِفَتح كل القارة الأوربية كما كان مرسوما منذ عهد موسى بن نصير ولَإسْتَفَاد سكان تلك الأقطار المفتوحة بما عليه المسلمين من أخلاق وقيم وتقاليد وحضارة، ولَإستَفاد سكان أوربا من تعاليم الإسلام الخالدة [2] .

ويُرجع سبب ذلك إلى ما عُرف عن الأندلسيين من نزاع شديد ، وكثرة الثورات والثوار ولو أنه أتيح لها الاستقرار، وقلّ هجوم الإسبانيين عليها لأتَتْ بأضعاف ما أتت واستفاد العالم من حضارتها[3] .

ويعلل أسباب تلك الهزيمة بالخصومات التي كانت قائمة بين العصبيات ، والولاة حيث « شهدت الأندلس أكثر من غيرها تحاسد الزعماء، ووجود عدد كبير من العُتاه من البربر والعرب...وقليل من الأمراء من استطاع أن يصون وحدة المملكة مدة طويلة، فإذا هدأت البلاد قليلا كانت ثورة إما من زعيم يريد أن يتغلب، وإما من النصارى في الشمال يريدون أن يسترجعوا بلادهم وإما من بربر يحز في نفوسهم غلبة العرب...»[4].

ومهما يكن فقد توقفت موجة الفتح بعد هذه الموقعة تماما، والسبب لا يرجع الى هذه الهزيمة بالذات، فكثير من المعارك خسرها العرب ثم كانت لهم بعدها كرّات أعقبها الفتح والنصر، ولكن السبب يعود إلى الفتن والاضطرابات الداخلية التي حلت بالأندلس وحالت

---

[1] - عنان: المرجع السابق، ص108.

[2] - أحمد أمين: ظهر الإسلام،دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1،2004،ج3،ص31.

[3] - نفسه .

[4] - أحمد أمين:المرجع السابق ، ص31.

دون استمرار هذه الفتوحات ، بل إنها شجعت شارل مارتل على الكرّة واسترداد ما فتحه العر ب من بلاد ما وراء جبال البرتات [1].

وهكذا كان لموقعة بلاط الشهداء بين الفرنجة بقيادة شارل مارتل والمسلمين بقيادة عبد الرحمان الغافقي أثر في ارتداد المسلمين إلى ما وراء البرنيه، وضعف النفوذ الإسلامي إلى حد كبير في جنوب فرنسا[2]، فقد عاد المسلمون مرات إلى الغزو في تلك المناطق ، إلاّ أن هذه العودة كانت موقوتة وأثرها ضعيفا في تثبيت أقدام المسلمين في تلك الجهات، ومتابعة نشاطهم فيها مثلما حدث في عهد عقبة بن الحجاج السلولي [3] .

كما كان من نتائج هذه الواقعة أيضا أن دولة الفرنجة قد تبنت على عهد بيبن القصير سياسة جديدة ترمي إلى تشجيع روح الثورة والفتنة في الأندلس تمهيدا للإنقضاض عليها لطرد المسلمين منها ، بعد أن انهارت سيادتهم في جنوب فرنسا وأصبح في الإمكان إحداث ذلك أيضا في الأندلس[4] .

تراجع مسيرة الفتح بعد معركة بلاط الشهداء:

بعد استشهاد الغافقي إختار الخليفة هشام بن عبد الملك والياً جديدًا على الأندلس هو عبد الملك بن قطن ، وأمره أن يعمل على حماية شبه الجزيرة وتوطيد هيبة الإسلام ، غير أن عهده لم يطل فقد كان صارما ، شديد الوطأة كثير الظلم والبطش، فسخط عليه الزعـــماء و أولوا الرأي ، ودبّ الخلاف بين القبائل وبدت بوادر الفتنة ، إضافة إلى أنه لم يوفق في إخماد الثورة في الولايات الشمالية[5].

---

[1] - أحمد مختار العبادي: تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص 85 .

[2] - عنان: المرج السابق ،ج1،ص109.

[3] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص29.

[4] - عن استعانة الثوار بالفرنج أنظر ما بعد119.

[5] - المقري المصدر السابق ج3،ص19 ؛ ابن بشكوال: كتاب الصلة ،ط القاهرة 1955، ج2 ،ص 52.

وقد نقل ذنون طه عن حولية 754 «أن رؤساء عبد المالك لاموه لأنه لم يقم بعمل فعال في أرض الفرنجة » و=

عزل ابن قطن سنة 116هـ/734م، وخلفه على ولاية الأندلس عقبة ابن الحجاج السلولي الذي عزم على مواصلة الفتح و توطيد سلطات الإسلام في الولايات الشمالية وفي غالة ، فنظم الجيش وزاد في قوته، و غزا جليقية وتوغل فيها واستولى على الكثير من المواقع وأخضع معظم المناطق في الشمال حتى بلغ أربونة وافتتح جيليقية وبنبلونة[1]، وأصبحت أربونة من أهم القواعد الإسلامية في جنوب فرنسا ، وقد كان عقبة بن الحجاج متحمسا للأخذ بثأر هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء و مدى سيطرتهم إلى ما وراء جبال البرينيه من أجل نشر الإسلام ، وتشير المصادر الإسلامية إلى دوره ورغبته في هداية المسيحيين إلى الإسلام، فتروي عنه أنه كان حينما يأسر أسيرا مسيحيا لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، وبهذه الطريقة أسلم على يديه نحو ألفي رجل[2].

غير أن عقبة بن الحجاج كان كغيره من قادة الفتح الذين سبقوه ،لم يتمكن من فتح غالة ، فبعد عدة هجمات سريعة في منطقة الرون وقتال بقايا القوط في إقليم جليقية[3]، توقف زحفه أمام الحشد الأوروبي مرة ثانية بقيادة شارل مارتل وأسباب ذلك تعود الى عودة الصراع على السلطة من جديد بين أهل الأندلس، ذلك أن ابن قطن ومؤيديه من المستقرين الأوائل (البلديين) استغلوا فرصة حدوث تمرد البربر وهزيمة العرب في شمال افريقيا ليُزيحوا عقبة بن الحجاج عن ولاية الأندلس[4] .

فهم الذين تمتعوا بثمار الفتح منذ البداية صَعُب عليهم أن يقبلوا بحكم عقبة بن الحجاج ، لأن إجراءاته في إقامة العدل ، أشعرتهم بأنهم سيتضررون منها ، ومع ذلك فقد استطاع أن يُحَوِّل انتباههم إلى أرض الفرنجة وأن يشغلهم بالفتح ولكن ما إن سنحت الفرصة لهم حتى انتهزوها ، ونصبوا مرة أخرى الوالي السابق عبد المالك ابن قطن متحدين سلطة والي

=ربما كان ذلك الخلاف بينه و بين رجاله هو سبب عزله. الفتح والإستقرارص305.

[1] - أخبار مجموعة :ص109.

[2] - المقري : المصدر السابق ، ج3، ص19 .

[3] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص29 ؛ المقرى : المصدر السابق،ج3، ص19.

[4] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص30.

القيروان[1]. وكان هذا الإنقلاب ضد عقبة فاتحة عهدٍ من الاضطرابات والفتن والحروب وتعطيل عملية الفتح. وبذلك انتهت المحاولات لغزو أوروبا.

وهكذا يمكن القول أن عقبة ابن الحجاج كان خاتمة الولاة العظام الذين قاموا بدور بارز في الجهاد وراء جبال البرانس. وجاء بعده ولاة ضعاف لم يستطيعوا المحافظة على تلك الانجازات التي حققها من سبقهم ، واشتغلوا بالتنافس والصراع على السلطة ، وتبددت تلك المساحة الواسعة التي خضعت للمسلمين في أراضي غالة، و لم تعد بحوزتهم غير رقعة صغيرة ظلوا متمسكين بها حينا من الزمن هي أربونه التي صمدت أمام هجمات الفرنجة[2].

لكن النفوذ الإسلامي لم يكن ليدوم له الحال في أربونة ، ذلك أن بيبين القصير ابن شارل مارتل و خليفته ، قد حارب المسلمين في جنوب فرنسا وظل يحكم مملكة الفرنجة مدة سبعة عشر عاما (133-150هـ/752-768م) ،وفي عهده ضعف النفوذ الإسلامي في جنوب فرنسا ، وقد رأينا مظاهر ذلك الصراع العصبي في عهد ابن قطن وأبي الخطار ، ويوسف الفهري في الفصل الثاني وكيف انشغل العرب بتصفيه تراثهم القديمة بين القيسة واليمنية ، أوبينهم وبين البربر[3] عن مواصلة الفتح حتى آلت الأمور في الأندلس إلى عبد الرحمن الدخل

علاقة متمردي الأندلس مع الفرنج :

عهد الداخل:

لم يكن دخول عبد الرحمن قرطبة ومبايعته بالإمارة فيها ، نهاية لمتاعبه وتتويجا لكفاحه ، بقدر ماكان بداية لعهد جديد من النضال والكفاح لتوطيد سلطتة وإحياء دولة الأمويين بالأندلس موحدة أمام الأخطار المحدقة بها ، فقد كانت البلاد في ذلك الوقت نهبًا للفتن [4] والثورات مابين خصومة حادة بين المضرية واليمنية إلى تطاحن القبائل من أجل مصالحها

---

[1] - ابن القوطية: المصد السابق ، ص 28 ؛ أخبار مجموعة. ص108.

[2] - بن عذاري: المصدر السابق ج3، ص19؛ السيد عبد العزيز سالم :تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص146.

[3] - أنظر ما قبل ، ص64.

[4] - المقري: المصدر السابق ،ج1،ص308.

الذاتية على حساب تماسك الإمارة ووحدتها ، إلى فتن البربر الذين مثّلوا أحد العناصر القوية في البلاد بتعصبهم ضد العرب، إضافة الى جيوب المقاومة النصرانية في الشمال التي ظلت تنتظر الفرصة للوثوب والاسترداد[1] ، الى تربص مملكة الفرنجة من وراء البرينية رغبة في انتزاع أطراف الإمارة منهم لتصفية مناطق نفوذهم ، فضلا عن خطر العباسين الذين لم يُسَلموا بعد بضياع الأندلس منهم وتربصهم بعبد الرحمن الداخل وانتظار الفرصة المواتية لطرده منها[2] ، كان على الداخل أن يواجه ذلك كله وهو ماشغله عن مواصلة الفتح.

كان المسيحيون في سبتمانيا قد أغاروا وبمساعدة الجيش الفرنجي هناك وطردواالمسلمين من أهم مدنها سنة134هـ/752م ،أي في السنوات القليلة قبل وصول الداخل، واستعادت الفرنجة عدة مدن وفرضوا الحصار أيضا على أربونة[3].

الفرنج وتغذية الصراع الداخلي:

كانت سياسة الفرنجة تجاه الأندلس مع بداية قيام الإمارة الأموية تتميز بالترقب وبالعداء والخوف من اتساع نشاط الحكم الإسلامي خلف جبال البرنيه، وزادت تلك المخاوف مع وصول الداخل ، و محاولته توحيد الأندلس وتقوية سلطان الإسلام فيها ، مما أكد مخاوفهم التي دفعتهم لانتهاز كل فرصة لضرب قوة المسلمين أو تدميرها ، ورأوا أنه من المهم إحتلال بعض المناطق الشمالية من الأندلس، وأخذت العداوة صيغا أخرى، مثل المساندة لكل تمرد ضد السلطة الأموية[4] .

كان أول عمل قام به عبد الرحمان الداخل بعدما استتب له الأمر سنة140هـ/758م ، أن حاول فك الحصار على أربونة، غير أن محاولته فشلت لإنشغاله عنها بقمع العصبيات

---

[1] - أرسلان : المرجع السابق ، ص 118.

[2] - Levi-provençal : op . cit, t1,p.121.

[3] - أخبار مجموعة: ص109 ؛ ا براهيم علي طرخان :المرجع السابق ،ص167.

[4] - أنظر مابعد، ص ص 113-114 .

المناوئة له، وفقد المسلمون هذه المدينة بعد أن خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاما وشجع ذلك الفرنجة على عهد بيـــبن القصير للاستيلاء على مناطق أخرى[1].

ولقد تابع شارلمان الذي عاصر عهود ثلاثة من الأمراء الأمويين في الأندلس هم عبد الرحمان الداخل وابنه هشام وحفيده الحكم الربضي ، تابع سياسة والده بيـــبن القصير الرامية إلى تأييد الثوار واستغلال الصراع القبلي في الأندلس وتجيع الصرعات والفتن ضد حُكامها وولاتها[2]، تحقيقا لنفس الهدف وهو محاولة التصدي للفتح الإسلامي وطرد المسلمين منها، وإعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد.

شارلمان يؤلب الثوار على السلطة الأموية:

إهتم شارلمان بتنفيذ هذه السياسة ولهذا كان يراقب الأحداث في الأندلس متحينا الفرصة، والتي كانت مناسبة ، حين اندلعت الثورة في شمال الأندلس ضد الأمير عبد الرحمان سنة157هـ/774م بقيادة سليمان بن يقظان الأعرابي [3] والي برشلونة و جيرندة ومعه أبو ثور صاحب وشقة[4] ، الذي كان على خلاف مع الداخل لميل الأخير إلى المضرية ومعاداته لليمنية التي ينتمي إليها سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي ، وكذلك الحسين بن يحي الأنصاري والي سرقسطة، الذين تحالفوا على قتال عبد الرحمان منتهزين فرصة انشغاله بمحاولة قمـــع الثورات التي اندلعت في أنحاء مختلفة من الأندلس خاصة في الجـــــــنوب، و معتمدين على طبيعة الجهات الشمالية و وُعُورتها للاستـــمرار في الثورة وتحقيق أهدافهم، و قد انضم إليهم ثائر آخر هو عبد الرحمان بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي الذي أرسله الخليفة المهدي إلى الأندلس لمحاولة استعادتها [5] من الداخل .

---

[1] - أرسلان : المرجع السابق ،ص 120.

[2] - محمد زيتون : المرجع السابق، ص 156.

[3] – ابن عذارى : ج2 ، ص39.

[4] - نفسه.

[5] - ابن خلدون العبر: ج7،ص269.

وعلى الرغم من انشغال الداخل بمحاربة بعض الثوار، إلا أنه جهز جيشا وأرسله إلى الشمال لمواجهتهم ، بقيادة أحد كبار أعوانه هو ثعلبة بن عُبيد الجذامي ،لكن سليمان بن يقظان نجح في هزيمة جيوش الداخل وأَسْر قائده ثعلبة سنة 158هـ/775م ، فزاد ذلك النصر في حماسة الثوار في الشمال وشجعهم على الاستمرار في مناوأة حكومة قرطبة [1].

غير أن الثوار لم يَقْنعوا بذلك النصر المؤقت لما يعلمونه من عزم الأمير عبد الرحمان على الانتقام منهم ، لهذا فكر سليمان الأعرابي وحَلِيفه الحسين بن يحي الأنصاري في الاعتماد على قوة خارجية تسند الثورة في الشمال، وتساعد على تحقيق أهدافها، فطلب العون من عاهل الفرنجة شارلمان [2].

خرج سليمان بن يقظان بنفسة في مجموعة من أعوانه لِلقاء شارلمان سنة 160هـ/777م، عارضا عليه التحالف على قتال عبد الرحمان الداخل ومقترحا عليه غزو المناطق الشمالية في الأندلس، ومُتَعهدًا بمساعدته هو وحلفائه وتسليمه ما في حوزته من مدن خاصة سرقسطة، وتسليمه أسير الداخل ثعلبة بن عبيد ليكون ورقة رابحة يمكن مساومة الداخل عليها[3] .

لكن موافقة شارلمان على هذه المقترحات لم يكن اقتناعا منه بقضية الثوار في شمال الأندلس،ورغبة في مساعدتهم لتحقيق أهدافهم هناك ، وإنما كانت لِتنفيذ سياستة الرامية إلى وقف الفتح الإسلامي ، وتأمين حدوده الجنوبية ، وتحقيق مشروعه في إحياء الإمبراطورية الرومانية الذي طالما سعى لتحقيقه، فضلا عن أن ذلك كان يمثل مؤامرة واسعة النطاق دُبرت للقضاء على الداخل شاركت فيها الخلافة العباسية في عهد المهدي الذي كان يسعى

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2، ص40؛ أرسلان : المرجع السابق ، ص 125.

[2] - ابن خلدون: العبر، ج7،ص269؛ عنان: المرجع السابق ، ص168.

*جاءت الدعوة لشارلمان كما تؤكد الروايات العربية ، من قبل سليمان بن يقظان وحلفائه ، اذا تذكر المصادر الاسلامية بأن سليمان استدعى قارلة (أي شارلمان) ملك الفرنجه وَاعِدًا إياه بتسليمه برشلونة وسرقسطة.قارن ابن الأثير:الكامل، ج5،ص73 ؛ ابن خلدون: العبرة، ج7، ص269 ؛ عنان: المرجع السابق، ج1، ص170.

[3] - بيضون : المرجع السابق : ص 195.

لإسترداد الأندلس من قبضة الأمويين[1] ، ولقد كان تقارب الخلافة العباسية من الدولة الفرنجية و اشتراكهما في هذه المؤامرة يرجع إلى عدائهما المشترك للدولة الأموية بالأندلس من جهة ، و للدولة البيزنطية المتاخمة للعباسيين من ناحية أخرى [2].

ويبدو أن سليمان وحلفاءه اعتقدوا أنهم في ظل حماية الفرنجة يمكن أن يحققوا انفصالهم بالمناطق الشمالية ، ولهذا فقد قام سليمان بتسليم أسيره ثعلبة – قائد عبد الرحمان – إلى شارلمان عربونا للثقة والتحالف، وتنفيذا لِما سبق الإتفاق عليه ، كما اتفقوا معه على أن يتجه هو وجيوشه إلى مدينة سرقسطة فيسلمها له سليمان بن يقظان لتكون قاعدة لإنطلاق الجيوش الفرنجية باتجاه قرطبة ، وفي نفس الوقت يترل سليمان بن حبيب الفهري (المعروف بالصقلبي) من المغرب في أسطول بحري وجيش كبير من البربر على الساحل الشرقي للأندلس في مدينة تدمير (مرسية) ، حيث يبدأ هجومه في تلك الجهات[3]، وبذلك يتم تطويق الداخل والقضاء عليه ، غير أن ابن حبيب الفهري أسرع بالترول بجيشه وأسطوله على ساحل تدمير قبل وصول شارلمان وهو ما سهلّ على الداخل الإنفراد به ، قبل أن ينحاز إليه حلفاؤه، ولّما إستنجد بوالي سرقسطة سليمان بن يقظان ، لم ينهض لنجدته، متذرعا بأنه لا يستطيع أن يترك ولايته قبل وصول شارلمان كما تقضي الخطة ، و ربما كان يخشى بأس الداخل وعاقبة لقائه[4] ، وكان يريد الإحتماء بقوات شارلمان ويحارب في ظل جيشه ، وهو ما سهل على الداخل هزيمة ابن حبيب وقتله، والقضاء على أحد عناصر المؤامرة ثم يتفرغ لسليمان الأعرابي[5] .

سار شارلمان باتجاه سرقسطة سنة 161هـ/778م وقسم جيشه إلى قسمين، قسم يعبر جبال البرينيه من الجهة الغربية، والقسم الثاني يعبرها من الجهة الشرقية [6]، على أن يجتمع

---

[1] - أرسلان : المرجع السابق ، ص 126.

[2] - العبادي : المرجع السابق ، ص104.

[3] - أخبار مجموعة : ص154.

[4] - ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص269 .

[5] - أخبار مجموعة :ص156.

[6] - نور الدين حاطوم:تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ص165 ؛ Levi – provençal .op.cit.p.123

الجيشان أمام مدينة سرقسطة حيث يتم اللقاء مع حلفاء شارلمان ، وفي هذه الأثناء بلغه مصرع ابن حبيب الفهري والقضاء على جيشه، بعد خلافة مع سليمان الأعرابي، فأثر ذلك كثيرا عليه لفقد أهم حُلفائه[1].

ولّما وصل شارلمان إلى سرقسطة خرج إليه واليها سليمان بن يقظان للقائه خارج المدينة وسلَّم إليه بعض الرهائن، كما خرج لاستقباله أيضا حاكم وشقة أبو ثور الذي قدَّم إليه أخاه وولده كرهائن ، وتقدم شارلمان نحو سرقسطة وفي صحبته حلفائه من المسلمين وعلى رأسهم سليمان بن يقظان[2]، ووصل جيش الفرنجة إلى مشارف المدينة ، غير أن أهلها رفضوا الدخول تحت حماية الفرنجة المسيحيين، ومساعدتهم ضد إخوانهم المسلمين في الأندلس، وفي نفس الوقت دب الخلاف بين الثوار أنفسهم ، فقد تغيرت الأمور وحدث شقاق بين الحسين بن يحي الأنصاري وبين حليفه سليمان بن يقظان الأعرابي[3] ، ويبدو أن الحسين بن يحي خشي عاقبة التورط في حلف مع الفرنجة بما يسببه ذلك في تحريك مشاعر سكان المدينة من المسلمين ، وما يمكن أن يترتب على هذا التورط عند انسحاب الفرنجة، فغير موقفه ورفض استقبال شارلمان وحليفه سليمان [4] .

ولهذا أخذ شارلمان يرتاب في نية سليمان، وخشي أن يكون من وراء تلك المؤامرة ، فقبض عليه وسجنه[5] وظل محاصرا المدينة لفترة، ثم بدأ يرتد عنها منسحبا نحو الشمال الشرقي[6] وذلك في سنة 161هـ/778م ، مصطحبا سليمان بن يقظان كأسير ، ملقيا عليه اللوم في فشل حملته كما اصطحب معه عددا آخرا من الرهائن[7] .

---

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق ،ج2 ، ص43 ؛ حاطوم : المرجع السابق ، ص166.

[2] - ابن لأثير : الكامل ،ج5 ، ص73.

[3] - أخبار مجموعة: ص156.

[4] - عنان : المرجع السابق ، ص 173.

[5] - ابن الأثير: الكامل ، ج6 ، ص64 ؛ Lyvi-Provençal , op.cit , p.127

[6] - أرسلان : المرجع السابق ، ص127.

[7] - وهذا يبين دائما جزاء العميل فإذا لم ينفِّذ الأوامر مهما كانت الأسباب والأعذار يلقي أشدّ التنكيل وأسوأ مصير من سيده الذي لا يهمه منه أبدا غير القيام بما يريد منه . وكثيرا ما نال أعداء المسلمين منهم بواسطة العملاء =

قرر شارلمان العودة من نفس الطريق الذي سلكه في المجيء مارا ببنبلونه عاصمة بلاد البشكنس الذين استعدد للثأر منه ، وقد كان شارلمان قد هزمهم في طريقه الى سرقسطة وهو ما دفعهم إلى محاولة الانتقام ، خاصة بعد أن شجعهم صمود مدينة سرقسطة ووواليها الحسين بن يحي في وجه شارلمان و إرغامه على الارتداد[1]،و في الوقت الذي كان شارلمان قد قرر إخضاعهم والقضاء على مقاومتهم ، انضّم الكثير من المسلمين من المناطق المجاور للتعاون مع البشكنس لدفع الخطر المشترك، وعلى رأسهم أبناء سليمان بن يقظان الأعرابي أسير شارلمان، ويحتمل أن الأمير عبد الرحمن الداخل أمدهم بفرقة من جيشه وساعدهم بالمال والسلاح محفزا إياهم على الانتقام لأبيهم الأسير[2].

وبينما كانت قوات شارلمان تعبر ممر رونسفال أو باب الشزرى هاجمته قوات عربية على رأسها أبناء سليمان الأعرابي مطروح وعيشون بغرض فك أسر والدهما ونجحت هذه القوة في انقاد سليمان والعودة به إلى سرقسطة [3] ،

وبعد أن نجح المسلمون في تخليص سليمان ومن معه من رهائن، لم يبق عند شارلمان سوى ثعلبة بن عبيد قائد عبد الرحمن الداخل الذي ظل أسيرا لديه فترة حتى جرت مفاوضات بشأنه مع المسلمين وأطلق سراحة بعد دفع فدية، وتقلصت حمله شارلمان على الأندلس ، وظلت السياسة الفر نجية بعد ذلك تتحين الفرصة لمعاودة التدخل في شؤون الأندلس مستغلين الصراع القائم بين العصبيات هناك[4].

=الذين دلوهم على الثغرات وتعاونوا معهم ضد بني جلدتهم ، وإذا كان هذا قد حدث في الأندلس ضد السلطة المركزية بقرطبة ، فإنه لا يزال يتكرر في كل زمان وما يحدث في عصرنا الحالي من الاستعانة بالغرب إلا صورة من صور العمالة

[1] – عنان : المرجع السابق، ص174.

[2] - طرخان: المسلمون في أوروبا ، ص178.

[3] - ابن الأثير: الكامل ، ج6 ، ص63 .

[4] - طرخان : المرجع السابق ، ص179.

وبعد عودة شارلمان من حملة الفاشلة، تنقل الداخل إلى سرقسطة فاستولى عليها سنة 167هـ/784م[1]، وحاول القضاء على التمرد في الشمال حتى يفِّوت على الفرنجة فرصة التدخل في شؤون الأندلس ، وبذلك شغلت الصراعات الداخلية التي كانت قائمة ضد الاماره الأموية سواء العربية منها أو البربرية عبد الرحمن الداخل عن التصدي للفرنجة بقيادة شارلمان.

وعلى الرغم من أن شارلمان قد اقتنع بعدم جدوى الحرب في الأندلس، وأنه ليس بوسعه أن يحقق نصرا فيها،فضلا أن علاقاته بالداخل تحسنت كثيرا بعد ذلك، حتى أن بعض الروايات ذهبت إلى حلول مودة بينهماوعروض مصاهرة[2]،إلا أن السياسة الفرنجية ظلت كما هي لم تتغير فيما بقي من عهد الداخل وعهد ابنه هشام وحفيده الحكم، وهي محاولة شارلمان التدخل في شؤون الأندلس واستغلال الصراعات الداخلية، وتشجيع نصارى الشمال من البشكس والجلالقة على مواصلة التحرش بحكومة قرطبة ، وقد شَجّع الفرنجة على الاستمرار في هذه السياسة ما كان جاريا من منازعات وصراعات عصبية وثورات ، خاصة في المناطق الشمالية المتاخمة للحدود الفرنجية[3].

ففي السنوات الأخيرة من عهد عبد الرحمان قام الفرنجة بالاستيلاء على جيرونة سنة 169هـ/785م من يد مطروح بن سليمان،حرصا منهم على مراقبة الأوضاع في الأندلس و التدخل في شؤونها، وكان حكام هذه الجهات في الشمال الشرقي من الأندلس قد خرجوا عن طاعة حكومة قرطبة[4] منذ غزو شارلمان ، واستقلوا بما في أيديهم من المدن وجنحوا إلى محالفة الفرنج جيرانهم الشماليين والتمسوا حمايتهم.

توفي الداخل سنة 172هـ/788م وخلفه ابنه هشام فانتهز الفرنجة فرصة نشوب الصراع داخل البيت الأموي بين هشام وإخوته فقاموا بالاستيلاء على المنطقة الساحلية في

---

[1] – ابن عذاري: المصدر السابق ، ج2، ص56.

[2] - المقري: المصدر السابق ،ج1، ص331.

[3] - المقري : المصدر السابق ،ج1، ص388.

[4] - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص62.

جنوب سبتمانيا وعلى إرجيل سنة 173هـ/789م ، إلا أن الأمير هشام استرجع بعض المناطق[1]، فقد سارع عبد الواحد بن مغيث قائد جيوش هشام بعبور جبال البرنيه واسترجاع جيرندة واستولى على عدد آخر من المعاقل والحصون ثم تقدم الى سبتمانيا وزحف على عاصمتها اربونة قاعدة الثغر الإسلامي القديم ، افتتحها في هذه الغزوة[2] ثم ذهب الى قرقشونة، وإذا كان شارلمان مشغولا حينئذ بمحاربة السكسون والآفار فقد كلف ابنه لويس أمير اكوتين بصد المسلمين وارسل جيشا لمحاربتهم[3] .

ورغم الانتصارات التي كان يحققها المسلمون أحيانا على الفرنجة إلا أنهم اكتفوا بذلك الانتصار وعادوا الى قرطبة دون ان يحتفظوا بالمواقع التي تمّ فتحها ، وكان رجوع جيوش المسلمين بهذه السرعة نظرا لما كان يتطلبه ذلك من الحفاظ على الأمن داخل الأندلس وقمع الثورات التي أعلنت التمرد على الأمير هشام، فسمح ذلك الفراغ بعودة الفرنجة الى المناطق التي أخلاها المسلمون عند عودتهم عام 179هـ/795م [4]

الإستعانة بشارلمان ثانية:

توفي الامير هشام الرضا وخلفه ابنه الحكم 180هـ/796م، غير ان ظاهرة الاستعانة بالفرنج ضد السلطة المحلية في الأندلس لا زالت مستمرة، فقد دلت الحوادث أن شارلمان كان ما يزال يحلم بالتدخل في شؤون الأندلس تحقيقا لحلمه القديم في اقامة إمبراطورية واسعة تعيد مجد الامبراطورية الرومانية القديمة[5].

ذلك أنه استغل فرصة اندلاع الثورة ضد الأمير الحكم من قبل أعمامه سليمان و عبد الله، ونشوب الفتنة في مدن الثغر الأعلى في كل من سرقسطة ووشقة، فلجأ عبد الله الى الثغر الأعلى وراح يجمع الأنصار والأعوان لمحاربة ابن أخيه الحكم، ثم ما لبث أن اقتنع أنه

---

[1]- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص62.

[2] - ابن الآثير : الكامل ، ج6 ، ص46.

[3] - Lyvi-Provençal :op,cit,p.145

[4] - ابن عذاري :ج2،ص69 ؛ طرخان : المرجع السابق ،ص182.

[5]– بيضون : المرجع السابق ، ص188.

بحاجة الى عون خارجي، فقرر عبور جبال البرنية الى الفرنجة للاستعانة بهم، وذهب الى شارلمان في اكس لاشابيل لإلتماس عونه[1] ، وقد زاد عدد الخارجين عن السلطة الأموية فقد أعلن حاكم وشقة وضع مدينته تحت حماية شارلمان وزاد عدد الناقمين على السلطة المركزية في قرطبة [2].

استمر عبد الله في تقدمه في مدن الثغر الأعلى، وفي هذه الظروف، سارع الأمير الحكم بالمسير نحو الشمال لرد هذا الخطر الناتج عن مؤامرة عمه عبد الله وتحالفه مع الأعداء، وأرغمهم على الارتداد نحو الشمال، بعد أن فشلوا في اقتحام مدينة وشقة وحصارها سنة 179هـ/795م [3] .

ولما وجد الثوار الخارجين عن سلطة الأمير الأموي أنفسهم دون حماية ، واقترب جيش الحكم منهم ، آثروا العودة إلى الطاعة، فاسترد الحكم بذلك سلطانه على سرقسطة ووشقة و لاردة وغيرها من المدن الثائرة في الشمال والمتعاونة مع الفرنجة [4]، ثم تحوّل إلى أعمامه سليمان وعبد الله، حيث هزمهما وقبض على سليمان قرب قرطبة وأمر بإعدامه ، بينما استسلم في النهاية عمه الآخر عبد الله، فعفي عنه[5].

زاد العداء بين الفرنجة والأندلس على عهد الحكم، وتطلع شارلمان إلى تحقيق حلـــمه و استمرار تدخله في شؤونها ، مغتنما انشغال المسلمين بالصراع على السلطة وكثرة الخارجين عن الامارة والمتعاونين واللاجئين إليه طلبا للمساعدة ، ويبدو أن عبور المسلمين جبال البرنية في عهد الأمير هشام وغزوهم لسبتمانيا، قد جدد مخاوف الفرنجة وشارلمان من

---

[1] - عنان : المرجع السابق ، ج1،ص229.

[2] - لأكثر تفاصيل عن الخارجين عن الأمير الحكم . أنظر ما قبل ص60.

[3] - أرسلان: المرجع السابق ، ص169 .

* وهكذا ، بينما كان المسلمون يتقدمون في بلاد الفرنجة فاتحين على عهد أيام الفتح الأولى تحولوا الى مدافعين ويفقدون مدن الشمال بفعل ما بلغته الأندلس من الفرقة والخصومة والصراع الداخلي والاستعانة بالأعداد.

[4] - ابن عذارى: ج2 ، ص 69.

[5] - نفس المصدر.

أن يعاود المسلمون الكرة ويغزوا فرنسا، وبدأ الشك و القلق ينتابهم بالنسبة لحدودهم الجنوبية في ظل تحفز إمارة قرطبة ورغبتها في استئناف الجهاد في تلك المنطق[1].

أثر صراع العبيات في ضياع برشلونة:

وإذا كانت دولة الفرنجة مهتمة كثيرا بحماية جنوب فرنسا(غالة) أنذاك ، وتأمينها من خطر الفتح الإسلامي، فقد عملت قبل ذلك في إنشاء ولاية فرنجية تكون حاجزا بينها وبين المسلمين وضمت هذه الولاية أو الثغر مدن جيرندة وما حولها مما استطاع الفرنجة اقتطاعه من أراضي الأندلس[2] ، غير أنه في المرحلة الجديدة من الصراع طمع شارلمان في الاستلاء على ثغر برشلونة ، ليحمي أملاك الفرنجة جنوب البرنية، ويكون حلقة اتصال بين هذه الولاية من جهة ومملكة الفرنجة من جهة أخرى[3] .

ولقد ساعدت الثورات المندلعة في شمال الأندلس ، وما عرفته المنطقة من فتن وثورات ومنحت شارلمان فرصة جديدة لمد نفوذه وتوسيع نطاق أملاك دولته في الشمال الشرقي للأندلس، كما لجأ في ذلك الى التعاون والتحالف مع البشكنس، وأميرهم ألفونسو الثاني، رغبة في نجاح مشروعه الجديد[4]، ففي سنة 185هـ/801م بدأ في إرسال جيش كبير للاستلاء على برشلونة تشديد الحصار عليها[5] ، و كان ولاة الثغور المجاورة أكثرهم خارج عن حكومة قرطبة أو يحاول الخروج عليها، نظرا لانشغال الأمير الحكم بقمع الثورات الداخلية والخلافات العصبية خاصة ثورة عمه عبد الله من ناحية، ولقدوم جيش فرنجي في طريقه إلى برشلونة لمنع أي مدد لها من ناحية أخرى[6] .

ورغم أن والي برشلونة سعدون الرعيني حاول الدفاع عن المدينة وصد هجمات الفرنجة في إنتظار قدوم مساعدات من قرطبة أو من قادة المدن المجاورة ، غير أن الصراعات الداخلية

---

[1] – أرسلان : المرجع السابق، ص165.

[2] - نفسه.

[3] - بيضون : المرجع السابق ، ص 176.

[4] - Lévi – provençal .op . cit .p 179

[5] - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج7، ص169 .

[6] - المقري : ج1،ص339؛ طرخان : المرجع السابق ،ص 186.

حالت دون ذلك ،وعانت المدينة كثيرا من نقص الأقوات وقلة الزاد وزاد في سوء أحوالها وصول جيش فرنجي جديد تحت قيادة لويس ابن شارلمان ليشدد الحصار عليها ويغلق كل المنافذ إليها ويحدث ثغرات في سورها [1].

لم يجد والي المدينة حلا فخرج بنفسه محاولة الوصول إلى قرطبة والتماس عون أميرها الحكم ، غير أنه وقع في أيدي الفرنجة وتمّ أسره [2].

ونتيجة للحصار المضروب على المدينة ، فقد هلك آلاف من أهلها من الجوع والحرب وساءت أحوالها كثيرا و لم تعد قادرة على الصمود ونجح الفرنجة في فتح ثغرات عديدة في أسوارها فاضطرت إلى التسليم بعد حصار امتد نحو سبعة أشهر ودخلها الفرنجة سنة 185هـ/801م[3] ، بعد أن بقيت في أيدي المسلمين نحو تسعين سنة[4].

وكان سقوطها يمثل خطرا كبيرا ، لأن السيادة الفرنجية امتدت كثيرا إلى جنوب البرنيه، وحولوا هذه المدينة الى قاعدة و ثغر جديد لهم ، عرف بعد ذلك بالثغر القوطي ، الذي تحول بمرور الوقت إلى إمارة نصرانية عرفت فيما بعد ، بإمارة قطالونيا والتي اندمجت بعد ذلك في مملكة أرجون القوية[5] ، غير أنه قد ترتب على فقد المسلمين لثغر برشلونة تقهقر حدودهم الى مدن الثغر الأعلى وفقدوا أهم نقاط ارتكازهم في هذه الجهات وقواعد انطلاقهم الى ما وراء جبال البرينيه.

و قد شجع نجاح شارلمان في الاستيلاء على برشلونة وانتزاعها من المسلمين ، على محاولة التوغل جنوبا ومد نفوذه الى أبعد منها خاصة على المناطق الساحلية لتدعيم الإقليم الفرنجي الجديد في شمال شرق الأندلس وتوسيع رقعته[6] ، فقد عاد بعد سنوات وأرسل جيشا

---

[1] - أرسلان: المرجع السابق ، ص170؛ عنان : المرجع السابق ، ص232.

[2] - حاطوم : المرجع السابق ، ص 107 ؛ Levi-Provençal-op.cit.p.180

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق ، ج6 ، ص55 .

[4] - المقري : المصدر السابق ، ج1، ص 339 ؛ طرخان : المرجع السابق ، ص186.

[5] - Levi – Preovençal .op.cit. p.181

[6] - المقري: ج1 ،ص339 ؛ أرسلان: المرجع السابق، ص178.

بقيادة ابنه لذريق سنة192هـ/808م لمهاجمة الثغر الأعلى[1] ، ومحاصرة مدينة طرطوشة على الساحل جنوبي برشلونة ، غير أن الحكم استطاع التصدي لتلك الحملة وأرسل جيشا إلى الشمال بقيادة ولَدِه عبد الرحمن الذي نجح في إرغام الفرنج على الارتداد إلى الشمال والتخلي عن مشروعهم في الاستيلاء على طرطوشة[2] .

ثمّ ما لبثوا أن عادوا واحتلوا مناطق جديدة وهو ما دفع الحكم أن يخرج بنفسه ، يقول المقري: « ولّما كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين »[3] ، غير أن ثورة الربض في قرطبة لم تسمح له بالإهتمام باستعادة المدينة واكتفى بتكليف عمه عبد الله الذي عاد إلى الطاعة بد صراع طويل معه، بغزوا قطالونيا ومهاجمة برشلونة في محاولة منه لاستعادتها[4] لكنه لم يحقق نتيجة فضاعت برشلونة إلى الأبد .

وأحس الجانبان بعقم هذه الحروب وآثارها المدمرة فمالا إلى المهادنة والصلح ، ولعل الأمير الحكم آثر ذلك بسبب مشاغله العديدة وقيامه بإخضاع الثورات المتأججة في كل مكان ، واستفحال أمر إدريس بن إدريس في المغرب ، وتوجسه من عواقب هذه الحركة بالنسبة لحكمه في الأندلس[5] ، ولهذا عجلت هذه الأحداث بعقد الصلح بينه وبين شارلمان، إستمر ساريا في السنوات التالية حتى وفاة الأخير سنة 199هـ/814م[6] ، وعلى عهد لويس التقي (199- 225هـ/ 814 -840م) الذي عاصر شطرا كبيرا من عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط (الثاني) ، تابع الفرنجة سياستهم العدائية التوسعية ضد الإمارة الأموية بالأندلس وحاولوا التدخل في شؤونها استكمالا لسياسة شارلمان من قبل. وتَحَيُنْ الفرص ، فحينما

---

[1] - المقري:المصدر السابق، ج1، ص340.

[2] - ابن عذارى:المصدر السابق، ج2،ص72 .

[3] - المصدر السابق ، ج1 ، ص340.

[4] - ابن عذارى :ج2 ، ص72.

[5] - السلاوي: الاستقصا،ج1، ص71.

[6] - نفس المرجع .

اندلعت ثورة البربر في طليطلة ومارده[1] وجد لويس فرصته للدس والتحريض على حكومة قرطبة، فبعث الى قادة الثورة في مارده يشجعهم ويعدهم المدد والمؤازرة[2]

وأظهر لويس التقي عداءه للمسلمين في الأندلس في ميدان آخر حينما بسط نفوذه على الجزر القريبة من سواحل الاندلس، مثل البليار وسردينيا وكورسيكا ، ورغم أن الإمبراطورية الفرنجية انقسمت بعد وفاته الى ثلاثة أقسام و ضعف خطرها على الأندلس نظرا لقيام الحرب الأهلية بينها ، ومع ذلك ظلت العلاقات الفرنجية الأندلسية تتسم بالعداء.[3]

أثر صراع العصبيات في توسع الممالك النصرانية:

إن الأحداث التي كانت تعرفها الأندلس شغلت المسلمين كثيرا عن توجيه حملات عسكرية بإتجاه الإمارات المسيحية في الشمال ، فكان إهتمامهم بها كلّما كانت الأوضاع الداخلية مستقرة وهادئة ما يشجعهم على التصدي لها ودفع خطرها ، ذلك أن بقايا القوط الذين تحصنوا في المناطق الشمالية ظلوا ينتهزون الفرصة للإنقضاض على المسلمين كلما شعروا بضعفهم ، وإنشغالهم عنهم بالصراعات الداخلية ، وقد ظلت تلك الإمارات الصغيرة تنمو وتتوسع مستفيدة من طبيعة التضاريس الوعرة في الشمال ومن ضعف الجبهة الداخلية للمسلين وتمزقها ، وقد أشرنا إلى إحتقار شأنها من طرف قادة الأندلس ظنا منهم أنها لا تشكل أي خطر عليهم ، مما مهد السبيل لبلاي و أنصاره في التوسع على حساب المناطق الشمالية[4]، ولّما تنبه المسلمون إلى خطرهم حاول والي الأندلس عقبة بن الحجاج التصدي له فأرسل حملة الى جيليقية لكنه لم يتمكن من القضاء على بلاي وأنصاره الذين تحصنوا بالصخرة وحققوا إنتصارا على المسلمين [5]، وفي عهد ألفوونسو الأول (121-140هـ/739-757م) الذي توحدت في عهده مملكة ليون ومملكة جليقية إنتهز فرصة تمرد البربر ونزوحهم عن المناطق الشمالية ، وهجرة العديد من العرب الذين كانوا يستقرون في

---

[1] - عن تلك الثورات أنظر ما قبل ، ص 88.

[2] - طرخان : المرجع السابق، ص 191؛ ارسلان: غزوات العرب، ص193.

[3] -طرخان : المرجع السابق ، ص 188.

[4] - أخبار مجموعة : ص109.

[5] - المقري : المصدر السابق ،ج3،ص124.

تلك المناطق نتيجة القحط الذي عرفته البلاد سنة 133هـ/750م واستمرّ لعدة سنوات[1] فاجتاح النصارى تلك المناطق وقتلوا من بها من المسلمين ، وأخرجوا البقية عن جيليقية ، وعن أستورقة و ضاعت مدن كثيرة من أيديهم يقول صاحب أخبار مجموعة:« في سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرجهم عن جليقية كلها وتنصّر كل متذبذب في دينه وقتل من قتل وصار جلهم إلى خلف الجبل ...فأخرجوا عن أشتورقة وغيرها »[2] ، كما عمل فرويلا الأول حاكم إمارةكانتبريه على توسيعها بالإغارة على الأراضي الإسلامية خاصة في عهد يوسف الفهري الذي كان منشغلا بصراع العصبيات والثورات الداخلية ، وفي عهد

عبد الرحمن الداخل إستغلّ فرويلا الأول خروج العلاء بن مغيث وإنشغال السلطة في قرطبة بالقضاء على ثورته ، فأغار على أراضي المسلمين في الشمال وغزا عدة مدن مثل سلمنقة ، ولك وشقوبية ، وأبلة وسمورة [3] ، وهو ما دفع بالداخل أن يجهز حملة بقيادة مولاه بدر للتصدي وإيقاف توسع هذه الإمارة على حساب الأراضي الإسلامية[4] ، غير أن فترة من الهدوء سادت بين الطرفين بسبب إنشغال كل طرف بمشاكله الداخلية، ذلك أن الإمارات المسيحية هي الأخرى كانت تعرف في بعض الفترات صراعات داخلية إستغلها المسلمون أحيانا[5]في توجيه حملات لدفع خطر النصارى عن حدودهم الشمالية ، غير أن الملفت للإنتباه هو أن المسلمين تحولوا من جبهة الهجوم والتقدم مثلما كان في أيام الفتح الأولى ، إلى جبهة الدفاع والتراجع رغم بعض الإنتصارات المحدودة التي كانوا يحققونها من حين لآخر ويبدو أن سبب ذلك يعود الى إنشغالهم بتلك الصراعات فيما بينهم .

أما في عهد ألفونسو الثاني(175-227هـ/791-842م) وهي الفترة التي تولى فيها حكم الأندلس هشام بن عبد الرحمان ثم إبنه الحكم وحفيده عبد الرحمن الأوسط(الثاني) تحول المسلمون الى الدفاع عن حدودهم الشمالية المهددة من الإمارات النصرانية الشمالية ،

---

[1] - أخبار مجموعة :ص129.

[2] - نفس المصدر.

[3] - ابن الأثير : الكامل ، ج1، ص330.

[4] - ابن عذارى :المصدر السابق، ج2 ،ص54.

[5] - بيضون: المرجع السابق ، ص 199.

فقد سيّر الأمير هشام عدة حملات بقيادة أبو عثمان ويوسف بن بخت ،وأتبعها بأخرى بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث سنة 179هـ/795م الذي استطاع أن يحقق نصرا مؤقتا ويهزم ألفونسو الثاني[1] ، غير أن هذه النتائج كانت محدودة .

وبعد وفاة هشام واصل ابنه الحكم مهمة التصدي للممالك المسيحية التي قوي نفوذها وأصبحت تهدد الدولة الأموية في الأندلس بل الوجود الإسلامي هناك ، ذلك أن ألفونسو إستغلّ من جديد إنشغال الأمير الحكم بالفتن الداخلية ، خاصة تمرد البربر في ماردة وهاجم الجدود الشمالية وتوغل فيها[2] ، فسار إليه الحكم بنفسه سنة 194هـ/810م واستعاد بعض المدن، ثمّ قام بعد ذلك بإرسال الحملات للتصدي لخطر الجلالقة ومن ذلك حملة عبد الكريم بن مغيث الثانية سنة 200هـ/816م [3] ، يقول ابن عذارى :« فكاتب ألفونش جميع ملوك تلك النواحي مستنصرا بهم فاجتمعت إليه النصرانية من كل صوب»[4] ، و لم يمض وقت حى انشغل الحكم بثورة الربض سنة 203هـ/818م ثم توفي بعد ذلك وخلفه ابنه عبد الرحمن الأوسط و لم يسلم عهده من غارات الإمارات المسيحية بل إن خطرها أصبخ يزداد يوما بعد آخر رغم أن عهده تميز بالقوة وبكثرة الحروب والمواجهة وتوجيه الغارات والصوائف غير أن ذلك أجهده « وطالت غزاته ، وتعب كثيرا» [5] خاصة إذا علمنا أن الجبهة الداخلية غير مستقرة وأن صراع العصبيات لازال يهدد سلطة الإمارة، ويمكن تفسير تعدد هذه الحملات (الصوائف) بإتجاه جيليقية في عهده بإشتداد وتصاعد خطر تلك الإمارات ، وتهديدها الكبير والمتواصل للحدود الشمالية .

نستنتج مما سبق أنه:

ـ إذا كانت العصبية تتطلع إلى الملك كغاية لها فإنها بالمقابل عدوة للملك القائم والدولة السائدة ، وما تسببه من عامل إزعاج واضطراب لكل دولة ترغب في الإستقرار.

---

[1] - ابن عذارى : المصدر السابق،ج2 ،ص63.

[2] - ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج1 ، ص41.

[3] - ابن عذارى :المصدر السابف، ج2 ، ص73 ؛ بيضون : المرجع السابق ، ص235.

[4] - المصدر السابق، ج2 ،ص111.

[5] - ابن عذارى :المصدر السابق، ج2 ، ص85.

ـ أجهضت هذه الصراعات العصبية مشروع توسع الفتح الإسلامي وراء جبال ألبرت ، وكانت من وراء إخفاق الغافقي في مواجهة الفرنجة وهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء.

ـ إن الصراع بين العصبيات وما أفرزه من متاعب بالحكومة المركزية بقرطبة منح فرصة لنصارى الشمال والفرنجة أن يحققوا انتصارات جديدة ، وأصبحت دولهم تنمو على حساب الحدود الشمالية للأندلس.

خـــــــاتمة

يُستخلص من هذا البحث أن ظاهرة العصبية القبلية إرتبطت بالمجتمعات العربية منذ القدم في موطنهم الأول بشبه الجزيرة العربية ، بحيث ساهمت تلك البيئة الصحراوية بما فيها من شظف العيش في تجذرها في نفوسهم ، وأصبح الإعتزاز بالنسب والتعلق بالقبيلة والذود عنها والتفاخر بالأنساب من مميزات الإنسان العربي.

وكان التعصب للقبيلة يدفعهم في كثير من الأحيان الى إعلان الحروب و سفك الدماء ، خاصة بين فرعي العرب الكبيرين : القحطانية والعدنانية ، وظلت الخصومات تتجدد رغم محاولة الإسلام التخفيف من حدة النعرات العصبية ،واعتبارها من مظاهر الجاهلية .

و لم يقتصر الصراع على موطن العرب في شبه الجزيرة العربية ، بل انتقل معهم حتى الى الى المناطق البعيدة التي تمَّ فتحها واستوطنوا فيها مثل بلاد المغرب والأندلس .

كما أنتجت بيئة المغرب هي الأخرى في ظروفها المتشابهة نفس الظاهرة ، و لم تُصبح مقتصرة على الجنس العربي، ذلك أن البربر تعصبوا هم أيضا ضد العرب وقاموا بثورات مندفعين في ذلك بطموحاتهم نحو السلطة وتحقيق المطامح المادية .

ورغم أن فتح الأندلس ساهم فيه الجميع عربا وبربرا ، لكن ما إن هدأت موجة الفتح واستقرّ العرب والبربر بتلك البلاد ، حتى تجددت ظاهرة النزاع القديم بين اليمنية والمضرية ، وزاد من حدتها تصرف الخلفاء في دمشق وولاتهم بالقيروان ، فكثيرا ما خضع تعيين ولاة الأندلس أو عزلهم لهذه النزعة ، وهكذا حمل الجميع معهم صراعهم إلى الأندلس .وظلّ التطاحن بين القبائل العربية هو سيد الموقف سواء في عهد الولاة ، أو حتى مع قيام الإمارة الأموية التي بذلت جهدا ووقتا كبيرين ، وعانت من كثرة الخارجين عن سلطانها تحدوهم آمالهم التقليدية في الغلبة والسيادة ، ومحاولتها إخضاعهم لسلطانها ونفوذها .

وبقدر ما كان هدف الصراع بين العصبيات العربية هو الإستئثار بالسلطان السياسي ، بقدر ما كان مرده أيضا إلى الرغبة في الحصول على القسط الأوفر من المغانم التي يحققها هذا السلطان ، للإرتباط بين العوامل السياسية والإقتصادية .

كما دخلت العصبية البربرية من جهتها في صراع مع العرب ، فقد كان لهم الفضل فيما أحرزه طارق بن زياد من إنتصارات مكّنت للعرب في الأندلس ، غير أنهم أحسُّوا بأن العرب إستأثروا دونهم بالسلطة ، ذلك أن نفس الدوافع التي كانت وراء الثورات العربية كالمصالح الشخصية والمادية والصراع على السلطة دفعت البربر إلى مناوأت العرب والثورة عليهم من حين لآخر ، والتعصب لجنسهم مثل العرب.

تعددت ثورات البربر واستمرت في مناطق مختلفة خاصة تلك التي تضم أعدادا كبيرة منهم ، مثل تاكرنا وطليطلة وتدمير وغيرها ، وإن كانت هناك طوائف أخرى منهم تحالف السلطة الأموية وتقف معها في إخماد العصبيات العربية المناوئة لها ، ومنها من يحالف الثوار العرب ، غير أن بعض الثورات منها كانت ذات طابع بربري خالص ، وهو ما يؤكد أن الصراع بين العرب والبربر بالأندلس ،لم يكن عنصريا أو مذهبيا كما يحاول بعض المؤرخين تصوير ذلك بقدر ما كان صراعا على المصالح المادية ، والنفوذ والسلطة .

وقد وصل الأمر ببعض قادة العصبيتين الى حدّ اللجوء إلى خصوم الدولة من الفرنج والنصارى ، طلبا للعون ضدها ، ولم يستثنى من ذلك أفراد البيت الأموي ، فقد تآمروا ضد بعضهم البعض ، وهو ما شجع كثير من قادة العصبيات الأخرى على التمرد وأعطى فرصة لنصارى الشمال والفرنجة في إسترجاع عدة مناطق كانت بُذلت جهود وتضحيات كبيرة في فتحها .

إن الصراع الناتج عن إختلاف العصبيات وتنوعها كانت له نتائج عكسية وسلبية على عملية الفتح وضياع كثير من المناطق التي تمَّ فتحا، ذلك أنه في الوقت الذي انشغل المسلمون بصراعاتهم الداخلية ، انتهز أعداؤهم من الفرنجة والقوط الفرصة لإستعادة بعض المدن والأقاليم ، وحققوا إنتصارات عليهم ، بل إنهم تدخلوا لتغذية ذلك الصراع ودعم الخارجين عن السلطة المركزية وتقديم الدعم لها .

ولعل ابن الخطيب صائب في رأيه حينما يُرجع كثرة الثوار بالأندلس الى« طبيعة العرب والبربر ، وما جبلوا عليه من علو الهمم وشموخ الأنوف ، وقلة الأحتمال لثقل الطاعة إذ كان مايحصل بالأندلس من العرب والبربر يجعل بعضهم يأنف من الإذعان لبعض» ، وهو خير

دليل على أن العصبية كانت داءً مشتركا فبقدر ما كان متفشيا عند العرب كان عند البربر أيضا.

ومن كل ما تقدم أرجو أن أكون أسديت شيئا من واجبي في معالجة موضوع صراع العصبيات في الأندلس آملا أن لا أحرم من الملاحظات الطيبة والقيمة من الباحثين الذين سبقوني في معالجة التاريخ الأندلسي أو المؤرخين الذين يتصدون لدراسة التاريخ الإسلامي عموما والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه خدمة أمتنا.

وإذا كان من ثمن ورجاء في هذا البحث فإنني أتمنى على القادة العرب أن يقرأوا بتمعن تاريخ أمتنا لعلهم يتنبهون للنتيجة الحتمية التي لابد من الوصول إليها وهي أن هذه الشعوب هي أمة واحدة رغم محاولات التفرقة التي يحيكها لها أعداءها.

خريطة
الأنـدلس
وعليها معظم الاعلام الجغرافية الواردة فى كتاب
معالم تاريخ المغرب والاندلس
خريطة رقم (٢)
البحر المحيط الأطلسي
بحر الظلمات
البحر الشامي
البحر المتوسط
بحر الروم
مملكة ليون
جليقية
قلهرة
غالة
(الأرض الكبيرة)
قطلونية
منورقة
ميورقة
يابسة
لقنت
قرطاجنة
المرية
مالقه
غرناطه
قرطبة
طليطلة
جبال طليطلة
جبال المعدن
جبال الشارات
الشرف
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
الثغر الأقصى
إقليم الشرف
إقليم الغرب
الجزائر الشرقية
(البليار)
البحيرة
النكور
أصيلا
طنجة
تطوان
سبتة
جبل طارق
قادس
إشبونه
يابرة
باجة
مبرتلة
شنترين
قلمرية
برتقال
شنترة
بطليوس
ترجالة
المعدن
بلنسية
دانية
شاطبة
البيضاء
البسيط
جنجالة
قونكة
أقليش
طلبيرة
وقش
قورية
سالمنقة
شنتبرية
شنتبرية الشرق
مدينة سالم
روطه
قلعة أيوب
سرقسطة
أفراغة
تطيله
برغش
قلعة النسور
بالنسيا
أرسمه
سرية
بنبلونة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
منرقة
قسطليون
بريانة
ركانة
بلنسية
ميورقة
مدينة ميورقة
يابسة
أفيدو
(أبيدة)
شانت ياقب
رأس كيبية الغراب
جليقية
أشتركة
ليون
فمبورية
سمورة
سيمانقة
برتقال
بازو
قلمرية
شنترين
شنترة
إشبونه
يابرة
قصر أبي دانس
باجة
مبرتلة
بطليوس
المعدن
الزافقة
ترجالة
قورية
طليطلة
أقليش
وقش
طلبيرة
قونكة
البسيط
جنجالة
شاطبة
البيضاء
دانية
بلنسية
ركانة
قسطليون
بريانة
منورقة
ميورقة
مدينة ميورقة
يابسة
لقنت
مرسية
شقورة
أبسة
قرطبة
قسطلونة
بريرة
المدور
الكرة
الغاب
القصر
تدمير
لورقة
قيجاطه
بسطة
غرناطه
البيرة
لوشة
المرية
مالقه
بلش مالقة
بنتاكرينا
كورة رية
شذونة
قادس
الجزيرة الخضراء
الحندق
جبل طارق
سبتة
طنجة
تطوان
أصيلا
النكور
مليلة
البحر الشامي
المرية
جبل شلير
جبل البشرات
جبل طارق
مضيق جبل طارق
أشتركة
ليون
برغش
تطيله
بنبلونة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
منرقة
سرقسطة
أفراغة
لارده
بربشتر
وشقه
شنتبرية الشرق
روطه
قلعة أيوب
مدينة سالم
بولة
وادي الحجارة
شنتبرية
مجريط
أبله
وادي الرمل
بازو
سالمنقة
شنتبرية
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
الثغر الأقصى
جبال الشارات
جبال المعدن
إقليم الشرف
إقليم الغرب
الجزائر الشرقية
(البليار)
البحيرة
النكور
بحر الظلمات
البحر المحيط الأطلسي
بحر الروم
البحر المتوسط
البحر الشامي
خريطة رقم (٢)

المصدر: معالم في تاريخ المغرب والأندلس

لـــ حسين مؤنس

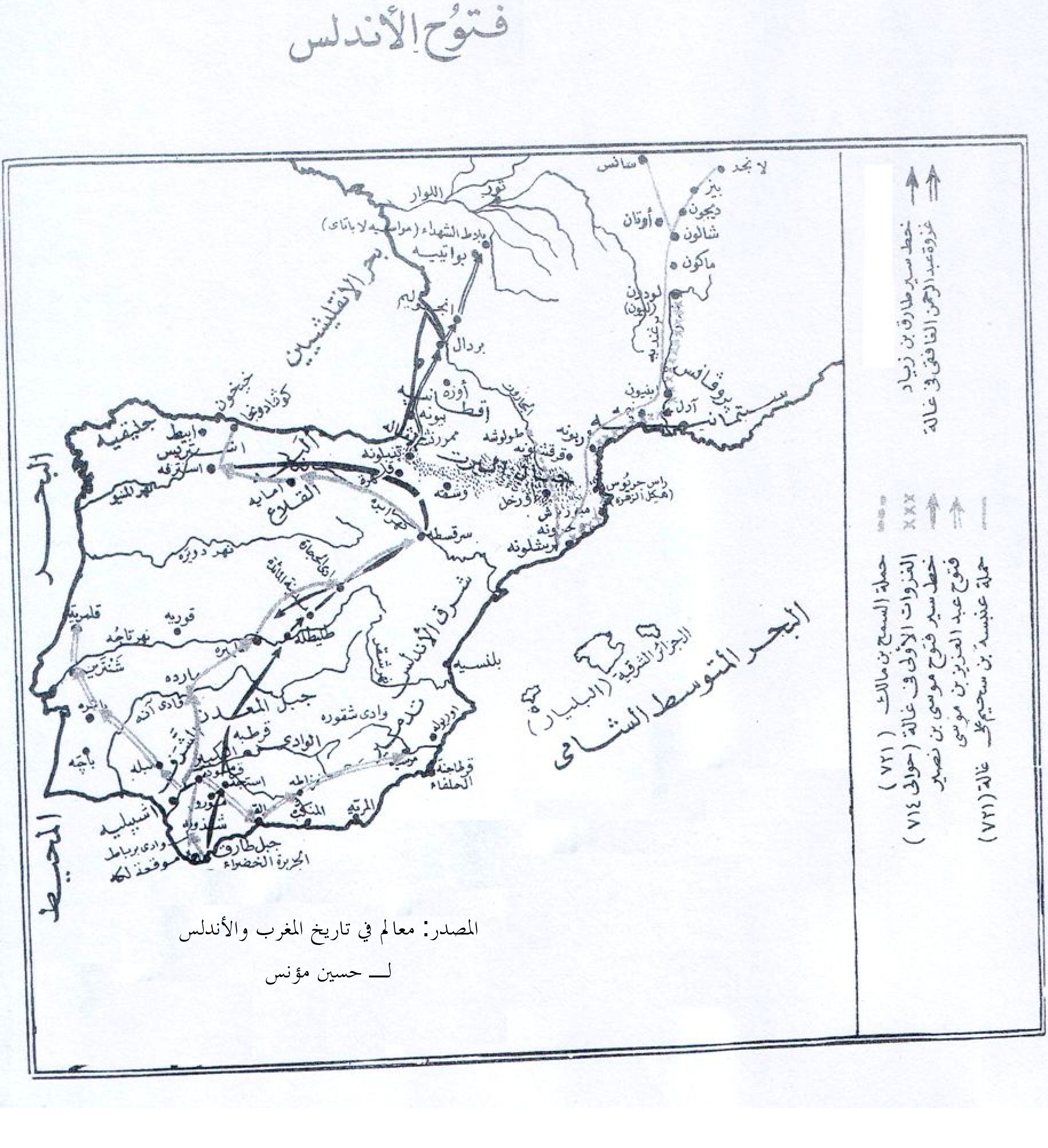

المصدر: معالم في تاريخ المغرب والأندلس

لـــ حسين مؤنس

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم وكتب السنن :

1- القرآن الكريم

2- أبوداوود سليمان بن الأشعث :سنن أبي داوود ، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية، بيروت .

3- الإمام مسلم أبو الحسين بن الحجاج: صحيح مسلم ، طبع وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب البناني بيروت .

المصادر العربية:

4- ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي(635هـ/1238م) :الحلة السيراء ،تحقيق حسين مؤنس ،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة 1963.

5-ابن الأثير الجزري (ت630هـ/1232م):الكامل في التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ،ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1980.

6-الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، تحقيق جوتولد ، ليبسيك 1844.

7- ابن بشكوال(ت587هـ/1191م): كتاب الصلة ،ط القاهرة 1955.

8-البكري عبد الله بن عبد العزيز المرسي(ت487هـ/1094م):جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق عبد الرحمان الحجي د ط.

9-التبريزي :شرح حماسة أبي تمام ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1938 .

10-الجاحظ عمرو بن بحر(ت255هـ): البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1948 .

11- ابن حزم علي بن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1063): جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة 1949 .

12-الحميري عبد المنعم السبتي(آواخر القرن التاسع الهجري/15م): الروط المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي مع مسرد عام ، تحقيق إحسان عباس ، دار القلم للطباعة والنشر 1975.

13-ابن الخطيب لسان الدين أبو محمد بن عبد الله(ت776هـ/1374م):

-الإحاطة في اخبار غرناطة ،تحقيق محمد عبد الله العنا ،ط القاهرة 1973 وطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2003.

-أعمال الأعلام،نشر ليفي بروفسنال ، ط2 ،بيروت 1956 .

14- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1405م):

- مقدمة العلامة بن خلدون ، طبعة جديدة منقحة ومصححة 2004 .

- العبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،ط2، 1979،ج7.

15-الرازي :كتاب مجمل اللغة ، حققه الشيخ شهاب الدين أبو عمرو ، ط. دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع1994.

16-ابن سعيد المغربي أبو الحسن محمد بن موسى(ت685هـ/1286م): المغرب في حلى المغرب تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر 1964 .

17- الشهرستاني أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم(ت548هـ): الملل و النحل ، شـــــرح و تحقيق محمد بن عبد الله بدران، مطبعة الأزهر ، القاهرة 1947.

18- الطبري محمد بن جرير(ت310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك ، مؤسسة عز الدين للطباعة بيروت ،1985.

19- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن(257هـ/871م) : فتوح افريقيا والأندلس ، حققه عبدالله أنيس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب البناني ، بيروت 1964.

20- عبد الواحد بن علي(ت ق7هـ/13م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت لبنان ، 1998.

21- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي(كان حيا حتى سنة 712هـ/1312): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان 1967.

22- العذري أحمد بن عمرالمعروف بابن الدلائي(ت478هـ/988م):ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ،مدريد 1955.وط نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيزالأهواني، مدريد 1965.

23- ابن غالب: فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، جامعة الدول العربية 1955 .
24-الفارابي : تاج اللغة وصحاح العربية المســـمى الصحاح ، حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو ،ط . دار الفكر 1998 ،ج1.
25- أبو الفدا إسماعيل بن علي : المختصر في أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم وتقديم حسين مؤنس ،دار المعارف القاهرة ،1998 .

26- ابن قتيبه الدينوري أبو محمد بن عبد الله(ت276هـــ):الإمامة و السياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، د ط .
27-القلقشندي أحمدبن علي (ت821هـــ/1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت 1984.
28-ابن القوطية أبو بكر محمد(ت367هـــ/977م) : تاريخ إفتتاح الأندلس ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 .
29- ابن كثير أبي الفدا إسماعيل :البداية والنهاية ، اعتنى بها ووثّقها عبد الرحمان اللاذقي ومحمد غازي بيضون ، ط3، دار المعرفة بيروت 1998 .
30- الماوردي أبو الحسن محمد بن حبيب(ت450هـــ) : الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، دار الكتب العلمية ، بيروت .
31-المبرد : نسب عدنان وقحطان ، تحقيق الميمني ، القاهرة 1936 .
32- مجهول :أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989.
33- مجهول : نبذة تاريخية في أخبار البربر في العصور الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال ، الرباط 1934 .
34- مجهول : فتح الأندلس ، نشر دون خواكين دي كونثاليث ، الجزائر 1889.
35 - المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـــ/1632م):نفح الطيب من غصن

الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار صادر ، بيروت 1968.

36- النباهي أبو العباس بن عبد الله الحسين: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفي بروفنسال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة1948.

37- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة القاهرة 1965.

38- ابن هشام:السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري ، القاهرة 1955.

المراجع العربية :

39- إحسان النص: القبليَّة و أثرها في الشعر الأموي ، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر،د.ط.

40- أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي، د ط.أحمد أمين: ظهر الإسلام،دار الكتب العلمية، بيروت ،2004 .

41- أحمد صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968 .

42- ألبير حبيب مطلق : الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية بيروت لبنان ، 1967 .

43- ابن عميرة محمد:

- الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، ديوان المطبوعات الجامغية ،الجزائر 2008.

- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984.

44- الجابري محمد عابد: فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية جديدة في الفكر الإسلامي) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1992.

45- حاطوم نور الدين:تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، لبنان 1967.

46- حسين أحمد محمود: تاريخ الغرب الإسلامي، دار النهضة العربية القاهرة 1972.

47- الدوري عبد العزيز: الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

48- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1981.

49- شكيب أرسلان : غزوات العرب في فرنسا وايطليا وجزر المتوسط، ط القاهرة 1933.

50- طرخان إبراهيم علي:المسلمون في أوربا، القاهرة 1958 .

51- العبادي أحمد مختار:في تاريخ المغرب والأندلس،دار النهضة ،بيروت1978.

52- عبد الواحد ذنون طه :- دراسات أندلسية ، دار المدار الإسلامي ، 2004

- الفتح والإستقرار في شمال افريقيا والأندلس ، دار المدارالإسلامي 2004 .

53- عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر،ط3، القاهرة ، 1960 .

54- عواطف العربي شنقاور:فتنة السلطة .الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية من ق 1حتى ق4 الهجري ، ط2 ، دار الكتب الوطنية ليبيا ، 2001 .

55- القادري بوتشيش إبراهيم: مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عهد المرابطين ، دار الطليعة ، بيروت 1998.

56- لقبال موسى:

-دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

-كتاب المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر 1981 .

48- مؤنس حسين:- فجر الأندلس ، دراسة تاريخ الأندلس من الفتح الى قيام الدولة الأموية،القاهرة 1956- ط،القاهرة1959 .

- معالم في تاريخ المغرب والأندلس ، ط دار الرشيد، القاهرة 2005 .

50- دوزي رينهارت: تاريخ مسلمي إسبانيا ، ترجمة حسن حبشي ، مراجعة جمال محرز ومختار العبادي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،د ط .

54- الخربوطلي علي حسين: عشر ثورات في الإسلام ،ط1 ، دار الآفاق بيروت ، 1968.

.

59- ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية ،ط3،دار الثقافة بيروت لبنان،1975.

61- ولهوزن:الدولة العربية وسقوطها ،ترجمة يوسف العش ، ط1، دمشق 1956.

والموسوعات العربية والمعاجم:

62- البكري عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): معجم ما استعجم من أسماء

البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة 1945.

63- الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، ط. دار الكتب العلمية 1995.

64- ابن منظور: لسان العرب ، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري ، ط . مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان 1996 ،للطباعة والنشر والتوزيع 1994.

65- ياقوت الحموي :معجم البلدان ،دار بيروت للطباعة والنشر ، ج3.

66- الموسوعة العربية الميسرة : إشراف محمد شفيق غربال ،دار الجيل 1995.

المجلات:

67- البشير العربي:سوسيولوجيا الحرب والسلم في الحياة القبلية بالمجتمع التونسي ، الكراسات التونسية ، عدد 169-170 ، سنة 1995.

المراجع الأجنبية:

68- - Pierre Guichard : Structures Sociales « Orientales et Occidentales » dans LEspane musulmane , Paris , Lahaye, 1977 .

69 -F.j.simonet :Historia de los Mozarabe de Espana,Vol.1

-Dozy : histoire des musulamans d'Espagne jusqua la conquête des almoravides (ed .lévy- provençal 1932) . -70

-levy . provençal :- hist.De l'Espagne musulman (1944)

- Histoire de L Espagne Musulmane , La Conquete et L L emirat Hispano-Umaiyade ,paris, Leiden , 1950 .

-vissette dom : histoire de languedoc, t.1 . 71

فهرس الأعلام:

-أ-

ابن الأبار:7-44-45-53-54-60-61-62-84-85-87-91.

إبراهيم بن شجرة:55-77-78-.

أبي الأسود:-56.

الأبياري إبراهيم :14.

ابن الأثير :7-17-21-58-61-62-81-82-84-87-90-100-113-117.

إحسان النص: 11-13-16-19-20-22.

إحسان عباس:-20.

أحمد إبراهيم الشريف:15-17.

أحمد أمين:8-107-108.

أحمد صالح العلي:11-12.

الأحمر بن مازن:-16.

الإدريسي :7-44-58-59-85.

أرمسندرا:-95.

إسبغ بن عبد الله:86-87.

إسماعيل العربي:5.

إسماعيل بن عبيد الله:-36.

إسماعيل بن عبيد الله:-36.

أبوالأسود :-56.

الأصفهاني :8-15-16-20-21-22.

ألفونسو الأول:95.

ألفونسو الثاني(العفيف):88-89.

أمية بن عبد الملك:-42-74.

أمية بن معاوية بن هشام :62.

الأهواني عبد العزيز:-64

أودو:-4-69-104-105.

إيخولونا:-33.

أيوب بن حبيب اللخمي:28-29-30-35-36-67-68-99-100.

-ب-

البخاري:-18.

بدر بن معشر:-16.

بدر(مولى عبد الرحمن):-50-76-80-93.

البسوس:3-17.
بشر بن صفوان :-37-38 .
ابن بشكوال :109.
البشير العربي :13-16.
بطرس:95.
البكري :14-15-52-97-101.
البلاذري :22-32-66.
بلاي:94-95.
بلج بن بشر القشيري:40-41-42-72-73-74-75.
بن عميرة محمد:8-35-65.
بهلول بن مرزوق:59.
بيبين القصير:108-101-112.
بيضون:98-114-119-120.

-ت-

التبريزي :16-17.
تدمير:100.
تمام بن علقنة:55.

-ث-

ثعلبة بن سلامة:-42-43-75.
ثعلبة بن عبيد :55-113-114-116-117.
ثوابة بن سلامة:-45.

-ج-

الجابري محمد عابد:8-11-12-15-19.
الجاحظ :22.
جريجوري:107.
جساس:-17.
أبو جعفر المنصور:-48-54.
جميلة:89.
الجيوسي سلمى خضراء:-88.

-ح-

حاطوم نور الدين:115-121.
الحباب بن رواحة الزهري:-48-49.
حبيب البرنسي:91.

حبيب بن أبي عبيدة:33-71.
الحجاج :67-70.
حذيفة بن الأحوص:-37.
الحر بن عبد الرحمن:32-35-36-68-101-102.
حركات إبراهيم:8-12.
ابن حزم :7-13-14-28-59-89-90-96.
حسن أحمد محمود:-81
الحسن بن علي:-21.
الحسين بن يحيى الأنصاري:55-56-113-116.
الحكم بن هشام(الربضي):3-59-60-61-84-85-86-87.
الحميدي :7-36-100.
حمير:-14.
الحميري:7-20-21-44-46-51-52-54-58-62-87-91.
حنضلة بن صفوان:-36-43.
ابن حيان :5.
حيوة بن ملامس:-54-80.

-خ-

الخربوطلي علي حسين:- 19-22.
أبو الخطار ضرار :13-42-43-44-45-46-75.
ابن الخطيب :5-6-54-55-58-95-96.
ابن خلدون :5-6-11-12-13-15-16-19-24-27-28-32-36-38-39-44-46-50-56-61-62-64-66-73-82-86-87-90-97-100-103-104-106-113-115.
الداخل عبد الرحمن:3-4-5-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-111-112.

-د-

أبوداود :-18.
دحية الغساني:55.
الدراجي بوزياني:2-18.
دريد بن الصمة:-21.
الدوري عبد العزيز:22-67.
دوزي رينهارت:2-5-21-29.
دون خواكين :-36-

-ذ-

ذنون طه :2-7-24-25-26-27-28-29-32-36-37-44-48-49-66-67-68-69-76-
78-79-96-101-102-105-106.

-ر-

الرازي :11.

ربيعة:-14.

الرماحس بن عبد العزيز :55.

-ز-

زفر بن الحارث:-21.

زياد بن أبي عذرة:-33.

زياد بن النابغة اللخمي:-41.

زيتون محمد :8-34-82-86.

-س-

سابق بن مالك:78.

سارة:-5.

سبأ:-14.

ابن سعيد المغربي:61-84-87-90.

سعيد اليحصبي:-54.

سعيد ابن الحسين الأنصاري:59.

أبي سلمة الخلال:-23.

السلمي:55.

سليمان بن عبد الرحمن :57-59-80-84-85-86.

سليمان بن عبد الملك :-35-99.

سليمان بن عثمان:82.

سليمان بن مرتين: 88-89.

سليمان بن يقظان الأعربي:55-56-81-83-113-114-115-116-

السمح بن مالك الخولاني:-35-36-38-102-104.

السيد عبد العزيز سالم:2-7-23-24-25-26-33-37-38-48-80-86-89-106-110.

شارلمان:-60-112-113-114-115-116-117.

-ش-

شقيا بن عبد الواحد(الفطمي):81.

شكيب أرسلان :69-96-105-111-116-119-120.

أبو الشماخ محمد بن إبراهيم :61-62.

شنقاور عواطف العربي:18-20-22.

الشهرستاني :71.

-ص-

أبوالصباح اليحصبي:55.

الصدفوري أبي زعبل:82.

الصقلبي عبد الرحمن بن حبيب :81-83-113-114-115.

الصميل بن حاتم:3-44-45-46-47-48-49-50-51-52-76-78-79.

-ض-

الضحاك بن قيس:-21.

-ط-

طارق بن زياد:3-4-23-32-64-66-67-97-98-100.

الطبري :22.

طرخان إبراهيم :111-116-117-121.

طوريل:90.

-ع-

عاصم العريان:78.

عامر بن وهب العبدري:-48-49-.

العبادي أحمد مختار:8-21-71-108.

عباس بن مضّا:91.

ابن عبد الحكم :32-66-70-71 .

عبد الرحمن الثاني (الأوسط):-1-3-33-61-62-88-89-90-91.

عبد الرحمن الخامس(المستظهر):-7.

عبد الرحمن الناصر(الثالث):-2-5.

عبد الرحمن بن حبيب الفهري:-42-50-75.

عبد الرحمن بن علقمة:42-48-74.

عبد الرحمن بن عوسجة:76.

عبد السلام بن يزيد بن هشام :57.

عبد العزيز الأهواني:56.

عبد العزيز بن موسى بن نصير:3-32-33-35-36-67-68-98-99-101-102.

عبد القادر بن أبان :85.

عبد الله بن عبد الرحمن الداخل(البلنسي):58-59-60-61-84-85.

عبد الله بن غالب:55.

عبد الله بن موسى بن نصير:100.

عبد الملك بن عمر المرواني:54.

عبد الملك بن قطن:3-4-29-39-40-41-42-71-72-73-74-79-109-110.
عبد الملك بن مروان:-22.
عبد الواحد بن مغيث:118.
عبد مناف:-21.
عبيد الله بن أبان:57.
عبيد الله بن الحبحاب:-38-39-70-71.
عبيد الله بن الزبير:-21.
عبيد الله بن زياد:-21.
عبيد بن علي الكلابي:-49-
عثمان بن أبي نسعة:-37-43.
عثمان بن محمد:-20.
عدنان:-14.
ابن عذارى :5-6-33-34-35-36-37-38-39-40-42-44-45-46-47-48-49-50-
51-52-53-54-55-56-58-59-60-61-62-65-69-70-71-72-73-74-75-77-
80-81-82-83-84-85-86-87-90-91-94-99-100-102-103-104-105-113-
115-117-119-120-124.
عذرة بن عبيد الله الفهري:-37.
العذري :56-59-61-62-64-77.
عطاء أبي المري:-47.
عقبة بن الحجاج السلولي:39-40-108-109-110.
عقبة بن نافع الفهري:-35-101.
عك:-14.
العلاء بن جابر العقيلي:-51.
العلاء بن مغيث اليحصبي:-54.
علاء بن عبد الحميد القشيري:56.
عمر بن عبد العزيز:-36-102.
عمر بن عبد الله المرادي:70.
عمرو بن العاص:-35.
عمروس بن يوسف:59.
عنان محمد عبد الله:2-5-33-35-37-38-39-40-46-48-51-54-55-56-57-61-
69-70-76-77-79-82-95-97-99-103-104-105-107-108-113-116-119.
عنبسة بن سحيم:-36-102-103.
عيسى بن مزاحم:-5.

عيشون :117.

-غ-

الغافقي عبد الرحمن:-36-37-38-39-69-103-104-105-109.

ابن غالب :52-55-58-87.

غرسييه إنجز:96.

غسان:-14.

الغنيمي عبد الفتاح:-98.

غيطشة:-5.

-غ-

فافيلا :95.

أبوالفدا إسماعيل:17.

الفرابي :11.

فراد محمد أرزقي:-2.

ابن الفرضي:5.

الفيرزأبادي:11.

فيلالي عبد العزيز:8-72-73.

-ق-

قاسم بن عبد الرحمن الفهري:-53.

ابن قتيبة :34.

قحطان :-14.

أبوقرة وانسوس:75-76.

قنص:-14.

ابن القوطية:5-23-32-34-35-36-38-40-42-43-44-45-47-48-50-51-52-55-58-60-66-67-71-71-76-77-78-80-89-90-100-110.

قيس عيلان:-14.

-ك-

كارل مارتل:105-108-110-.

كسيلة:101.

كلثوم بن عياض القشيري:72.

كهلان:-14.

-ل-

لامبيجيا:-69.

لقبال موسى:8-18-65-67-70.
لويس التقي:123.
ليفي بروفنسال:8-13-54-88.

-م-

الماوردي :13.
المبرد :14.
محمد بن يزيد :34-35-36-.
محمد بن يوسف (أبي الأسود):53-84.
محمد علي مكي:-83.
محمود بن عبد الجبار :88-89.
المختار الثقفي:-21.
مروان الجليقي:89.
مروان ابن الحكم:-20-21.
المسعودي :23-97.
أبي مسلم الخرساني:-23.
مسلم:-18.
مسلمة بن مخلد:35.
مصطفى السقا:14.
مضر:-14.
مطروح بن سليمان الأعرابي:59.
مطروح:117-118.
معاوية الثاني:-21.
معاوية بن أبي سفيان:-20.
معاوية بن غانم :90.
معد:-14.
مغيث الرومي:66-98.
المغيرة ابن الوليد:56-57-
المقري :6-24-25-26-27-28-29-33-36-37-39-41-42-44-45-46-48-49-50-
52-54-56-57-66-68-69-71-75-79-84-86-95-97-98-102-104-106-117.
المنصور بن أبي عامر:-7.
ابن منظور :11-12.
منوسة:-4-69-104-106.
أبو المهاجر دينار:-35-101.

المهدي العباسي:83.
موسى ابن نصير:3-4-5-23-33-34-66-67-96-98-100.
موسى بن سالم الخولاني:60.
موسى بن فرتون القسوي:59.
مؤنس حسين:26-8-53-64-65-74-99.
الميداني أبو الفضل:15.
ميسرة المطغري:71-72.
نافع محمد مبروك:17.

-ن-

النباهي:88.
نزار:-14.
نعيم بن الكلبي:78.
النويري:11-14-58-83-85-87.

-هـ-

هذيل بن الصميل:56-
ابن هشام:14-15.
هشام بن عبد الرحمن(الرضي):3-57-58-61-84.
هشام بن عبد الملك:5-71-109.
هشام بن عروة:-53.
الهيثم بن عبيد الكلابي:-37.
الوقاص بن عبد العزيز الكناني:-43.
ولهوزن:-19.
الوليد بن عبد الملك:33-66-97-98.

-ي-

ياقوت الحموي:21-81-85..
يحى بن حريث:-46.
يحى بن سلمة الكلبي:-37.
يحى بن نصر اليحصبي:60.
يزيد بن أبي مسلم :-36-67-70.
يزيد بن معاوية:20-21.
يشجب بن يعرب:-14
اليعقوبي:64.
يوسف الفهري:3-46-47-48-49-50-51-52-55-76-77-78-79-110.

فهرس القبائل والجماعات:

-أ-

الأزد:14-15.

الإسبان:1-2-33-90-98-100.

بنوأسد:14-16-20.

بنوإلياس:77.

بنو أمية: 2-3-4-6-13-20-21-22-43-50-52-66-67-75-122-123.

الأمويين:20-21-23-50-88-111.

الإنجليز:107.

الأندلسيين :107.

أهل الذمة:2.

الأو س :15-17.

أوربة:28.

-ب-

بنوباهلة :14.

البتر :64-65-91.

البرانس :28-64-65-78-91- 110 .

البربر:1-2-3-4-7-23-27-28-29-30-32-33-40-41-42-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-76-77-78-79-70-80-81-82-83-84-85-86-87-90-91-104-105-106-107-108.

البشكنس :95.

بنوبكر :3-17.

البلديون: 3-5-32-39-41-42-43-44-62-68-73-74-110.

-ت-

بنوتغلب:3-17.

بنوتميم:14.

-ث-

ثقيف:14.

-ج-

جهينة:15-17-20.

-ح-

الحجازيين: 21.

حوتكة:15.

-خ-

الخزرج :15.

بنو الخليع:76-80.

الخوارج :40-71-73.

بنوخولان:15.

-ذ-

بنوذبيان:16.

ذبيان:3.

الذميون :32-88.

-ز-

زناتة:28- 64-65-75.

-س-

السبئية :14.

سعد هذيم:15.

-ش-

الشاميون :3-5-39-40-41-42-43-44-57-71-72-73-74-78.

الشيعة :83.

-ص-

الصقالبة :1.

صنهاجة:28.

-ض-

ضبيعة:14.

-ع-

بنوعامر بن صعصعة :14.

بنوالعباس :22-111.

العباسيين:43.

بنوعبس :16.

عبس:3.

العجم :32-88.

العدنانية :14-15.

عدوان:14.

العرب :1-2-3-4-7-11-13-15-16-17-18-22-23-24-25-26-27-28-30-32-37-41-42-64-65-67-68-69-70-71-72-73-74-77-79-90-91-103-105-106-108-110-111-115-122-123.

-غ-

الغاليين:107.

غزية:16.

الغساسنة :15.

غطفان:47.

بنوغفار:20.

-ف-

الفرس :14.

الفرنج :95-111-118.

الفرنجة :2-4-60-65-95-96-97-103-105-110-111-117-119-120-121-123-124-125-126.

الفهرية :51-52-53-79.

فهم:14.

-ق-

القحطانية :15-16-43.

قريش:13-14.

بنوقسي :88.

قضاعة:15-21.

القو ط :4-37-94-95.

القيسية :1-3-4-14-20-21-22-41-43-44-49-50-51-52-53-54-56-74-82-110.

-ك-

كتامة:28-65.

بنوكعب :14.

كلب(قبيلة):20-21.

كنانة:13.

-م-

بنومدركة :16.

مذحج:15.

بنومروان :43.

بني مروان :22.

مزينة:17-20.

المستعربون :32-89.

المسلمون :34-37-57-94-95-96-97-98-99-100-101-103-104-105-106-108-111.

المسيحيون :108.

مصمودة:64-88.

مضر:21-47.

المضرية :22-32-40-45-46-50-51-59-88.

مطغرة:64.

مغيلة:28-86.

مكناسة:64-74-81-82.

ملزوزة:28.

ملوك الطوائف:2-6-7.

المناذرة :15.

الموالي :22- 67.

المولدون :1-2-32-33-58-60-88-89.

-ن-

التزارية :14.

النصارى :4-90-94.

نفزة:64-66-76-84.

بنونمير :14.

-هـ-

بنوهاشم :13.

الهاشميين :20.

هذيل:14.

بنوهلال :14.

همذان:15.

هوارة:64.

-و-

بنو وانسوس :80-86.

وزداجة:28.

ولهاصة:76.

-ي-

اليمنية :1-3-20-22-23-32-39-40-41-44-45-46-47-48-49-50-51-54-55-56-57-58-59-61-62-74-77-78-80-81-82-88-106-110-118.

اليهود :1.

فهرس الأماكن والبلدان:

-أ-

أربونة : 04-42-48-74
الاردن : 44
أروبا : 04-105-106-107
إسبانيا : 05-21-90-96-98
استجة : 54
أسترقة : 72
أشبيلية : 30-33-44-45-48-54-55-58
اشتوريس : 88-94-106
إفريقية : 04-32-36-37-38-39-40-41-43-70-71-72-74-75-86-101
أقوة برطوطة : 75-
إكس لاشابيل : 119
أكوتين : 105-106-118
أكيتانيا : 69-105-
ألبة : 62
ألبرة : 44-5055
ألبرت : 95-96-97-105
الأندلس : -34-35-36-37—38-39-40-41-42-43-44-45-47-50-51-53-55-56-58-60-61-62-66-67-68-69-70-72-74-75-77-78-80-81-83-84-88-90-91-95-96-97-100-102-104-105-106-107-108-109-110-112-113-116-117-118-122-124-125-128-130.
أوكسفورد : 107
إيطاليا : 96

-ب-

باجة : 44-45-48-56
باريس : 05
البحرين : 14
البرتغال : 28
برشلونة : 04-55-56-81-96-102-113-120-121-122-123
بطليوس : 89
بقدورة: 72
بلاد الفرنجة : 37

بلاط الشهداء : 103-105-106-108-109
بلنسية : 28-58-60
البليار (جزر) : 123
بنبلونة : 109-116
بيروت : 15

-ت-

تاكرنا : 76-85-90
تدمير : 44-61-62-114-115
ترجيية : 85-89
التهامة : 14
تولوز (تولوشة) : 102-104-

-ث-

الثغر القوطي : 122

-ج-

جبال البرانس : 110-118-119-120
الجزائر : 35
الجزيرة : 14
الجزيرة الخضراء : 28-55-56-90
جليقية : 71-89-94-95-96-102-109-124
جيان : 44-86
جيراندا : 100-113-118
جيرونة : 118

-ح-

الحجاز : 14-15-41
الحرة (موقعة) : 20-41
حمص : 44

-خ-

خرسان : 23

-د-

دمشق : 03-05-21-34-36-43-69-103

-ر-

الربص : 60-122
ريّة : 28-44-91

-س-

سبتة : 40-71-72

سبتمانيا : 96-11-118

السربون : 107

سردينيا : 123

سرقسطة : 28-42-47-48-49-50-55-56-59-78-106-113-114-115-116-117-119-120

السماوة : 15

-ش-

الشام : 14-15-23-41-42-43-44-57-74-97

شانت ياقب : 90

شبه الجزيرة العربية : 03-14-25-31-32-41

شذونة : 44-45-72-77

شرطانية : 69

شقندة : 46-47-48

شمال إفريقيا : 07-28-32-36-110

شنت برية : 81-82

-ص-

الصخرة : 94

صقلية : 71

-ط-

الطائف : 14

طرطوشة : 59-119-120

طركونة : 100

طلبيرة : 85

طليطلة : 53-55-56-57-58-61-66-72-73-85-123

طنجة : 42-70-71

-ع-

العراق : 14-15-23

عكاظ (سوق) : 16

عمان : 14-15

-غ-

غالة : 38-94-95-97-102-104-105-109-110

غرناطة : 55
غسكونية : 106

-ف-

الفجار(الحرب) : 16
الفرات : 14
فرنسا : 95-96-102-106-108-110-120
الفسطاط : 20
فلسطين :44

-ق-

قادس : 45
قرطبة : 30-42-43-44-45-47-48-49-50-51-52-53-55-56-58-60-61-58-74-75-
77-78-80-83-87-101-102-111-113-114-117-118-119-121-123-125
قرقوشة : 118
القسطنطنية :97-104
قشتالة : 85
قطلونية : 96
قطلونية : 98-122-123
قنسرين : 44
قورية : 82-84-
القيروان : 03-32-54-110

-ك-

كانتبريه : 94-95-124
كورسيكا : 123
الكوفة : 23-44

-ل-

لبلة : 54
ليون : 95-96

- م-

ماردة : 52-58-79-82-84-85-86-88-89-123
مالقة : 44
مالقة : 91
مدلين : 82
المدينة (المنورة) : 20-21-41

المدينة : 15-41
مرج راهط : 21-43-45-51
مرسية : 62
مرور : 55-77-78-87-
المسارة : 42-43-50-51-61-78-79
مصر : 23-44
المغرب : 02-06-08-35-40-42-44-50-57-58-59-64-65-67-70-71-72-73-75-83-84-123
مكة : 14-15-54
ممر روسنفال : 117
منت شلوط : 89

- ن -

نجد : 14
نجد : 14
نفار : 96

- و -

واد القرى : 15
الواد الكبير : 46
واد سبو : 71
ولاد سليط :73

- ي -

اليمامة : 14
اليمن : 15

المحتويات

المقدمـــــــــة 1-9

الفصل الأول: جذور العصبية القبلية.....10-31

مفهوم العصبية عند العرب.....11

مناطق توزيع القبائل العربية قبل الإسلام 14

مظاهر العصبية القبلية في العصر الجاهلي 16

موقف الإسلام من العصبية القبلية.....17

العصبية القبلية في العهد الأموي.....20

إنتقال العصبية القبلية الى الأندلس 23

دخول العرب الأندلس.....24

مناطق توزيعهم.....24

مناطق استقرار البربر في الأندلس.....27

مناطق توزيعهم.....28

الفصل الثاني : صراع العصبيات العربية.....32-62

فتح الاندلس و بداية الصراع 32

عهـــد الولاة.....32

عبد العزيز بن موسى و بداية الصراع.....33

السمح بن مالك ودوره في إخماد الصراع.....35

تأثير الصراعات العصبية على الأوضاع السياسية والإدارية.....36

عبد الملك بن قطن الفهري والصراع بين البلديين و الشاميين.....39

العصبية القبلية في ولاية أبي الخطار بين البلديين والشاميين.....42

استعادة العصبية القبلية برئاسة يوسف الفهري والصُميل.....47

عبد الرحمن الداخل والصراع القيسي – اليمني.....51

عبد الرحمان الداخل والعصبيات القيسية.....52

عبد الرحمان الداخل والعصبيات اليمنية.....54

الصراع داخل البيت الاموي.....56
صراع العصبيات في عهد الأمير هشام.....57
نشاط العصبيات في عهد الأميرالحكم بن هشام.....69
الحكم بن هشام وثورة الربض بقرطبة.....60
نشاط العصبيات في عهد عبد الرحمان الأوسط 61
الفصل الثالث: الصراع العربي – البربري.....63 -92
فتح الأندلس وملامح الصراع العربي- البربري.....64
الخلاف بين موسى بن نصير وطارق بن زياد.....66
البربر و مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير.....67
محاولة إنفصالية في شمال الأندلس.....69
إنتقال الصراع العربي البربري من بلاد المغرب إلى الأندلس.....70
دور البربر في الصراع العربي-العربي (البلدي – الشامي).....73
دور العصبيات البربرية في قيام الإمارة الأموية.....75
انقسام البربر بين مؤيد و معارض لقيام الإمارة الأموية.....78
دور البربرفي ثورة يوسف الفهري.....79
تحالف العصبيات البربرية مع اليمنية ضد الداخل.....80
البربر بين النزعة العصبية والنزعة المذهبية.....81
العصبيات البربرية في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان.....84
ثورة البربر في تاكرنا.....85
الحكم بن هشام و صراعه مع العصبيات البربرية 85
دور البربر في ثورة سليمان بن عبد الرحمان.....85
ثورة أسبغ بن عبد الله بن وانسوس بماردة.....86
ثورة البربر في مورور.....87
عبد الرحمان الأوسط وصراعه مع العصبيات البربرية.....88
تجدد الثورة بماردة.....88

تجدد الثورة في تاكرنا.....90
ثورة البربر في الجزيرة الخضراء.....90
الفصل الرابع : أثر الصراع على سير عملية الفتح.....93-127
إستفادة الجبهة الأوربية من الصراع في مواجهة الفتح.....94
مراكز تجمع النصارى في الشمال الإسباني.....94
إمارة جليقية (أشتوريس).....94
إمارة كانتبريه.....95
مملكة نفار.....96
إمارة قطلونية (برشلونة).....96
مملكة الفرنجة صراع العصبيات وتعثر مسيرة الفتح 96
عهد الولاة.....97
أثر صراع العصبيات في معركة بلاط الشهداء.....103
تراجع مسيرة الفتح بعد معركة بلاط الشهداء.....109
علاقة متمردي الأندلس مع الفرنج.....111
عهد الداخل.....111
الفرنج وتغذية الصراع الداخلي.....112
شارلمان يؤلب الثوار على السلطة الأموية.....112
الإستعانة بشارلمان ثانية.....119
أثر صراع العبيات في ضياع برشلونة.....120
أثر صراع العصبيات في توسع الممالك النصرانية.....124
الخاتمـــــــــة 128-131